ع٤٤
ع٥٩
ع٤٥
خص

العسكر في دمشق

في القرن الثامن عشر

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ٢٨/٥/٩٩

إعداد

أم كلثوم جمعة رشيد مسلم

المشرف

الدكتور مصطفى الحمارنة

١٠/٨/٩٩

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

آب ١٩٩٩م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
١- الدكتور مصطفى الحمارنة.....	مشرفاً ورئيساً
٢- الاستاذ الدكتور علي محافظة.....	عضواً
٣- الدكتور نوفان السواريه.....	عضواً
٤- الدكتور وليد العريض.....	عضواً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى والدي الكريمين.....

وإلى إخوتي وأخواتي.....

عنوان وفاء لهم

وإلى من كانوا معي دوماً في سراء الحياة وضرائها.....

وإلى من علمني ما كنت أجهل.....

وأحاطني علماً وإنسانية.....

أستاذي الفاضل الدكتور مصطفى الحمارنة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

لا يسعني في البداية إلا أن أتقدم بخالص شكري وعميق تقديري وعرفاني ووافر امتناني إلى أستاذي الفاضل الدكتور مصطفى الحمارنة الذي منحني من وقته وجهده، وقدم لي كل ما احتجت إليه من توجيهات ومعونات صادقة وإرشادات سديدة كان لها الدور الكبير في إخراج هذه الدراسة على شكلها الحالي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العظيم إلى كل من الدكتور نوفان السواريه والدكتور علي محافظة والدكتور وليد العريض على تجشمهم عناء قراءة هذه الرسالة وإبداء الملاحظات القيمة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
عنوان الرسالة.....	أ
أعضاء لجنة المناقشة.....	ب
الإهداء.....	ج
شكر وتقدير.....	د
فهرس المحتويات.....	هـ
الملاحق.....	ح
قائمة المختصرات العربية والأجنبية.....	ط
الملخص باللغة العربية.....	ي
المقدمة.....	ك
الفصل الأول: الإدارة في دمشق في القرن الثامن عشر.....	١- ٣٩
- التبعية الإدارية	٤
أ- الوالي.....	٤
ب- الدفتر دار	٢٢
ج- المتسلم	٣٠
د- الكاخيا	٣٤
هـ- الصوباشي	٣٧
الفصل الثاني: القوى المحلية المتواجدة في دمشق ودورها في القرن الثامن عشر.....	٤٠- ١١٢
أ- القوى العسكرية.....	٤١
الجهاز العسكري.....	٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً-الانكشارية..... ٤١
أ- تنظيمها ٤٨
ب- فئاتها القابي قول- واليرلية ٤٨
ج- مرتباتها وأعدادها ٥٧
د- توزيعها ٥٩
هـ- تسليحها ٦٦
ثانياً- السباهية ٧٥
ثالثاً- القوات المرتزقة ٨٠
أ- السكبان ٨٣
ب- اللاوند ٨٤
ج- الدالاتية ٨٦
د- المغاربة ٨٨
هـ- التفنكجية ٩٠
و- قوات اضافية ٩١
ب- الأعيان..... ٩٤
أولاً: العلماء- المفتون- القضاة ٩٤
ثانياً: الأغوات والزعماء/ السباهية ٩٩
ثالثاً: الأشراف ١٠٤
ج- الأعراب في دمشق ١٠٨
الفصل الثالث: تمرد القوى العسكرية في دمشق خلال القرن الثامن عشر..... ١١٤ - ١٥٢
أ- العسكر والوالي ١١٤
ب- تحليل لعوامل الصراع بين العصبيات العسكرية ١٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع: النشاط الاقتصادي والاجتماعي للعسكر في دمشق ١٥٤- ١٩٧

- الطوائف الحرفية ١٥٤

أ- القوات اليرلية ١٦٢

ب- قوات القابي قول ١٩٢

الخاتمة..... ١٩٨

- قائمة المصادر والمراجع..... ٢٠٠

- الملاحق..... ٢١٩

- ملخص باللغة الإنجليزية ٢٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملاحق

ملحق-١- سلاطين آل عثمان في القرن الثامن عشر

ملحق-٢- ولاة دمشق الشام ١٧٠٨-١٧٩٩

ملحق-٣- ولاة آل العظم في بلاد الشام في القرن الثامن عشر

ملحق-٤- أسرة الأمراء الشهابيين حكام جبل لبنان في بلاد الشام في القرن الثامن عشر

ملحق-٥- خارطة توضح السناجق الجنوبية لولاية الشام دمشق في القرن الثامن عشر

ملحق-٦- خارطة توضح جنوب غرب بلاد الشام في القرن الثامن عشر

ملحق-٧- نماذج من السجلات الشرعية الخاصة بدمشق

ملحق-٨- لوحة من القرن الثامن عشر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المختصرات

١- العربية

ج	جزء
ص	صفحة
ق	قسم
م	مجلد/ وميلادي
هـ	هجري
ت	توفي
ط	طبعة
كم	كيلو متر
س	سجل
ع	عدد
د.ت	دون تاريخ النشر
د.ن	بدون مكان النشر

٢- الأجنبية

p:	page
Vol:	volume
$E.1_1$:	Encyclopaedia of Islam 1 st Edition
$E.1_2$:	2 st Edition
W. D :	With out Date
B.S.O.A.S:	Bulletion of Oriental and African Studies

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

العسكر في دمشق في القرن الثامن عشر

إعـــداد: أم كلثوم جمعة رشيد مسلم
المشرف: الدكتور مصطفى الحمارنة

جاءت هذه الدراسة عن العسكر في دمشق في القرن الثامن عشر الميلادي انطلاقاً من أهمية الدور الذي لعبه العسكر العثماني في مدينة دمشق في القرن الثامن عشر في النواحي الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، وقد استطاع العسكر التفوق في جميع هذه المجالات، وهذا ما يتضح لنا من خلال انخراط الإنكشارية في المجتمع المحلي وتحولها إلى فئة مميزة.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول، وخاتمة.

تناول الفصل الأول الإدارة في دمشق في القرن الثامن عشر والذي يشكل تمهيداً للحديث عن الجهاز الإداري في المدينة وعناصره مثل: الوالي والدفتردار والكاخيا والمتسلم.

وعالج الفصل الثاني القوى المحلية التي تواجدت في المدينة ويأتي في مقدمتها القوى العسكرية التي شكلت الجهاز العسكري الذي تألف من الإنكشارية وأصنافها القابي قول واليرلية، وتوزيعها ومرتباتها، وأعدادها، وتسليحها، ثم السباهية ثم القوات المرتزقة. إضافة إلى القوى المحلية الثانية الأعيان ثم الأعراب في دمشق.

وتتبع الفصل الثالث تمرد القوى العسكرية وشغبها في دمشق من خلال علاقة العسكر بالوالي، وأثر ذلك على أهالي دمشق، إضافة إلى إعطاء تحليل لعوامل الصراع بين العصبيات العسكرية.

وخصص الفصل الرابع للحديث عن النشاط الاقتصادي للعسكر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة

تتناول هذه الدراسة العسكر في دمشق في القرن الثامن عشر. وهي محاولة إعطاء تصور شامل عن الدور الذي لعبه العسكر العثماني في مدينة دمشق خلال القرن الثامن عشر.

ويعود اختياري لهذا الموضوع إلى أمرين:-

أولهما: أهمية مدينة دمشق، وما تتمتع به من موقع جغرافي واستراتيجي كونها قلب الشام.

ثانيهما: قلة الدراسات المتخصصة عن العسكر في القرن الثامن عشر الميلادي ودورهم في دمشق، إذ أن الدراسات السابقة تناولت الحديث عن العسكر في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين في بلاد الشام عامة.

ولتسهيل الدراسة قمت بتقسيمها إلى أربعة فصول، تناولت في الفصل الأول الجهاز الإداري في مدينة دمشق، والذي تطرقت فيه للحديث عن العناصر المكونة له مثل: الوالي، القاضي والدفتردار والكاخيا والمتسلم والصوباشي وعلاقة العسكر بهذه العناصر.

أما الفصل الثاني فقد تحدثت فيه عن القوى المحلية المرابطة في دمشق والتي تكونت من القوى العسكرية التي مثلت الجهاز العسكري في المدينة والذي تشكل من الإنكشارية بفئتيها اليرلية والقابي قول، وقد فرقت بين هاتين الفئتين باعتبارهما أهم فئتين عسكريتين في دمشق في القرن الثامن عشر من خلال الحديث عن تنظيم الإنكشارية وانخراطها بالمجتمع، وتوزيعها، ومرتباتها، وأعدادها، وتسليحها، ثم عن السباهية، التي شكلت جزءاً من القوى العسكرية في دمشق، وقد كان دورها العسكري أقل بكثير من دورها الاجتماعي والاقتصادي. ثم تحدثت عن القوات المرتزقة التي جندها ولاة دمشق لخدمتهم، وبحثت في أصنافها المختلفة كالسكبان واللاوند والدالاتية والمغاربة والتفنكجية والقوات الأخرى، وبينت دورها في دمشق في القرن الثامن عشر. كما وضحت في هذا الفصل علاقة العسكر بالأعيان والأعراب.

أما الفصل الثالث فقد تعرضت فيه إلى تمرد القوى العسكرية وشغبها في دمشق من خلال علاقتها بالولاة وأثر ذلك على أهالي دمشق.

وعالج الفصل الرابع النشاط الاقتصادي للعسكر في دمشق. وكانت السجلات الشرعية المصدر الذي اعتمدت عليه لبيان هذا الدور.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

الإدارة في دمشق في القرن الثامن عشر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قسمت بلاد الشام في عهد العثمانيين إلى وحدات إدارية اختلفت من سناجق إلى إيالات ثم إلى ولايات،[١] وهذه بدورها قسمت إلى سناجق[٢]، وقد ضمت بلاد الشام في عهد العثمانيين ثلاث ولايات، هي: ولاية الشام (دمشق)، ولاية حلب، وولاية طرابلس[٣]، وفي عام ١٦٦٠م أنشئت ولاية رابعة مركزها صيدا، وذلك بهدف الإشراف المباشر على جبل لبنان ومراقبة سكانه من الدروز والموارنة، والتعاون مع ولايتي دمشق وطرابلس في مجال ضبط الأمن، إلا أن دمشق احتفظت بأولويتها[٤].

وقد كانت ولاية الشام (دمشق) تشمل الجزء الشرقي والجنوبي من سورية، وتمتد شمالا من المعرة- على طريق حلب- إلى الجنوب حتى الحدود المصرية، والى الغرب تمتد إلى جبال النصيرية ولبنان، ثم مجرى نهر الأردن، وتقطع مجرى النهر من جهة بيسان بحيث تضم جهات نابلس والقدس والخليل وغزة، أما إلى الشرق فتمتد لتضم تدمر[٥].

وبذلك يمكن القول إن حدود ولاية الشام منذ بداية القرن الثامن عشر الميلادي كانت على النحو التالي: "من الشمال إيالة حلب وإيالة طرابلس، ومن الجنوب مصر وصحراء سيناء، ومن الشرق بادية الشام، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط، وإيالة طرابلس من الشمال الغربي" [٦].

أما ألوية ولاية الشام فهي: القدس الشريف، غزة، صفد ونابلس، عجلون، اللجون، الشام (دمشق)، تدمر، صيدا وبيروت، الكرك والشوبك)[٧]، ويقسم اللواء إلى وحدات إدارية أصغر تدعى النواحي، التي كانت تتكون من أجزاء رئيسية تشمل القرى والمدن[٨]، هذه هي التقسيمات

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم- التقسيم الإداري لسورية في العهد العثماني، الباشويات العثمانية والعصبيات الإقطاعية، حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس، المجلد الأول، ١٩٥١، ص ١٤١.

(٢) السنجق: في العربية الصنجق وتعني اللواء. أنظر رافق-بلاد الشام، ص ٨٠-٨١. نقولا زيادة - أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، ص٣١.

(٣) عوض-الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ، ص ٦٢.

(٤) البديري-حوادث، (المقدمة) ص ٥.

(٥) أحمد عزت عبد الكريم- التقسيم الإداري لسورية في العهد العثماني، حوليات كلية الآداب، المجلد الأول، ١٩٥١، ص ١٤٥-١٤٦.

(٦) عبدالعزيز عوض- الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، ص ٦٢.

(٧) خليل ساحلي أوغلو-قوانين آل عثمان لعين على أفندي، دراسات ، مجلد ١٤، عدد ٤، عمان، ١٩٨٧،ص ١٢٠.

(٨) جودت-تاريخ جودت، ج١ص ٣٤٩-٣٥٠. انظر أيضاً خالد صافي - ظاهر العمر الزيداني، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٧ ، ص٢-٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإدارية لولاية الشام في القرن الثامن عشر.

وكان لولاية الشام (دمشق) المقام الأول بين الولايات الشامية، حتى إن ابن كنان وصفها بأنها بمثابة القلب من تلك الولايات، فقد قال عنها على لسان ابن حبيب الحلبي[١]، في كتابه (تشنيف المسامع في وصف الجامع): "أنها وفي وجنة الدنيا كالشامة، وفي البلاد كالطاووس، أو طوق الحمامة، وفي دائرة الأقطار كالنقطة المعلمة، وفي جيوش الأمصار، كالملك الذي ينطق بالحكمة، وفي قلادة الأقاليم كالواسطة (كالدرة)، وفي سماء الممالك كالشمس التي بدت أشعتها في الوجود باسطة"[٢]، ولعله في ذلك كان متجاوبا مع التغيرات التي أجرتها السلطات العثمانية المركزية في القرن الثامن عشر في تصريف شؤونها الإدارية، من حيث سعيها إلى تكريس السلطة بيد واليها، وتشديد قبضته على ولايته، فمدت سلطته المباشرة على عدد أكبر من السناجق، إضافة إلى سنجقه الذي يقيم فيه، وأسلمته إمارة الحج الشامي[٣]، وأسقطت تكليفه من الاشتراك في بعض حروب الامبراطورية العثمانية[٤]، ليتفرغ لشؤون ولايته، ولبعد ولاية دمشق عن مركز التحركات العسكرية العثمانية، لا سيما في أوروبا، حيث كانت الفرقة العسكرية التي تبعث من دمشق لها لا تصل إلى ساحة القتال في الوقت الملائم، إضافة إلى أن عددها كان قليلاً، ويبدو أن هذا الأمر كان بالنسبة لوالي دمشق يعني حرمانه من الاشتراك في حملات الامبراطورية، التي كانت من الممكن أن تتيح له فرصة تقديم خدماته للسلطان العثماني، لاستلامه مناصب أعلى، أما الدولة العثمانية فقد رأت أن إمره والي دمشق للحج، وحمايته لقافلة الحج الشامي من هجوم القبائل البدوية الذي تزايد، خاصة في النصف الأول من القرن الثامن عشر، وعرض سمعة الدولة للمهانة، يمكن أن يكون بمثابة حملة عسكرية تحل محل الحملات العسكرية الامبراطورية،إضافة إلى أن توسيع سيادته المباشرة على السناجق التابعة لولايته قد يكون تعويضا له عمَّا خسره من ذلك الإجراء[٥].

فقد امتدت سلطة أصلان باشا عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م إلى بعض السناجق، مثل بعلبك،

---

(١) الحموي-معجم البلدان، ج٢ ، ص ٤٦٣.

(٢) ابن كنان- المواكب الإسلامية،ج١ ، ص ١٩٨-١٩٩.

(٣) وهذا ما سنتعرض له بالتفصيل فيما بعد.

(٤) للمزيد عن إسهام ولاية دمشق في الحملات العسكرية الإمبراطورية أنظر

Barbir-Karl, Ottomanrul in Damascus , P. 35.

(٥) ابن كنان-المواكب الإسلامية،ج١ ، ص ٣٦-٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحمص، وصفد، وغيرها، وظلت طرابلس تابعة له[١].

وقد ارتبط بوالي دمشق جهاز إداري مكون من الموظفين المدنيين والعسكريين سنأتي على ذكرهم فيما بعد، كما رابطت في مدينة دمشق قوة عسكرية عثمانية منوعة، وقبل الحديث عن الجهاز العسكري في المدينة لا بد من التعرف على الجهاز الإداري وأعضائه.

الجهاز الإداري:

يتكون الجهاز الإداري في ولاية دمشق من العناصر التالية:

أ- الوالي:

ويمثل السلطان العثماني في دمشق، ويعين مباشرة من إستانبول[٢] وقد كان ولاة الشام طيلة القرن الثامن عشر برتبة وزير أو باشا[٣]، بثلاثة أطواخ[٤]، وكان عدد الأطواخ يختلف بحسب رتبة صاحبها، فالسلطان كان يتقدمه موكب في ميدان القتال يحمل سارية تعلوها سبعة أو تسعة أطواخ، والصدر الأعظم خمسة أطواخ، والوزير ثلاثة أطواخ، وبكوات السناجق لهم الحق في رفع طوخ واحد، أما بك البكوات (أمير الأمراء) كان له الحق في رفع طوخين[٥].

وقد استعملت كلمة أذيال للدلالة على (الأطواخ)، في بعض الوثائق ويظهر ذلك فيما ذكره قنصل فرنسا في صيدا عام ١٧١٧م عن الوالي أو الباشا في دمشق: "يدير شؤون دمشق باشا

---

(١) ابن كنان- الحوادث اليومية، ج١ ، ص ٤٣ب.

(٢) رافق- العرب والعثمانيون، ص٤٤-٤٥.

(٣) باشا: وهي اختصار للكلمة الفارسية بادشاه أو سيد (الرئيس)،وهذا اللقب من الألقاب التركية الرسمية أطلق أولاً على كبير أبناء العائلات التركية،ثم استعمل في المناصب والرتب العليا. أنظر جب وبوون-المجتمع الإسلامي، ج١ ، ص ١٩٧-١٩٨، النهر والي -البرق اليماني في الفتح العثماني، (المقدمة) ص ٧٥.

(٤) الطوخ: هو ذيل الحصان، كان يعلق على علم البكوات والأمراء والوزراء والصدر الأعظم، وحتى السلطان، وفي أعلاه كرة ذهبية. وكانت الأطواخ تؤخذ في الأصل من ذيول الياقات (جمع ياق) شعر العجل المقدس في التبت . وليس من ذيول الخيل. أنظر جب.وبوون-المجتمع الإسلامي، ج١ ، ص ١٩٧.

Huart - CL. - Tugh, E.I.1. pp. 820-821.

(٥) الغزي- نهر الذهب،ج١ ، ص ٣١٥، غرايبة-سورية في القرن التاسع عشر، ص ٤١. شوكت - التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، ص ٧٨-٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

برتبة ثلاثة أذيال »[١].

ويبدو أنه في بداية العهد العثماني ومع نظام الدفشرمة، كان يتم تعيين أفراد القابي قول[٢] في منصب الولاية، ومع فساد هذا النظام وإلغائه، بدأ في القرن الثامن عشر يعين في منصب الوالي أعيان من العرب والأتراك، ويؤكد ذلك القانون الصادر عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م الذي تضمَّن السماح بتعيين الإقطاعيين المحليين في منصب الوالي[٣].

وكان الوالي في مدينة دمشق يعين في منصبه لمدة سنة واحدة[٤]، وقد يجدد له في منصبه، بفرمان جديد من استانبول أطلق عليه اسم مكرر[٥]، ويبدو أن التوجيهات في تعيين الوالي أو التجديد له في منصبه كانت تصدر في أوائل شهر شوال من كل عام[٦].

وقد عُدَّ الوالي مسؤولا عن إدارة المدينة، فكان عليه الحفاظ على استمرارية تطبيق القوانين، وقيادة الفرق العسكرية، وجباية الضرائب، وتأمين الدعاوى القضائية، وتنظيم الاتصالات البريدية الرسمية، وحماية طرق التجارة، وتأمين تزويد المدينة بالمياه، وتجهيز المرافق العامة، ومراقبة أسعار العملات، وتعيين رؤساء المشاغل والورش في الأحياء، والفصل في المنازعات بين المشاغل، ومنع ارتياد المقاهي خلال الليل، ومنع ظهور النساء في الأماكن العامة في المدينة[٧].

ويبدو أن هذه الصلاحيات لم تقتصر على الوالي، فقد عمل إلى جانب الوالي في إدارة الولاية عدد من الموظفين ارتبطوا به مباشرة، وشكل هؤلاء حاشية خاصة بالوالي، ويأتي على رأس هؤلاء الكنخدا (الكيخيا)[٨] الذي اعتبر مدير مكتب الوالي وهو صلة الوصل بين الوالي

---

(١) أنظر الوثيقة من السيد "بولار" قنصل فرنسا في صيدا إلى الماريشال"دستريه" رئيس مجلس البحرية ووزير الدولة بباريس: الوثائق الدبلوماسية، تاريخ لبنان الحديث-السفير عادل إسماعيل ومنير إسماعيل، ص ٨١- وثيقة رقم ١٣.

(٢) تحريف للكلمة التركية (قبوقولو) ومعناها عبيد الباب. أنظر رافق-بلاد الشام، (هامش) ص ٧٣، ابن كنان-المواكب الإسلامية،ج١ ، ص ٤٦.

(٣) سميليا نسكايا - البنى الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢٤٣.

(٤) أحمد عزت عبد الكريم، التقسيم الإداري لسورية في العهد العثماني، حوليات كلية الآداب، مجلد ١، القاهرة، ١٩٥١، ص ١٤١.

(٥) ابن الصديق غرائب البدائع ، ص ١٣٧.

(٦) أحمد عزت عبد الكريم - التقسيم الإداري لسورية في العهد العثماني، ص ١٤١.

(٧) سميليا نسكايا- البنى الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢٣٥، البديري-حوادث ، ص ٦٤، ١٨٣، توفيق بدو- العرب والترك، ص ٤٨١-٤٨٣.

(٨) معاون الوالي أنظر ص ٣٦ من هذا الفصل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسكان المحليين، وكان أقرب مساعدي الوالي لإدارة شؤون الولايـة، وكثيرا مـا كـان الكنخـدا يقوم بمهام الوالي في حال غيابه، ويدعى في هذه الحالة المتسلم [١]، الذي ينوب عـن الـوالي ويقيـم مكانه في تصريف أمور المدينة أثناء غيابه إلى حـين عودتـه إليـها، وكـان يتحمـل مسـؤولية كبـيرة خاصة في مدينة دمشق عندما يكون والي دمشق مضطر للغياب عن المدينة فترة طويلة، أثناء قيامـه بالدورة لقيادة قافلة الحج الشامي، وكان يتبع الوالي جمع من الموظفين (مدنيين وعسـكريين)، منـهم: المكتوبجي[٢] (كاتب الرسائل)، والمهردار[٣]، وأمين الصندوق (خزنة دار أو خزني) وربما قصد بـه وكيل الخرج[٤]، فقد كان محمد آغا الديري وكيل الخرج لدى والي دمشق سليمان باشا العظـم عـام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م[٥]، كما كان عمر آغا بن عمر[٦] وكيل للخرج لدى والي دمشق عبـدالله باشـا العظم عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م، ثم باغ جه جي (البقجة جي) (حامل البضـائع) والمعصرجـي[٧]، ثم المحضر بباب السرايا (مقر الوالي)، فقد ورد في سجل المحكمة الكبرى بدمشق أن الحـاج باكـير آغا البزجكلي كان محضرا في باب السرايا لدى والي دمشق سعد الدين باشا العظم[٨].

ثم السلحدار[٩] وهو الذي يشرف على دار السلاح وترتيبه لدى الوالي، ثم العلمدار[١٠]، وهو

---

(١) نائب الوالي أنظر أيضاً ص ٣١ من هذا الفصل حيث تناولنا الموظفين المشاركين في إدارة الولاية بالتفصيل.

(٢) جب و بوون- المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص١٦٧. غرايبة-مقدمة تاريخ العرب الحديث، ج١ ، ص٦٠.

(٣) المهر بمعنى الختم وهو الآغا حامل أختام الوالي. انظر: العورة- تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، (هامش) ص ١٦٢.

(٤) الخرج تعني كلمة خرج في العربية "دخل" وفي التركية تعني "منصرف" أو "صـرف" ووكيـل الخـرج هـو الضابط المعتمد من قبل وحدته العسكرية بصفته رئيـس المحاسـبة واللفـظ عثمـاني ويعـني المعتمـد المـالي. وكان يتولى صرف المهمات الخاصة بالوالي. انظـر جـب وبـوون - المجتمـع الإسـلامي، ج٢، ص١٧٧. دعد الحكيم - الوثائق الشرعية كمصدر لبحـث الحيـاة الاقتصاديـة في العـهد العثمـاني، المجلـة التاريخيـة المغربية، ص٣٩٤ - ٤٠ .

(٥) البديري -حوادث، ص ٥٤، ٨٠.

(٦) نعيسة -مجتمع مدينة دمشق، ج١ ، ص ٢٠٥.

(٧) المرجع نفسه، ص٢٠٥.

(٨) سعد الدين باشا العظم هو أخو أسعد باشا من أبيه إسماعيل باشا العظم، رفعه السلطان العثمـاني إلى رتبـة الوزارة عام ١١٥٩هـ/١٧٤٦م، ثم جعله والياً على طرابلس، ثم إلى جدة، ثم جاء الأمـر بعزلـه وضبـط ماله. انظر البديري - حوادث، المقدمة، ص٣٦-٣٧.

(٩) جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص١٢٠. البديري-حوادث، ص ٨، ٤٨.

(١٠) العورة-تاريخ ولاية سليمان باشا العادل ، ص ١٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يعنى بحفظ الأعلام والبيارق، ثم البيرقدار[١] المكلف بحمل البيارق أمام الوزير في المواكب الإسلامية، وأبريقدار[٢] وهو السقاء الذي يهتم بإعداد المياه وتقديمها للوالي، أو للضيوف إما للشرب أو الغسيل، وشمعدان أغاسي[٣]، الآغا الذي كان يتولى إعداد الشموع للإنارة، والتشريفاتي[٤]، احتشامات أغاسي، وألاي باش جاويش[٥]،مفوض الشرطة، وقواص باشي[٦]، رئيس الحرس، واربة أميني[٧]، وهو أحد موظفي الوالي الموكل على الشعير للخيل، وله كمية من الشعير على كل علوفة، والكيلارجي[٨]، وهو القائم على بيت المؤونة أو الطبخ، والقفطانجي[٩]، وهو الشخص المكلف بحمل وصيانة ألبسة الوالي، وباش جاويش أيج أوغلان[١٠]، الآغا المكلف بالإشراف على شؤون الغلمان داخل السراي، وصفرجي باشي[١١]، الذي يهتم بإعداد الطعام، ورضوان آغا[١٢]، الحافظ لعدد خيول ودواب الوالي، وأمير أخور[١٣]، رئيس الاسطبلات، أو الحاجب. ولقد ورد في سجل المحكمة الكبرى بدمشق لعام ١٢١١هـ/ ١٢١٢هـ أن حسن آغا كان في عام ١٢١٢هـ - ١٧٩٣م آغا البوابين لوالي دمشق عبدالله باشا العظم[١٤]، كذلك وجد الديوان أفنديسي رئيس الديوان، والدوزدار[١٥]، كاتب مسودات الرسائل، ووجد كذلك الصوباشي، مدير الشرطة[١٦].

والنوع الآخر من الموظفين استقلوا عن الوالي، وارتبطوا بالعاصمة استانبول، واعتبروا بمثابة

---

(١) لفظ فارسي - تركي مركب من بيرق بمعنى راية، ودار: بمعنى صاحب فيصبح معناها حامل الراية أو العلم. انظر شوكت - التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، ص١٠٨.

(٢) العورة-تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، ص ١٦٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٦٢.

(٤) من فعل شرف العربي الذي يعني حضر. أنظر جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص١٦٧، غرايبة-مقدمة تاريخ العرب الحديث، ج١ ، ص ٦٠.

(٥) العورة -تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، ص ١٦٢.

(٦) المرجع نفسه، ص، ١٦٢.

(٧) جب وبوون- المجتمع الإسلامي، ج١ ، ص ١٢٥.

(٨) ابن الصديق- غرائب البدائع، ص ٥٢.

(٩) المصدر نفسه ، ص ٥١.

(١٠) العورة-تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، ص ١٦٢.

(١١) المرجع نفسه، ص ١٦٣.

(١٢) ابن الصديق- غرائب البدائع، ص ١٥٥.

(١٣) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ج١ ، ص ٢٠٦.

(١٤) المرجع نفسه ، ص ٢٠٦.

(١٥) ابن الصديق-غرائب البدائع ، ص ٨٨.

(١٦) غرايبة-مقدمة في تاريخ العرب الحديث، ج١ ، ص ٦٠، سيتم الحديث عنه فيما بعد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جهاز رقابة من قبل الباب العالي، بهدف الحد من تمرد الولاة وزيادة نفوذهم، وتألف هذا الجهاز من عدد من الموظفين هم القضاة والدفتردار[١] وآغوات الانكشارية، فقد كان القضاة يعينون مباشرة من استانبول، وكانت صلاحياتهم تتمثل بمراقبة جباية الضرائب في دمشق، والإشراف على الأشغال العامة التي كان ينظمها الوالي، وبموجب القانون الصادر عام ١٦٧٦م قلصت صلاحيات القاضي، وأصبحت وظيفته الرئيسية توجيه الاحتجاجات والشكاوى إلى الباب العالي على تصرفات الوالي[٢]، أما القوات العسكرية فكان للوالي سلطة عليها، حيث كان يوجد في مدينة دمشق في القرن الثامن عشر ثلاثة أنواع من القوى العسكرية[٣]، وكان في المدينة فرق من الانكشارية تقوم بمهمات محددة من الباب العالي، يأتي على رأس كل فرقة عسكرية من الانكشارية آغا يعين من قبل السردار[٤] الأعلى للإنكشارية في استانبول، وكان هؤلاء يتمتعون بنوع من الاستقلالية في بعض الأحيان[٥]، أما الديزدار[٦]، فلم يكن يخضع للسلطة المحلية، وكان الدزداريون بالأصل حراساً للقلاع في الولايات، وكانت وظيفتهم حماية القانون والنظام في زمن السلم، وكانوا من الأوجاقات الثابتة[٧]، كما وجد في المدينة القوات السباهية[٨]، والقوات الخاصة بالوالي[٩]، أما الدفتردار[١٠]، فقد كان يشرف على حسابات ولاية دمشق ويتولى وظيفته بموجب فرمان من استانبول، وقد ترأس الوالي في مدينة دمشق ما عرف باسم الديوان[١١]، ويبدو

---

(١) غرايبة-تاريخ سورية في القرن التاسع عشر، ص ٤٤-٤٥.

(٢) سميليا نسكايا - البنى الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٣٦.

(٣) أنظر الفصل الثاني حيث سنتناول هذا الموضوع بالتفصيل.

(٤) السردار: كلمة تركية تعني الرئيس، كانت تطلق على الرؤساء والقادة العسكريين. سليم بك عنحوري- مميزات الألقاب للملوك وأرباب الخطط والعمال، مجلة اللغة العربية بدمشق، ج٥ ، ١٩٢٤، ص ٢٠٣.

(٥) عماد، عبدالغني - السلطة في بلاد الشام، ص ٦٣.

(٦) الديزدار : كلمة فارسية الأصل مكونة من (دز) وتعني القلعة أو الحصن ، (ودار) تعني مكان، وكلتاهما تعنيان دار الحفظ، وهنا تعني قائد حامية القلعة من الإنكشارية-القابي قول. أنظر جب وبوون- المجتمع الإسلامي، ج١، ص ٢٢.

(٧) المرجع نفسه، ص ٢٢.

(٨) وهم الفرسان. أنظر ص ٧٦ من الفصل الثاني من هذا البحث.

(٩) أنظر الفصل الثاني من هذا البحث.

(١٠) المسؤول عن الشؤون المالية.

(١١) تعني الاجتماع، ويعزى اشتقاق هذه الكلمة إلى أصل فارسي من كلمة (Diwan)، ويعزوها آخرون إلى أصل عربي مشتقاً من كلمة (دون) أي سجل وجمع، وهنا المقصود بها اجتماع استشاري. أنظر العبد-قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص ٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن من الأعضاء الدائمين في الديوان (المجلس الكبير) الباشا، الكاخيا، الدفتردار، آغا الانكشارية، القاضي، يعاونهم مسؤول دفتر التيمار والصوباشي والعسس. كما أن هذه الهيئة كانت ثابتة العدد في القرن الثامن عشر، ففي حلب، يذكر بودمان أن مجلس الديوان في حلب كان يعقد إلى الاجتماع بصورة دورية ومنتظمة، صباح نهار كل جمعة، وكان أعضاؤه يجتمعون في قاعة المحكمة؛ لمرافقة القاضي إلى السرايا الحكومية لحضور جلسة الديوان، ومن هناك وبعد الجلسة كانت المسيرة وعلى رأسها الباشا تتجه إلى المسجد للصلاة[١]، أما في مدينة دمشق يظهر أن الديوان لم يكن يعقد بشكل منتظم كما في حلب، و لم تكن له صلاحيات محددة، وإنما يمكن الاستنتاج أن الديوان كان يعقد في مناسبات معينة[٢]، يحضرها أعداد مختلفة لأعضاء هيئات الدواوين[٣]، وأن الدعوة إلى عقد اجتماع الديوان تعود للوالي[٤].

٥١٣٢٤٤

ومن صلاحيات الديوان في دمشق، الاهتمام بإدارة شؤون المدينة الداخلية، وإطلاع الوالي من قبل أعضاء الديوان على الأوضاع الداخلية للمدينة، ومساعدته على تنفيذ أوامر السلطة المركزية[٥]، إضافة إلى ذلك فإن الديوان كان مسؤولا عن إدارة الأوضاع السياسية، أثناء غياب الوالي عن المدينة، حيث كان الديوان مؤهلا لإتخاذ القرارات، كانتخاب متسلم جديد، والقيام بدور المصالحة بين الجماعات المتنازعة، ودعوة القوات العسكرية للتدخل[٦]، و لم يكن الديوان يملك قوى عسكرية خاصة به، ولا جهاز إدارة باستثناء بعض الأمناء ومرؤوسيهم، وكثيرا ما كان يجتمع الديوان في الظروف الصعبة، فعلى سبيل المثال عندما هاجم البدو قافلة الحج الشامي عام ١١٧١هـ-١٧٥٧م، ووصل الخبر إلى الشام، ضجَّ العالم، وتباكت الخلق، وأظلمت الشام، وقامت العامة، وهجموا على المتسلم بالسرايا ورجموه بالحجارة، فاجتمعت الموالي والأغوات، ونادوا بإخراج الدواب من البلد، وكتبوا عرضا للدولة يعلموهم بهذه الحال[٧].

وعلى ما يبدو فإنه في أوائل القرن الثامن عشر قد طرأ تطور على سلطة الوالي في دمشق،

---

(١) Bodman, Political factions, P 34-35.

(٢) انظر البديري-حوادث، ص ٥٢. ابن الصديق-غرائب البدائع ، ص ٩١-٩٩.

(٣) البديري-حوادث، ص ٣٢، ٥٠.

(٤) سميليا سكايا - البنى الاقتصادية والاجتماعية، ص ٢٧٤.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٧٥.

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٧٥.

(٧) البديري-حوادث ، ص ٢٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمثل في إسناد إمارة الحج إلى والي دمشق بالتحديد منذ عام ١١١٩هـ/ ١٧٠٨م[١]، وبذلك أصبحت ولاية دمشق وإمارة الحج في يد شخص واحد، كما مدت سلطته المباشرة على عدد كبير من سناجق الولاية كونه جمع بين ولاية دمشق وإمارة الحج[٢].

ويمكن تفسير هذه الخطوة التي تمثل بُعداً جديداً في الإدارة لوالي دمشق، لأسباب تتعلق بالدولة العثمانية الحاكمة، وولاية دمشق، ففي أوائل القرن الثامن عشر اتبعت السلطة المركزية في استانبول سياسة دعم سلطة الولاة، كجزء من السياسة المركزية التي عادت الدولة العثمانية إلى تنظيمها وتأكيدها، خاصة عندما ظهر اتجاه في بعض الولايات إلى النزوع للاستقلال الذاتي عن الدولة منذ مطلع القرن الثامن عشر، الأمر الذي تصدت له الدولة العثمانية، محققة بعض الانتصارات العسكرية في الميدان الأوروبي تمثلت في استردادها لشبه جزيرة المورة عام ١١٢٠هـ-١٧٠٩م، وهزيمتها لبطرس الأكبر عام ١١٢٣هـ- ١٧١٢م وحصولها على تنازلات من النمساويين والروس عام ١٧٢٩م بما فيها إستعادة بلغراد[٣]. فكان على الدولة العثمانية أن تعمل من جديد على إحياء نظمها الإدارية، وتجديدها في ولاية دمشق خلال الفترة بين ١١١٩-١١٧٢هـ/ ١٧٠٨-١٧٥٨م، خاصة في ثلاثة أمور متميزة ومترابطة، هي: سلطة الولاة فيها، استيعاب القوى المحلية، وإعادة تنظيم قافلة الحج الشامي؛ لتشديد قبضتها على هذه الولاية، فأرسلت إلى دمشق قوة عسكرية من القابي قول قدر عددها بثلاثمائة جندي[٤]، لتثبيت السلطة المركزية في الولاية، ومساعدة الوالي في تشديد قبضته على ولايته.

ويظهر أن الدولة العثمانية قد تابعت هذا الدعم العسكري في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، حتى أنها أرسلت في عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٦-١٧٠٧م، ثماني فرق أخرى إلى قلعة دمشق[٥]، كما أنها عملت على الإستغناء تدريجيا عن خدمات قوات دمشق العسكرية في حروب الامبراطورية، لتثبيت إقامته في الولاية، وجعلت إمارة الحج منذ عام ١١١٩هـ/ ١٧٠٨م بيد واليها، ومدت سلطته المباشرة على عدد كبير من صناجق الولاية كما أشرت إلى ذلك سابقا، وأبقت على قوات الوالي الخاصة من السكبان، والتفنكجية، واللاوند، والدالاتية،

---

(١) ابن كنان- المواكب الإسلامية، ج١ ، ص ٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١ ، ص ٣٦.

(٣) نفسه، ج١ ، ص ٣٣.

(٤) نفسه، ج١ ، ص ٣٣.

(٥) ابن كنان-الحوادث اليومية، ج١ ، ص ٦٧أ-٦٧ب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمغاربة[١]، ويفسر دعم الدولة العثمانية لولاية دمشق، برغبة السلطة المركزية العثمانية في الحفاظ على هيمنتها على الولاية؛ لأهميتها الاستراتيجية والدينية والاقتصادية، وبالتالي فهي تشكل الطريق الذي تسلكه قافلة الحج الشامي، والتي تعد المظهر الديني الذي يبرز السلطة الدينية للسلطان العثماني بصفته خادم الحرمين الشريفين[٢].

يتضح مما سبق أن والي دمشق أصبح يتمتع في القرن الثامن عشر بسلطة أقوى من القرون السابقة، إلا أن طريقة انتقائه وتعيينه وإقامته في ولايته بقيت تخضع لتأثير وكلائه الماليين في استانبول (القابي كتخدا)، وهذا يفسر استمرار الوالي في دفع مبالغ نقدية، وهدايا للسلطان والصدر الأعظم لهذه الغاية، ومدى التزام الوالي بإرسال الصرة[٣]، سنوياً مع قافلة الحج، كما ارتبط تعيينه ومدة إقامته في ولايته بمدى خشية السلطان من نفوذه، ورضى الأهالي والقوى المحلية في ولايته عنه، ومدى توطيده الأمن، لا سيما أمن قافلة الحج، فالعديد من ولاة دمشق كان وراء عزلهم إخفاقهم في تأمين سلامة الحج، ووراء تمديد مدة ولايتهم نجاحهم في هذه المهمة، أمثال نصوح باشا الذي بقي على الولاية ست سنوات (١١٢٠هـ/١٧٠٨م)، وسليمان باشا العظم الذي تولى دمشق لمدة خمس سنوات في ولايته الأولى (١٧٣٣- ١٧٣٨م) إلا أن أمر الأول انتهى بالعزل والقتل؛ لخوف السلطة المركزية من سطوته، وما يمكن أن تجر وراءها من تفكير بالاستقلال،وعُزل الثاني إلا أنه أعيد ثانية لدمشق لمدة ثلاث سنوات عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م[٤].

ويبدو أن الدولة العثمانية قد لجأت إلى إسناد إمارة الحج إلى ولاة دمشق، بعد تجربة طويلة مع هذا المنصب خلال الفترة التي سبقت، فلفترة طويلة كانت تعين لهذا الأمر أفرادا مقيمين في ولاية دمشق، أو من البدو (كقانصوه الغزاوي) في عجلون ١٥٧١- ١٥٨٧م، والزعامات المحلية في السناجق التابعة للولاية، من اليرلية كموسى التركماني (١٦٧٠- ١٦٧١م) وخليل بن كيوان (١٦٧٧- ١٦٨١،١٦٨٢م)، أو ولاة وشخصيات من خارج دمشق، كتعيينها شريف مكة (يحيى بن بركات) في هذا المنصب عام ١١٠٢هـ/ ١٩٦٠-١٩٦١م، الذي عزل عنها لمهاجمة البدو الحجاج وعدم تأمين أمن القافلة[٥]، أو من العلماء الأفندية، حيث عينت الدولة محمد باشا

---

(١) للمزيد عن هذه الفرق انظر الفصل الثاني من هذا البحث.

(٢) ابن كنان - المواكب الإسلامية، ج١ ، ص ٣٥.

(٣) الصرة وهي الأموال التي كانت ترسل من العاصمة العثمانية (القسطنطينية) إلى والي دمشق ليرسلها بدوره (بصفته أمير الحاج) إلى مكة والمدينة للإنفاق على العلماء والفقراء فيهما، كما كان يتم إرسال الصر إلى القبائل البدوية، رافق-قافلة الحج الشامي، ص ٢٠٠.

(٤) ابن كنان-المواكب الإسلامية، ج١ ، ص ٣٨.

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرومي الشهير بمحمد أفندي في هذا المنصب عام (١١١٢هـ/ ١٧٠٠م)، وقد أبيدت القافلة في هذا العام، لذلك اهتم السلطان العثماني بسمعته بين المسلمين بصفته حامي الحرمين الشريفين، وبدا أكثر حرصا على تأمين سلامة القافلة، فأسند إلى والي دمشق اعتبارا من عام١٧٠٨م إمارة القافلة بصورة مستمرة حتى عام ١٨٦٦م[١].

وفي الحقيقة فإن ولاية نصوح باشا[٢]، التي استمرت لمدة ست سنوات بين ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م- ١١٢٦هـ/ ١٧١٥م، تمثل بشكل بارز تلك التطورات التي أدخلت على منصب الوالي، ونتائجها في دعم الحكم العثماني في دمشق، ويبدو أنه كان جريئاً وشديد البأس، ومن ثم وقع اختيار الدولة عليه للولاية وقيادة قافلة الحج الشامي، وقد وصفه القاري بأنه من عجائب الدنيا، ومن أرباب العقول[٣]، وعرف عنه أنه حَسَّن المواصلات بين دمشق والديار المقدسة، ويبدو أن هذه الخطوة هامة لتثبيت السلطة العثمانية، ووجه ضربة قوية للأعراب عندما قتل كليباً السردي[٤]، وبذلك تخلص نصوح باشا من أكبر خطر محلي كان يهدد قافلة الحج الشامي[٥]، كما أنه قام بحملات في مختلف انحاء ولاية دمشق وقاتل أهل عرابة[٦]، كما قاتل أهالي البلقاء من عرب المسعودي، وحاصر قلعة الكرك وأخذها بالقوة[٧].

ويظهر أن نصوح باشا لم يؤدب المتمردين فحسب، بل سعى لتخفيف عبء الضرائب عن

---

(١) رافق-قافلة الحج الشامي، ص ١٩٧.

(٢) نصوح باشا أصله من أيدين على الساحل الغربي للأناضول. وقد عمل محصلاً لإيدين (جابي ضرائبها) وبقي في هذا المنصب حتى عام ١١٢٦هـ/١٧١٤م. أي حتى وفاته، واتخذ له نواباً لمساعدته في عمله. أثناء ولايته على دمشق. أنظر Barbir - Karl, Ottoman rule in Damascus , P 57-58.

(٣) القاري-الوزراء الذين حكموا دمشق، ص ٦٧، أنظر عنه الفصل الرابع ص ٥، ٦، ٧ .

(٤) كليب السردي من شيوخ عرب الصقر، وقد عينته الدولة العثمانية بموجب فرمان من استانبول كرئيس للقبائل العربية في الصحراء السورية كما أطلق عليه لقب "شيخ بلاد حوران" ، ومن المهام التي كلفته الدولة بها مساعدة أمير الحاج، ونقل المؤن إلى القلاع المتواجدة على الطريق قافلة الحج الشامي. ويبدو أنه فيما بعد أهمل في مهامه حتى أن أصبح يشكل خطراً على قافلة الحج بمهاجمتها . أنظر المقار-الباشاة والقضاة، ص ٥٢، ابن كنان- المواكب الإسلامية، ج١ ، ص ٤٢،

Rafeq, The Province of Damascus, P 103 .

(٥) ابن كنان-المواكب الإسلامية،ج١ ، ص ٤٢،

(٦) عرابة من أعمال جنين .

(٧) المقار-الباشاة والقضاة، ص ٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأهالي فأوقف عدداً منها، وألغى حجج الديون على الفلاحين، وضبط قمح البلاد ليتأكد من وجوده ووفرته حتى أيام البيادر، كما تقرب إلى العلماء بتوزيع الهدايا والمال على الفقراء، والمدارس وطلبة العلم [١].

نستدل مما سبق أن نصوح باشا قد تمكن من دعم الحكم العثماني في ولاية دمشق، وأحاط بكل شيء فيها، حتى قال عنه ابن كنان: "ما غلبه أحد في أمر من الأمور، ولا عجزه شيء بهذه البلاد الشامية مدة ملكه، لا يسعى في أمر حتى يتم... حتى كان يظن له خبرة في علم الاستخدام والشدة ما يرى من استمام أموره كلها" [٢].

ويبدو أن الدولة المركزية أدركت خطره وخطر مطامحه، إذ كان في عام ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م والياً لدمشق وأميرا للحج وواليا لجدة، يشرف مباشرة عن طريق حاشيته على سناجق القدس، وعجلون، وغزة، ونابلس، وصفد، وبعلبك، وبانياس (قرب اللاذقية)، فعملت الدولة على إزاحته عندما أرسلت إلى طوبال يوسف باشا، والي حلب والرقة، بجيشه الكثيف لملاقاته؛ قبل دخوله إلى دمشق أثناء عودته من الحج في صفر من عام ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م[٣].

لقد قدم نصوح باشا نموذجاً جديداً في حكم ولاية دمشق، ولقد سعى لتقليده من بعده آل العظم، مع توسيع دائرة نفوذهم على الولايات الشامية الأخرى. وعلى إثر ذلك أصبح ولاة دمشق منذ بداية القرن الثامن عشر الميلادي إلى نهاية الستينات منه، مكلفين بتجهيز القافلة بما تحتاج إليه من المواد التموينية، وتوفير الأمن والاستقرار، ولقد تمكن ولاة دمشق الأقوياء الذين كان معظمهم من آل العظم أن يحققوا بعضا من ذلك، وأن يدفعوا غارات البدو واعتداءات الجند على الفلاحين[٤]، ومن ولاة هذه الأسرة الأقوياء أسعد باشا العظم، الذي أرهب الكبار والصغار، وعظمت هيبته في البراري والقفار[٥]، وكان أطول حكام آل العظم حكما.

لقد مهدت الأوضاع السياسية التي عاشتها الولاية في هذه الفترة إلى ترك فراغ كبير في

---

(١) ابن كنان-المواكب الإسلامية، ج١ ، ص ٤٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤.

(٣) المقار - الباشاة والقضاة، ص٥٤ - ٥٥.

(٤) يوسف نعيسة-أوضاع الفلاحين في دمشق وصناجقها، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٢٣، ٢٤، ١٩٨٦، ص ٥٥.

(٥) البديري-حوادث، المقدمة، ص ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنطقة، مما دفع مختلف القوى المحلية[١] في دمشق، للتسابق لِمَلئه، فعادت للصراع فيما بينها، والصراع مع الولاة الذين توالوا على السلطة فيما بعد، بعد أن كسرت شوكتها في عهد نصوح باشا[٢].

وقبل الحديث عن القوى المحلية المتواجدة في مدينة دمشق في القرن الثامن عشر، لا بد من إعطاء لمحة موجزة عن قافلة الحج الشامي التي كان أميرها والي دمشق.[٣]

قافلة الحج الشامي:[٤]

كانت دمشق مركزا لتجمع وانطلاق قافلة الحج الشامي، وهو مظهر إسلامي اهتمت الدولة به، لذلك خصت ولاية دمشق بولاة من أفضل رجالها وأكثرهم استقامة، لكونهم المسؤولين عن سلامة قافلة الحج الشامي[٥].

ولذلك وصل إلى دمشق في موسم الحج، عدد كبير من الحجاج، من المناطق الشمالية والشرقية، من داخل الدولة العثمانية وخارجها، ووصل الحجاج إليها جماعات عرفت بحسب مناطقها الجغرافية، وكان أبرزها الحج المصري، والحج اليمني، والحج الشامي الذي ضم الحج الرومي[٦]، والحج الحلبي، والحج العجمي[٧]، كما التحق بتلك الجماعات حجاج من خارج مناطقهم، ويبدو أن أكثر تلك الجماعات عدداً كان الحج الرومي[٨].

ويظهر أن غالبية الحجاج كانت تأتي إلى دمشق قبل انطلاق القافلة بأربعة أو خمسة أشهر، ولكن الغالبية منهم كانت تصل في شهر رمضان، وقد استقر هؤلاء الحجاج في منطقة المرج[٩]،

---

(١) انظر عن القوى المحلية المتواجدة في مدينة دمشق الفصل الثاني من هذا البحث.

(٢) البديري-حوادث، المقدمة، ص ٣٦.

(٣) ابن كنان-المواكب الإسلامية، ج١ ، ص ٤٤.

(٤) رافق قافلة الحج الشامي، ص ١٩٣.

(٥) أحمد الشوابكة- حركة الجامعة الإسلامية، ص ٦٦.

(٦) أشار العرب، إلى البيزنطيين باسم الروم، الذين سكنوا مناطق ما وراء جبال طوروس والفرات قبل العثمانيين، وحين زال الحكم البيزنطي عن تلك المنطقة، الصق تعبير (روم)بالمنطقة من ناحية جغرافية رافق-قافلة الحج الشامي، ص ٢٣.

(٧) المرجع نفسه، ص ١٩٣، Russell, Aleppo, vol 1, P 199.

(٨) رافق- قافلة الحج الشامي ، ص ١٩٤.

(٩) كرد علي- غوطة دمشق، ص ٢٠-٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتقع إلى الشرق من غوطة دمشق، وفي خان الحرمين قرب باب البريد[١]، أو بالقرب من جامع الورد في سوق ساروجا[٢]، أما قافلة العجم، فقد كانت تستقر في محلة الخراب والسويقة[٣].

وبذلك وقع على عاتق مدينة دمشق على المستويين الرسمي والشعبي استقبال وتموين العدد الكبير من الحجاج، والإنشغال بقافلة الحج من حيث إعدادها واستعراضها وتوديعها وإمدادها بما تحتاج إليه أثناء، العودة[٤].

ويظهر أن الإعداد والتنظيم اللازمين لتجمع القافلة قبل خروجها من دمشق، قد سار في كل عام على وتيرة واحدة في العهد العثماني[٥]، وكانت أسواق دمشق[٦] وخاناتها تمتلىء بعدد كبير من الناس من مختلف الجنسيات، والأصناف، والإبل، والخيل والدواب[٧]، ومما يدل على عظم المناسبة أن أهل دمشق كانوا ينتظرون وصول قافلة العجم باهتمام كبير، خصوصاً إذا كانت كبيرة العدد، لأنهم يحضرون معهم ربيات ذهب ولؤلؤ كبير وصغير وأحجار ومعادن وغير ذلك، فيحدث على حد تعبير البديري "جبر خاطر لعموم الناس في البيع والشراء" [٨].

وإن أبناء دمشق يتزاحمون على أبواب المدينة للدخول إليها في هذه المناسبة وهم في أبهى حللهم القشيبة، وألوان أزيائهم الزاهية، فتمر الشخصيات البارزة وهي تمتطي صهوات جيادها بسروجها المذهبة، وكان من بين أبناء دمشق الفرس والتركمان عليهم عمائمهم وعباءاتهم الخاصة، أما الهنود والأفغان فيرتدون ستراتهم السوداء، والمغاربة ببرنسهم الوطني الأبيض اللون، إضافة إلى السمرقنديين والبخاريين، اما الجنود الأتراك فيرتدون زيا مزركشا على شكل جنود الزواوة أي (الجزائريون)، والحجاج الفرس بثياب فضفاضة[٩].

أما والي دمشق فقد تولى مهمة ضبط الأمن في المدينة، ورقابة الأسعار حتى لا يستبد التجار

---

(١) البديري-حوادث، ص ١٧٦.

(٢) رافق - قافلة الحج الشامي ، ص ١٩٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٧١.

(٤) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق،ج٢ ، ص ٦٧٠.

(٥) المرجع نفسه ، ص ٦٧٠.

(٦) للمزيد عن هذه الأسواق انظر قتيبة الشهابي - أسواق دمشق القديمة، دمشق، ١٩٩٠.

(٧) البديري-حوادث، المقدمة، ص ٤٧. ليلى الصباغ - المجتمع العربي السوري، ص١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠.

(٨) البديري-حوادث، المقدمة، ص ١٦١.

(٩) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ج٢ ، ص ٦٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأهالي المدينة وضيوفها[١]، كما تحمل الوالي مسؤولية إعداد المحمل[٢]، والسنجق[٣]، وتأليف القوة العسكرية التي سترافق المحمل والسنجق والتي تكونت عادة من العسكر الذين يحملون السنجق خلف المحمل والسنجق المحمولين يأتي الجربجية بأسلحتهم المذهبة، ومن بعدهم السكبانية، والأرناؤوطية، ثم الينكجرية، والسباهية، والزعماء، وعسكر القلعة القابي قول، وأعوانهم، وأكابر الدولة، وقاضي المحمل بعمامته، وباش الدفتردار، وآغا القابي قول بعمامته، وكاتب الينكجرية اليرلية[٤]، وقد رافقت هذه القوات العسكرية القافلة، لحمايتها ضد أي عدوان من قبل القبائل البدوية المتواجدة على طريق القافلة.

كما وقع على عاتق والي دمشق إعداد الآبار ومنازل الحج، حيث أشير إلى الطريق التي سلكتها قافلة الحج الشامي إلى مكة بالطريق السلطاني، التي تألفت من عدة منازل عرفت بمنازل الحج في القرنين السابع عشر والثامن عشر كما يلي: قبة الحج، القدم، الكسوة، المزيريب، الرمثا، المفرق، الزرقاء، البلقاء، القطرانة، الحسا، العنيزة، معان، العقبة، المدورة، ذات الحج، تبوك، الأخضر، هدية، خان دنون، كتيبة، القاع (قاع البسيط أو قاع الصغير) مغاير شعيب، المعظم، دار الحمراء، مدائن صالح، العلا، بيار الغنم (طوامير)، بئر الزمرد، شعب النعام، الفحلتين، وادي القرى، الجرف، المدينة المنورة، قبور الشهداء، الجديدة، رابغ، قديد، خليص، عسفان، وادي فاطمة، ومكة المكرمة[٥].

ويبدو أن الدولة العثمانية قد اهتمت بحماية منازل طريق الحج الشامي، ببناء القلاع فيها، وترميم القلاع القائمة بها، وتعزيزها بالحاميات العسكرية[٦].

- وكانت الدولة في البداية قد أوكلت إلى الجنود السباهيين حماية القلاع في تلك المنازل ثم

---

(١) البديري-حوادث، المقدمة، ص ٤٨.

(٢) المحمل أو الركب هيكل مغطى بقماش مخملي أخضر، كتب عليه بالمقصب آيات القرآن الكريم يحمله جمل مزين بأقمشة مزركشة وجلود جميلة كان يرافق أمير الحج من دمشق إلى الحجاز أنظر العبد-قطعة من حوادث سنة ١١٨٦ -١٢٤١هـ- (هامش) ص ١٣١، ابن الصديق-غرائب البدائع، ص ١٣٤.

(٣) خالد العظم-مذكرات خالد العظم، ج١ ، ص ١١، سوفاجيه-دمشق لمحة تاريخية، ص ٤٤.

(٤) وللمزيد عن موكب قافلة الحج الشامي أنظر ابن كنان-المواكب الإسلامية، ج١ ، ص ٣٣٩-٣٥٩

(٥) سالنامة ولاية سوريا ١٣٠٩/١٨٩١، ص ٢٢٨-٢٣٠، منازل طريق الحج، دفتر الشعير ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م، رافق-قافلة الحج الشامي، ص ١٧.

(٦) رافق-قافلة الحج الشامي، ص ٢٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حل محلهم الإنكشارية اليرلية بعد عام ١٦٦٠م، في حماية القلعة وسور وأبواب مدينة دمشق - واستمر ذلك خلال القرن الثامن عشر، وقام ولاة دمشق على فترات ببناء وترميم القلاع ووضع الحاميات العسكرية فيها[١].

بالإضافة إلى ذلك فإن الدولة لم تنس أن تدفع الصرة للقبائل البدوية الموجودة على طريق الحج الشامي، محاولة منها لضمان حماية الحجاج المارين بمناطقهم، وكسب ود هذه القبائل[٢]، وقد كلفت الدولة والي دمشق بهذه المهمة، كما كان عليه توزيع الصرة على أشراف الحجاز، وربما واجهته مشاكل أخرى فيها[٣].

ويبدو أن وجود هذا العدد الكبير من الحجاج، وإقامتهم في دمشق أكثر من شهر، قد أدى إلى انتعاش حركة التجارة داخل المدينة،[٤] فالارتباط بين الحج والتجارة، ارتباط واضح وقوي، حيث كان الحجاج يقومون بالتجارة في طريقهم إلى مكة، وأثناء عودتهم منها، إضافة إلى أن دمشق كانت تزود الحجاج بالمقادير اللازمة لتموينهم، وإمدادهم بوسائل النقل وأدوات الخيام، وقد وجدت طوائف حرفية خاصة في دمشق لنقل الحجاج إلى مكة، وأبرز هذه الطوائف طائفة المقوبجية (الدوجية)[٥].

وقد ترتب على الانتعاش الاقتصادي للمدينة إزدياد عدد التجار المرافقين لقافلة الحج الشامي، وبالتالي ازدياد الأرباح التي كانت تجنيها دمشق من هذه القافلة[٦]، ويشير القساطلي إلى الرخاء الاقتصادي الذي عم دمشق من وراء القافلة بقوله: "إن دمشق اكتسبت جداول غزيرة من الذهب، كان الحجاج يسكبونها بها ذهابا وإيابا" [٧]، ويبدو أن عدد الحجاج لم يكن ثابتا، فقد كان متوسط عدد حجاج قافلة الحج الشامي بحدود ٢٠,٠٠٠ ويرتفع أحياناً إلى ٤٠,٠٠٠ أو أكثر، وخاصة في الأوقات التي أعقبت كارثة ما، أو حرباً ما، اقتضت التوجه إلى الحج لشكر الله

---

(١)رافق- قافلة الحج الشامي، ص ٢٠٥.

(٢) Rafeq, the Province of Damascus, P. 70-71.

(٣) وقد رافق الصرة أمين الصرة أو (الصرة أميني) إضافة إلى موظف آخر عُرف باسم حشطجي يكون دليلاً لأمين الصرة، وكان يتم اختياره من بين أمناء دمشق. انظر البديري-حوادث، ص ٤٨، ٢٠٧.

(٤) أنظر الفصل الخامس من هذا البحث "الطوائف الحرفية".

(٥) جب وبوون- المجتمع الإسلامي،ج٢ ، ص ١٤٩-١٥٠.

(٦) المرجع نفسه، ص١٤٩ - ١٥٠.

(٧) القساطلي-الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، ص ١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على انتهائها، أو حين تزدهر حركة التجارة مما يزيد في عدد التجار المرافقين لقافلة الحج[١].

ونجد أن هذه الأعداد التي ذكرها (رافق) في عدد الحجاج متقاربة مع ما ذكره (البديري) حيث يشير الأخير إلى عدد المشاركين في قافلة الحج الشامي ٤٠ ألف في القرن الثامن عشر، ثم تناقص العدد في القرن التاسع عشر.[٢]

وفي مجال إعداد قافلة الحج الشامي وتمويلها، كان على والي دمشق قبل الخروج للحج أن يمهد لذلك فيما يسمى بالدورة، وهي قيام والي دمشق بجولة سنوية على السناجق التابعة لولايته قبل خروجه بقافلة الحج بمدة ثلاثة أشهر[٣]، وهي جولة تفتيشية يقوم بها الوالي وبعض جنده في جهات نابلس وعجلون[٤]، وأحيانا يمر على طبريا وجنين وقد يصل إلى القدس[٥]، وفي بعض الأحيان عهدت الدولة إلى حاكم القدس وهو باشا ذو طوخين، ويعد تابعا لوالي الشام، بأن يجمع مال الدورة، ويبدو أن ذلك كان يعد علامة على تحول الدولة عن والي الشام[٦].

ويبدو أن الدولة العثمانية كانت تستهدف من الدورة أمرين: الأمر الأول جمع الأموال الميرية لتمويل قافلة الحج والمحمل المخصص لذلك أيضا بمال الحج[٧]، وكانت لنابلس وبيت لحم والخليل شهرة في الخروج على الدولة والامتناع عن دفع أموالها[٨].

الأمر الثاني: إظهار سطوة الدولة في المناطق الجنوبية من ولاية دمشق التي ستمر بالقرب منها قافلة الحج والمحمل في طريقها إلى الحجاز[٩]، وقد كان هناك موعد محدد سنويا لخروج الوالي إلى الدورة، في أواخر رجب أو في أوائل شعبان، ثم يعود إلى دمشق في أوائل شوال، وفي بعض الأحيان قد يتقدم خروج الوالي إلى الدورة عن هذا الموعد فيخرج في أواخر جمادي الثانية أو في

---

(١) رافق - قافلة الحج الشامي، ص١٩٤.

(٢) البديري-حوادث (المقدمة)، ص ٥١ . نعيسة- مجتمع مدينة دمشق، ج٢، ص٦٦٩ .

(٣) رافق-بلاد الشام ، ص ٢٠٢. ابن كنان-المواكب الإسلامية، ص ٤١٣.

Rafeq- The Province of Damascus, P 21-23,

(٤) البديري-حوادث (المقدمة)، ص ٥٠.

(٥) أكرم الراميني-نابلس في القرن التاسع عشر، (رسالة ماجستير)،الجامعة الأردنية، ١٩٧٧، ص ١٢١.

(٦) البديري-حوادث، المقدمة، ص ٥٠، ص ١٨٨.

(٧) الشهابي-تاريخ الأمير حيدر الشهابي، ص ٦٧٧، ٦٨٤.

(٨) البديري-حوادث (المقدمة)، ص ٥٠.

(٩) المصدر نفسه-ص ٥٠. ابن كنان-المواكب الإسلامية،ج١ ، ص ٤١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أوائل رجب، وقد يتأخر إلى أوائل رمضان وبذلك لا يستطيع أن يبقى في الدورة إلا شهراً، وعليه أن يعود بعد ذلك إلى دمشق للخروج بقافلة الحج والركب في منتصف شوال،[١] وقد كان يرافق الوالي، أحياناً، إلى الدورة مجموعة من العساكر لمساعدته في جمع المال الميري، وكان لا بد من توفير ما يعرف بالذخيرة لسد نفقات واحتياجات هذه العساكر، حيث قررت الدولة تقديمها لهم من المناطق التي يمرون فيها وقد شملت الشعير والخبز والسمن والأرز والبقسماط[٢] وكانت الدولة ترسل هذه الذخائر إلى منازل تحددها على طريق الحج[٣].

ويبدو أن بعض السناجق كانت تعفى من المساهمة في القافلة مثل الكرك، وعجلون، وغزة، والشوبك، ولجون مقابل التصدي لقبائل البدو، ويعود ذلك إلى الفرمان الصادر في عام ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م، وقد يتم إرسال قوة عسكرية من الإنكشارية لتحقيق ذلك[٤].

وعندما تتم الترتيبات النهائية لإعداد قافلة الحج وركب المحمل في منتصف شوال، يخرج أمير الحج على رأس موكب المحمل بين ١٥ و ١٧ شوال متجها إلى المزيريب[٥]، نقطة التجمع النهائي، وينطلق الجمع من المزيريب ويعود المزيربانية (نسبة إلى المزيريب) إلى دمشق في أواخر شهر شوال ويمضي الركب في طريقه إلى الحجاز[٦]، وبعد أن ينتهي الحجاج من شعائر الحج يغادرون مكة إلى المدينة ثم إلى دمشق فيصلونها في شهر صفر، وأثناء عودتهم يجدون في طريقهم ما عرف باسم الجردة لاستقبالهم.

الجردة:

قافلة أسستها الدولة العثمانية إلى جانب قافلة الحج الشامي للتيسير على الحجاج أثناء عودتهم من مكة إلى دمشق[٧]، وقد عهدت الدولة بإمارة الجردة إلى أحد ولاتها في صيدا وطرابلس وحلب

---

(١) البديري-حوادث، ص ٥٠. ابن كنان-المواكب الإسلامية، ج١ ، ص ٤١٣.

(٢) س ١٠٩، ص ١٠٥، ١٥ ذي الحجة ١١٣٥هـ/١٧٢٢م .

(٣)الراميني، أكرم - نابلس في القرن التاسع عشر، ص ١٢٣.

(٤) Heyd - Uriel, Ottoman Documents on Palestine, P 76-77

(٥) المزيريب : قرية من قرى حوران تقع في الجهة الجنوبية الغربية من دمشق، وتبعد عنها حوالي مائة كيلومتر، وكانت محطة هامة تنزل فيها قافلة الحج الشامي قبل أن تبدأ المرحلة الأولى في طريقها إلى الأماكن المقدسة في الحجاز، وقد كانت تعد سوقاً تجارياً. انظر البديري-حوادث، ص ١٠. ابن الصديق - غرائب البدائع، ص١٣٣ .

(٦) البديري-حوادث (المقدمة)، ص ٥١.

(٧) رافق-قافلة الحج الشامي، ص ١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأحيانا إلى حاكم غزة، في حالة عودة الحجاج عن طريق الدرب الغزاوي، تفادياً لخطر البدو[١]، وقد كان أهل غزة يعدون جردة محملة بالمؤن يخرج بها حاكم غزة لملاقاة الحاج في معان، ويبدو أن الدولة ألحقت ميناء اللاذقية بباشوية طرابلس ليستعين الوالي بإيراداتها في الجردة[٢].

وقد أطلق على الوالي المسؤول عن إعداد الجردة سرادر الجردة[٣] كما عرف باسم (الجردي باشا)[٤]، وتتكون الجردة من بقسماط، وزيت، وأرز، وشعير، وحبال، وملابس تعد لنفع الحجاج وإسعافهم في طريق عودتهم إلى دمشق، وقد قدرت تكاليف الجردة ب- ٧٥٠ كيس[٥]. ويشير البديري إلى ذلك بقوله: "أن سعد الدين باشا العظم عندما ولي حلب طالب أهلها أن يجمعوا له ٢٠٠ كيس لنفقات الجردة، فغضبوا وشاغبوا عليه"[٦].

ويبدو أن الهدف من الجردة لم يكن تموين الحجاج فقط، بل كانت تعد، أيضا، قوة عسكرية تتألف من طوائف من الجند لحمايتها والمحافظة عليها والاشتراك مع الجنود المرافقين لامير الحاج في حراسة قوافل الحجاج ضد اعتداءات البدو[٧]، وعادة ما كانت الجردة تصل إلى دمشق من حلب أو طرابلس أو صيدا في منتصف شهر ذي القعدة، وفي اليوم العاشر من ذي الحجة أو في منتصفه، تفصل الجردة عن دمشق بقيادة سردارها، وتسير في نفس طريق ركب الحاج إلى أن تصل إلى هدية[٨]، وتستقر فيها حتى قدوم قافلة الحج، فيتم اللقاء بين قافلة الجردة وقافلة الحج في هدية، وتعد هذه الفترة ترفيه عن الحجاج وتزويدهم بما نفذ منهم لتأمينهم وهم في طريق عودتهم إلى دمشق، وتقدر المدة التي يحل فيها الحجاج على قافلة الجردة وسرادرها كضيوف إحدى عشر يوما[٩].

---

(١) البديري-حوادث، ص ١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١.

(٣) نفسه، ص ٥٢.

(٤) نفسه، ص ١١-١٢ .

(٥) الكيس يساوي ٥٠٠ قرشاً تركي أو ٥٠ ليرة إنكليزية ذهباً أنظر المحامي، توفيق - ظاهر العمر، ص ١١.

(٦) البديري-حوادث، ص ٥٢.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

(٨) إحدى منازل الحج تقع شمالي المدينة المنورة.

(٩) ويبدو أن أهمية قافلة الجردة تظهر فيما يذكر البديري في حوادث عام ١١٧٣هـ/١٧٥٩م، عندما كان (عثمان باشا الصادق) والي طرابلس سردارا للجردة، وقد أشاد البديري بحسن صنيعه، فقد انتظر الحجاج في هدية إحدى عشر يوماً "وهذا أمر ما سبق لأحد غيره، وقد أغاث الحجاج بالإكرام، فقد أطعم الجائع، وسقى العطشان ... وكسا العريان...". وقدرت الدولة له صنيعه وكافأته بولاية الشام، وولت ولده ولاية طرابلس. أنظر البديري-حوادث، ص ٥٣، ٢٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد إنقضاء هذه المدة يعود الجميع من ركب الجردة وركب الحاج إلى دمشق، حتى إذا وصلوا تبوك ينفصل عن الحجاج في تبوك بأمر من أمير الحج أحد رجاله المعروف بجوخة دار أو (الجوخدار)[١] وكان الجوخدار عند وصوله إلى دمشق يستقبل باحتفالات، لأنه يبدد مخاوف الدمشقيين على أهاليهم من الحجاج، الذين يهرعون لملاقاتهم.

ويسرع التجار إلى المزيريب ليقيموا سوق البيع والشراء، ويصل بعد الجوخدار بثلاثة أيام الكتاب الذي يحمل أخبار الحجاج إلى ذويهم، وبعده يصل الحجاج إلى دمشق في ٢ و ٥ من شهر صفر، ويستمر دخولهم إلى المدينة نحو خمسة أيام، وتقام الزينات في المدينة لاستقبال الحجاج[٢].

ب- الدفتردار[٣]:

ويعتبر ثاني شخصية بعد الوالي في الولاية، ارتبط مباشرة باستانبول، وكان أكثر استقلالاً عن الوالي مقارنة بالولايات الأخرى[٤]، وأطلق العثمانيون بداية على الدائرة التي تعنى بشؤون الإقطاعات الدفترخانة (Defter- hane) يرأسها دفتردار أميني (Defter emini) أو دفتر أمين(أمين الدفتر)[٥]، يساعده موظفان أحدهما يعني بأمور التيمار، والآخر بأمور الزعامة، الأول سمي دفتردار التيمار، أما الثاني فسمي كاخيا الدفتر[٦]، ووجد في ولاية الشام دفتر أميني وكاخيا الدفتر[٧]، مثل ابراهيم باشا الذي عين في ولاية الشام برتبة كاخيا الدفتر ليشرف على شؤون الزعامة والتيمار[٨].

---

(١) الجوخدار او الجوقدار: هو الشخص المكلف بالتبشير بعودة الحجاج من الأراضي المقدسة، حيث كان يدخل دمشق قبل موكب الحجاج بأسبوع تقريباً، وأحياناً كان ينفصل عن الحجاج في تبوك وفي بعض الأحيان في معان، ويحمل الجوقدار، بالإضافة إلى ذلك كتاباً من شريف مكة إلى السلطان العثماني يبشره فيه سلامة الحجاج، وجوقدار الباشا غير جوقدار السلطان. أنظر المصدر نفسه، المقدمة، ص ٥٣.

(٢) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ج٢ ، ص ٦٧٦.

(٣) الدفتردار: كلمة تركية مكونة من كلمتين "دفتر" وتعني السجل "ودار" أي "حامل" فأصبح معناها الموظف المالي الكبيرة. العبد- قطعة من حوادث سنة ١١٨٦ -١٢٤١هـ، هامش، ص ١٦.

(٤) غرايبة- مقدمة في تاريخ العرب الحديث، ج١، ص ٦٢.

(٥) رافق-العرب والعثمانيون، ص ٤٥.

(٦) المرجع نفسه، ص ٤٥.

(٧) رافق-بلاد الشام، ص ٦٦.

(٨) المحبي-خلاصة الأثر، ج١ ، ص ٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قسمت دائرة الدفترخانة إلى ثلاثة أقسام، سمي القسم الأول منها (دفاتر اجمال)[١]، والقسم الثاني دائرة المفصل[٢]، أما القسم الثالث تمثل في دائرة الروزنامة[٣]، وقد عمل بالدفترخانة في أواخر القرن الثامن عشر حوالي مائة كاتب[٤].

وبانحطاط نظام الإقطاعات الذي بدأ في القرن الخامس عشر، وبلغ ذروته في القرن الثامن عشر انحطت بالمقابل الدوائر المتعلقة بها، ونتج عن ذلك دمج كثير من وظائف الدفترخانة أو إلغاء بعضها، وازدادت تبعاً لذلك أهمية الدوائر التي تعنى بالشؤون المالية، أي حساب واردات مصروفات الدولة[٥]، وسميت الدفترداريه ورأسها الدفتردار.

ويعود ذلك الانحطاط إلى ازدياد أهمية المشاة على الخيالة والاعتماد على نظام الالتزام[٦].

وقد ترأس الدفتردار في القرن الثامن عشر فئة أهل القلم التي كانت تختص بالوظائف المالية والإدارية[٧]، ويبدو أن هذه الفئة كانت الأقل عدداً، وقد تألفت هذه الفئة من الدفتردار، ورئيس كتبة أو رئيس الكتاب (الباش كاتب)، الذي عمل تحت إمرته موظف كان يعمل في المكاتب والدواوين، أطلق عليه اسم اليازجي (الكاتب)[٨] وأفندي الديوان أو أمين الديوان، وألحقت بهؤلاء هيئة صغيرة من الناسخين والمنفذين والكتبة[٩].

---

(١) وهي كلمة عربية، تحدد فيها حدود الولايات وتقسيماتها وجميع الإقطاعات .

(٢) بمعنى سجل مفصل بوثائق الملكية الخاصة والأوقاف (إحصاء كامل لكل ما يوجد في أراضي الميري).

(٣) الروزنامة: "كلمة فارسية من مقطعين "روز" وتعني يوم،ونامة وتعني كتاب أو وثيقة أو خطاب فيصبح معناها كتاب يومي أو جريدة أو دفتر (سجل يومي للواردات والمصروفات ونقل الاقطاعات). انظر جب وبوون-المجتمع الإسلامي، ص ١٨٠.

(٤) جب وبوون- المجتمع الإسلامي، ص ١٨٠.

(٥) رافق-العرب والعثمانيون، ص ٤٦.

(٦) رافق-بلاد الشام، ص ٦٧.

(٧) Cohen, The Army in Palestine, P45.

(٨) وهذا اسم لبعض العائلات المشهورة في بلاد الشام. انظر محمود رئيف - التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص٤١.

(٩) سميليا نسكايا-البنى الاقتصادية والاجتماعية، ص ٢٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان يطلق على الدفتردار مع موظفيه لقب (أفندي) باعتبارهم من أهل القلم[١]، وكان يرأس دائرة أطلق عليها الخزينة العامرة، أو الميرية[٢]، حيث أن الدولة فرضت عليه مساعدة الوالي في جمع ضريبة الميري كل عام وإرسالها إلى العاصمة، إضافة إلى ضريبة الجمارك وضريبة الخراج[٣]، ويبدو أن الإدارة جميعها كانت تهتم بالدرجة الأولى بجباية الضرائب، ومن هنا جاءت أهمية الدفتردار بصفته مسؤولا عن جميع الشؤون المالية وجباية تلك الضرائب، وكان يعاونه في أداء وظيفته عدد من الموظفين، التذكرجي[٤]، الذي يحرر تقاسيط الإلتزام، والروزنامجي[٥]، الذي يشرف على حسابات الأموال الإقطاعية، أي تسجيل ما يعطى من براءات تيمار يوميا في دفتر خاص يسمى دفتر اليومية، وتعاونه هيئة من الأفندية الذين يتولون مناصبهم بالوراثة يسمون مقاطعجية[٦] أو الملتزمون وكانوا يعطون حق جمع مال الميري، ويقوم الواحد منهم بعد ذلك بتسليم المال للمحصل، الذي كان يعد بدوره تابعاً لدفتردار ولاية دمشق، وهو مسؤول عن جمع الضرائب من الملتزمين في السناجق التابعة للولاية[٧]. ووجد كذلك المحاسبجية[٨] ومهمتهم تسجيل الواردات والنفقات فمثلاً كانوا يقومون بتسجيل قيود الضرائب ما تنفقه الولاية على محمل الحج ومخصصات شريف مكة والصرة وما يتم إرساله إلى أهالي الحرمين الشريفين. وقد ذكر المرادي محاسبين ومقاطعجية تولوا وظائفهم بالوراثة. وكان الأفندية مسلمين وكان الروزنامجي يختار من بينهم. ويبدو أن كل أفندي كان مسؤولاً عن قسم معين من شؤون المحاسبة بما فيها الأوجاق وله أربعة أفندية مساعدون بالإضافة إلى ماسك الحسابات والصراف وموظفين صغار آخرين.[٩]

ويبدو أن هؤلاء كانوا يتقاضون رواتبهم من واردات الميري وكانت الحسابات تحفظ في

---

(١) العبد-قطعة من حوادث سنة ١١٨٦ - ١٢٤١هـ، (هامش) ص ١٦.

(٢) جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق٢، ص١٩، ٣٠.

(٣) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ج١ ، ص ٢١٣.

(٤) غرايبة-مقدمة تاريخ العرب الحديث، ج١ ، ص ٦٤.

(٥) خليل ساحلي أو غله-قوانين آل عثمان لعين علي أفندي، دراسات،مجلد ١٤، عدد ٤، عمان، ١٩٧٨، ص ١٥٨.

(٦) عماد ، عبد الغني - السلطة في بلاد الشام، ص٢٢١. مجذوب، طلال - مصادر تاريخ لبنان في القرن الثامن عشر، المؤتمر الأول للجمعية اللبنانية للدراسات العثمانية، ص٣٣..

(٧) المرجع نفسه، ص ١٥٨.

(٨) عماد ، عبد الغني - السلطة في بلاد الشام، ص٢٢١.

(٩) جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق٢، ص٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دفتر يسمى القرمة[١] الذي كان عماد الإدارة المالية العثمانية، ويظهر أن هذا الدفتر كان يراجع ويدقق على نسخة أخرى مكتوبة بالعبرية ويحتفظ بها كتبة يهود ويبدو ذلك واضحاً في دمشق حيث تولى ضبط الحسابات بعض الصرافون اليهود.[٢] بالإضافة إلى هؤلاء الموظفين كان يساعد الدفتردار جنود أطلق على الواحد منهم (توفنكجي)، وكان له قيم مقام أيضا مثل حسن أفندي، الذي كان له قيم مقام دفتردار دمشق عام ١٢١١هـ/ ١٧٩٦-١٧٩٧م، ووالده كان حسين أفندي الروزنامجي[٣].

كما تبع دفتردار دمشق عدد من الموظفين الصغار مثل:مباشر الخزينة، وجابي الخراج، وخزينة كاتبي (كاتب الخزينة)[٤]، بالإضافة إلى موظفين رئيسيين هما: خزندار[٥] أول وخزندار ثاني، فعلى سبيل المثال كان لدى فتحي الدفتري الذي تولى دفترية دمشق ما بين ١١٤٨- ١١٥٩هـ/ ١٧٣٥- ١٧٤٦م، خزندار أول يدعى عثمان آغا، وخزندار ثاني هو أحمد آغا الشربتجي[٦]. ووجد لدفتردار دمشق يدكات[٧] وأغوات ومهتارخانة[٨] كما ساعده صيارفة يهود[٩].

ويبدو أن اليهود والمسيحيين قد لعبوا دورا مهماً في الإدارة المالية لولاية الشام. فقد وجد في دمشق عدد من الأسر اليهودية التي أقامت في دمشق في القرن الثامن عشر، ويلاحظ أن هذه الأسر كانت تعود إلى أصول مختلفة، من هذه الأسر: هراري- أبو العافية، شناعة اللافي، لنداوا أو لينودة، الفتال، سلانيكي، اسلامبولي، لزبونا، نحماد، فارحي[١٠]، شمعة، الشلاح، كومان، قوشة،

---

(١) معناها مكسورة. انظر جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق٢، ص٥٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٥.

(٣) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ج١ ، ص ٢١٣.

(٤) سليم بك عنحوري، مميزات الألقاب للملوك وأرباب الخطط العمال-مجلة مجمع اللغة العربية، بدمشق، ج٥، م٤ ، ١٩٢٤، ص ٦٣-٧٤.

(٥) الخزندار وهو وكيل الخزنة. البديري-حوادث-ص ٨١. ابن كنان المواكب الإسلامية ٢٥، ص٩.

(٦) المصدر نفسه، ص٨١.

(٧) اليدكات: يدك، كلمة تركية وتعني سايس الخيل، الذي يحضرها ويسرجها ويعدها للسفر. أنظر الغزي- نهر الذهب، ج١، ص ٢١٧، ٣١٨. العبد-قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص ٦٤-٦٥.

(٨) تطلق هذه التسمية على المكان الذي تقدم فيه فرقة موسيقية مقطوعات شعبية، وتطلق على الفرقة الموسيقية نفسها، وقائد الفرقة الموسيقية هو المهتار آغا. أنظر ابن الصديق-غرائب البدائع، ص ١٣١.

(٩) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ج١ ، ص ٢١٣.

(١٠) رستم- الأصول العربية لتاريخ سوريا، م ٥، ص ٦-٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الازمرلي، خطوب، بغدادي، سلمون، خليفة، عطار، صايغ، السكروج، خمري، داوود، يوسف، خضر، حكيم وغيرها[١]، وقد برز من هذه الأسر في دمشق خاصة في المجالات الصرفة والاقتصادية أسرة فارحي، وشناعة، وأبو العافية، وهراري، وشحادة، وخضر، وتعد أسرة فارحي[٢] والسكروج من أشهر الأسر اليهودية التي سيطرت على مالية دمشق وحلب وصيدا، فقد تعاقب أفراد أسرة الفارحي على أمور الصيرفة والشؤون المالية وإدارة الخزينة في ولايتي دمشق وصيدا، بدءاً من عهد ظاهر العمر ١١٦٤-١١٦٩هـ/ ١٧٥٠-١٧٥٥م، وأول من ظهر من أفراد هذه الأسرة شحاتة فارحي، الذي كان صرافا ذا نفوذ كبير، وخلفه في ذلك ولداه، رافائيل وجوزيف وشاركهما في النفوذ ابن عمهما سلمون فارحي[٣].

وبرز من أسرة الفارحي أيضا حاييم الفارحي الذي كان مالياً لعدد من ولاة دمشق، وعندما كان أحمد باشا الجزار واليا على دمشق وصيدا استدعى حاييم الفارحي إلى مقره في عكا عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م، وأوكل إليه أمر الصيرفة وأبقى أخاه يوسف في دمشق، واستمر حاييم الفارحي يقوم بمهمة الصيرفي لدى أحمد باشا الجزار إلى عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م[٤]، وفي القرن التاسع عشر برز اليهود أيضا في المجالات الاقتصادية وفي التجارة الخارجية، وفي الصيرفة وفي الأعمال الدفترداري العائدة لولاية الشام، فمسكوا سجلاتها وقاموا بالتزام أموال الجمارك وبعض الضرائب الأخرى، كما أنهم عملوا في أمانة صندوق ولاية الشام وكان رافائيل وسلمون فارحي من أعظم صيارفة الخزانة[٥].

ومما يدل على مدى النفوذ الذي وصل إليه بعض اليهود في دمشق أن أبناء دمشق كانوا يرددون قول الشاعر فيهم:

يهود هذا الزمان قد بلغوا ... غاية آمالهم وقد ملكوا
المال منهم والجاه عندهم ... ومنهم المستشار والملك

---

(١) نعيسة-يهود دمشق، ص ١٦.

(٢) وكانت هذه الأسرة من أصل أندلسي، حيث هاجر أجدادها إلى الأناضول إثر حوادث التفتيش (محاكم التفتيش) التي أقامها الإسبان للمسلمين واليهود في الأندلس بعد عام ١٤٩٢م، مما دفع بهذه الأسرة للهجرة من الأندلس إلى دمشق أنظر نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ج١ ، ص ٣٤٧.

(٣) غرايبة-مقدمة تاريخ العرب الحديث، ج١ ، ص ٦٦.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) غرايبة-سورية في القرن التاسع عشر ، ص ٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا أهل ذا العصر قد نصحتكم تهودوا قد تهود الفلك[١]

واتهم آل فارحي بأنهم جعلوا السجلات باللغة العبرية أو برموز خاصة؛ لكي يصعب على غيرهم فهمها، وليضمنوا لأنفسهم احتكار المالية في دمشق، فغضب الجزار عليهم وسجنهم عام ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م، وقلع عين حاييم وقطع أذنه وأنفه[٢]، أما والي دمشق صالح باشا فقد قام بتعذيب وسجن سلمون ورفائيل صيارفة الخزانة، وأحضر فرماناً من السلطان العثماني ينص على عدم استخدام اليهود في أمانة صندوق الشام، فابتهجت قلوب الدمشقيين لذلك[٣].

أما المسيحيون فقد وجد منهم المتخصصين بشؤون المحاسبة، وقد كان للكتاب الماليين منهم دور مهم لدى حكام دمشق بدءاً من النصف الثاني من القرن الثامن عشر، حيث انتشروا في سورية ولبنان وفلسطين، وتم استخدامهم لدى آل العظم في دمشق بنسبة ضئيلة. ويشير ميخائيل بريك إلى استخدام المسيحيين في أيام والي دمشق اسماعيل باشا العظم الذي أخذ من حمص نصرانيّين وهما نعمة ويوسف، وعملهم يازجية، وترقوا عنده، كذلك ترقى أولادهم من بعدهم، وانتشر اسم بيت اليازجي بحمص بزمانه[٤]، وتحدث بريك أيضاً عن مدى التطور الذي أحرزه المسيحيون في وسط القرن الثامن عشر بقوله: "ما رأيت -- بأنه صار لهم عز وجاه وصيت وسطوة وذكر مثل مدة العشر سنين الماضية في حكم أسعد باشا".[٥] ومن العائلات المسيحية التي اشتهرت عائلة الصباغ[٦]، خاصة في عهد ظاهر العمر في عكا ١٢٦٣هـ- ١١٨٩هـ/ ١٧٥٠-١٧٥٥م، فقد سيطر على شؤونه المالية ابراهيم الصباغ[٧]، الذي أسهم بدوره في قيام أسر مسيحية ذات نفوذ كبير في بلاد الشام كأسرة كحيل في دمشق، وأسرة البحري في عكا[٨]، كما اشتهرت عائلة اليازجي التي خدمت لدى ولاة دمشق وأمراء الجبل في لبنان[٩].

---

(١) محاضرة، يهود الشام منذ مائة عام، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مجلد ٩، ج١١ ،١٩٢٩م، ص٦٤٢.

(٢) الدمشقي-تاريخ حوادث الشام ولبنان، ص ٢٠. نعيسة - يهود دمشق، ص ١٦-١٧.

(٣) عماد، عبد الغني -السلطة في بلاد الشام، ص ٢٢١.

(٤) بريك-تاريخ الشام، ص ٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٢-٦٣.

(٦) الحصني-منتخبات التواريخ، ج١ ، ص ٨٦٤.

(٧) ابراهيم الصباغ كان مديراً ومستشاراً لظاهر العمر في جميع أموره، وهو رجل ذمي من أهل عكا. انظر الشهابي - لبنان، ص١١٢-١١٣.

(٨) جب وبوون- المجتمع الإسلامي، ج١ ، ص ٦٧-٦٨. ميخائيل الدمشقي تاريخ حوادث الشام ولبنان، ص ٤٢.

(٩) عماد، عبد الغني - السلطة في بلاد الشام، ص ٢٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الصلاحيات الأخرى التي قام بها دفتردار دمشق أنه عُدَّ مسؤولا أمام الباب العالي عن أموال الولاية، فلم يسمح الدفتردار للوالي أو أي موظف آخر مغادرة دمشق، الا بعد أن ان يؤدي حسابا دقيقا يثبت فيه براءة ذمته، وبعد المحاسبة يعقد الديوان جلسة يقسم الدفتردار فيها أن الوالي بريء الذمة، وفي حالة وفاة الوالي فإن الدفتردار يسرع إلى الختم على أملاكه واعتقال كبار أعوانه، وقد يعذب جريمة ليقروا بمكان أمواله، ويحرر ذلك في حجة شرعية يصدقها القاضي وترفع إلى الباب العالي[١].

وكان الدفتردار يجبي المكوس في الولاية ويدفع منها رواتب الانكشارية وحراس الحصون والقلاع القائمة على طريق الحج إلى مكة[٢]، ومن مهامه أيضا تقدير دخل كل قرية وتنظيم التزامها ووضعه في يد الأثرياء حتى يستطيعوا الإشراف على التزام أكثر من قرية[٣]، ووجد إلى جانبه ما سمي كتخذا الدفتردار يساعده في جباية الضرائب من القرى والمزارع[٤].

إضافة إلى كونه عضواً بارزاً في ديوان ولاية دمشق، لذلك فإن بلاطه قد ضم الأغوات وكبار التجار وملاك الأراضي الذين ضمهم ديوان الولاية، وشكل هؤلاء دعامة قوية للدفتردار[٥].

نستدل مما سبق أن الدفتردار كان صاحب نفوذ كبير في القرن الثامن عشر، وكل من عين في هذا المنصب كان يمتلك خبرة في الخدمات المالية، التي يكون قد إكتسبها أثناء ترقيه في العمل الديواني أو عند ممارسة الالتزامات الكبيرة، ويبدو أن كل من يريد الوصول إلى هذا المنصب لا بد أن يكون له علاقة متينة وقوية مع مراكز النفوذ في استانبول، [٦]. وقد كان على الدفتردار أن يدفع للدولة مبلغاً من المال كل عام، وفي تاريخ معين مقابل تعيينه في منصبه، وقدر هذا المبلغ بـ ٤٠ ألف، وقد دفع هذا بعض الدفترية أن يعوضوا لأنفسهم ما دفعوه ثمناً للوظيفة بنهب من هم دونهم وبخاصة أنهم يعرفون أنهم عرضة للقتل أو العزل أو النقل، لذلك فقد لجأوا إلى فرض ضرائب ورسوم معينة إضافية وهذا ما يفسر لنا وضع دفتردار دمشق رسماً جديداً أسماه "القلمية"

---

(١) غرايبة-مقدمة تاريخ العرب الحديث، ج١ ، ص ٦٤.

(٢) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ج١ ، ص ٢١٤.

(٣) جب وبوون-المجتمع الإسلامي، ج١ ، ص ١٧٧.

(٤) خليل ساحلي أوغلي-قوانين آل عثمان لعين عل أفندي، دراسات، مجلد ١٤، عمان، ١٩٨٧، ص ١٨٦.

(٥) Russell, Aleppo, vol 1, P 312.

(٦) سميليا نسكايا- البنى الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدفعه أصحاب المالكانات والملتزمون.[١]

وقد لعب الدفتردار دورا كبيرا في الحياة السياسية بدمشق، ويمكننا إدراك ذلك من خلال دراسة عائلتين اشتهرتا بهذا المنصب وهما عائلة الدفتري والفلاقنسي، بالإضافة إلى عائلة الأزمرلي والرزنامجي وباكير وإمام البستاني[٢]، التي توارثت هذا المنصب. وتعود أسرة الدفتري في جذورها إلى جدهم الأول وهو علي الرومي، الذي قدم إلى دمشق بصفة كتخدا للوزير العثماني أحمد الحافظ، ثم خدم عند حاكم حماه، أما ابنه حسن الدفتري فقد التزم عام ١٦٨٨م ضرائب حمص ثم عين دفتردارا في دمشق، وكانت وفاته عام ١٦٩٤م[٣].

أما ابنه علي الدفتري فقد عرف بابن قنبق، وكان على درجة كبيرة من العلم، وحصلت له ملكة في فنون الأدب، والكتابة والإنشاء، والشعر ومعرفة القوانين العثمانية وأبدع في ذلك، "وحصل على رتبة الخواجكانية، على قاعدة الأروام بمنصب الوقوفات، وهي رتبة متعارف عليها بين رؤساء الكتاب في الدولة، وسافر الأسفار السلطانية، وتقرب للسلطان مصطفى خان، وأصبح تذكرجي الديوان أول وثاني وباش محاسبجي، ثم عزل إلى حماه، ثم أعيد للدولة وصار أمين الشعير السلطاني، ثم عزل إلى دفتردارية الشام، ثم عزل وولي مكانه السيد فتح الله الفلاقنسي".[٤] وقد بقي علي الدفتري في منصبه مدة ثمانية عشرة عاما ما بين ١٧١٧- ١٧٣٥م[٥]. كذلك ترقى مصطفى بن علي الدفتري في المناصب العسكرية في استانبول إلى أن عين برتبة آغا الإنكشارية في دمشق ويصفه البديري بقوله: "دخل في عراضة أي موكب لم تعهد في الدولة الشامية".[٦] وتم هذا في عهد والي دمشق حسين باشا بن مكي.

وبعد عزل علي الدفتري، عين مكانه في وظيفة الدفتردار في دمشق السيد فتح الله، كما يذكر المرادي[٧]، أو فتحي الدفتري القلانسي أو الفلاقنسي، ويبدو أن هذه العائلة قد حصلت على كنيتها من اسم (فلاقنس)، وهي القرية التي تقع بالقرب من حمص التي استقر فيها مؤسس

---

(١) جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق٢، ص٥٦-٥٧.

(٢) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ج١ ، ص ٢١٥.

(٣) المرادي-سلك الدرر، ج٢ ، ص ٣١-٣٣.

(٤) المرادي-سلك الدرر ، ج٣ ، ص ٢٠٩-٢١٠-٢١١.

(٥) المصدر السابق، ج٣ ، ص ٢١١.

(٦) البديري- حوادث دمشق اليومية، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٧) المرادي-سلك الدرر، ج٣ ، ص ٢١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الأسرة محمود الحائك الذي انتقل إلى دمشق واشتهر بحرفته[١]، وربما كان محتكرا لقماش الأجاتي حيث جمع ثروة طائلة ساعدت أولاده على تغيير وضعهم الاجتماعي، والواضح أن أولاده لم يرثوا مهنة أبيهم، وشغل أحفاده مناصب عالية في مدينة دمشق[٢].

يمكن الاستنتاج مما سبق أن فتحي الدفتري كان يمتلك ثروة كبيرة وبذلك تمكن من الوصول إلى منصب الدفتردار وأخذ ينافس والي دمشق على شؤون المدينة[٣]، وأصبح أخوه محاسبجي في خزينة دمشق ومديرا لكتبة الأوقاف المقدسة في المدينة[٤]، أما عاصم الفلاقنسي فكان أحد كبار الكتبة في خزانة الدولة لشؤون الميري في دمشق ثم المحاسبجي والمقاطعجي فيها[٥]، وعرف بعض إخوته كشعراء وكتاب، مثل عبدالمعطي الفلاقنسي الذي كان من أعيان كتاب دمشق، وأحد ذوي الأقلام الدفترية، وصار محاسبجياً بالخزينة الميرية بدمشق، وله أوقاف وتجارات وأملاك واقطاعات، وكانت داره أحسن دار في دمشق[٦]، أما عثمان الفلاقنسي، فقد برز كأديب وكاتب بديوان دمشق الشام، وتولى أيضا وظيفة محاسبجي الخزينة الميرية السلطانية بدمشق[٧].

ويبدو أن سلم ترقي الإخوة الثلاثة في مناصبهم قد انقطع بعد مقتل فتحي الدفتري، ومصادرة ثروته على يد أسعد باشا العظم عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م[٨].

وبعد مقتل فتحي الدفتري شغل منصب الدفتردار في دمشق محمد آغا بن فروخ عام ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م، وبقي فيه مدة ثلاثين عاماً، ووصفه المرادي بالإستقامة وحسن الخلق[٩]، وبعد أن أمضى تلك السنوات الطويلة في ذلك المنصب، طلب من الدولة إعفاءه من المنصب،

---

(١) "القلانسي تحريف للفلاقنسي" نسبة إلى فلاقنس من أعمال حمص. انظر البديري-حوادث دمشق اليومية (هامش)، ص ١٧.

(٢) سميليا نسكايا-البنى الاقتصادية والاجتماعية، ص ٢٥٧.

(٣) المرادي-سلك الدرر، ج٣ ، ص ٢٧٩-٢٨٠، أنظر الفصل الثالث حيث سنتناول الحديث مع فتحي الدفتري وانضمامه للعسكر اليرلية وعلاقته مع ولاة دمشق.

(٤) المرادي-سلك الدرر، ج١ ، ص ١٦٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٢ ، ص ٢٥٨، ج٣ ، ص ١٤٨، ٢٢٠.

(٦) نفسه، ج٣ ، ص ١٣٥.

(٧) نفسه، ج٣ ، ص ١٤٨.

(٨) نفسه، ج٣ ، ص ٢٨٠، بريك -تاريخ الشام، ص ٢٩-٣٠.

(٩) المرادي-سلك الدرر، ج٤ ، ص ٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأرسلت له الدولة الروزنامجي حسين آغا فعمل حسابا على مراده[١]، وكانت وفاته عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م[٢].

ج - المتسلم:

وهو نائب الوالي على الولاية في حال غياب واليها حتى وصوله إليها، كما كان يمثل الوالي في حكم أحد السناجق[٣]، ويكون بمرتبة آغا أو بيك[٤]، ويوجد تحت تصرفه عدد من الضباط أصغر منه رتبة[٥].

ويبدو أن تعيين المتسلمين في مناصبهم يتم بناء على رغبة الوالي، إلا أن تثبيت هؤلاء كان يتم في العاصمة استانبول[٦]، وكان يرافق قرار التعيين توجيهات من الباب العالي في العاصمة تتعلق بكيفية تصرف المتسلم في متسلميته[٧]، وكان بعض المتسلمين يعينون من أعيان السكان المحليين[٨]. والبعض الآخر من بين أفراد الحاشية مثل إبراهيم آغا أحد مماليك سليمان باشا العظم، الذي ترقى في منصبه إلى درجة متسلم[٩]، وقد كانت هناك إجراءات معينة تتبع عند تعيين المتسلم تمثلت بالخطوات التالية: يقوم القاضي باستدعاء المتسلم المعين من قبل الوالي، ويعقد ديوانا لمجلس الولاية في المحكمة، ويتلو على مسامع أعضاء الديوان تكليف التعيين[١٠]، وبعد ذلك يلبس المتسلم فروة سمور[١١]، عنوانا لاستلام المتسلم مهام منصبه، ثم يتجه المتسلم إلى السرايا[١٢] وبصحبته الأعيان من القاضي والآغاوات ونقيب الأشراف[١٣].

---

(١) البديري-حوادث، ص ٨٤.

(٢) المرادي-سلك الدرر، ج٤ ، ص ٣٨.

(٣) العبد-قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، هامش، ص ٦.

(٤) البديري-حوادث، (هامش)، ص ١٩٢.

(٥) العبد-قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ ، ص ٢٢-٢٣.

(٦) عماد، عبد الغني - السلطة في بلاد الشام، ص ٦١-٦٢.

(٧) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق،ج١ ، ص ٢١٩.

(٨) مجهول، حسر اللثام عن نكبات الشام، ص ٢٦.

(٩) البديري-حوادث، ص ٣٣.

(١٠) العبد -قطعة من حواد سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص ٢٦.

(١١) السمور: فراء ثمين يؤخذ من جلد حيوان بري شبه ابن عرس. أنظر ابن كنان - المواكب الإسلامية، ج١ ، ص ٤١٨.

(١٢) مقر الوالي، وتقع بالقرب من قلعة دمشق،أطلق عليها في العهد التركي المتأخر المشيرية، ويقوم في موضعها الآن القصر العدلي. أنظر القاري-الوزراء الذين حكموا دمشق، ص ٨٨، البديري-حوادث، ص ٤٥.

(١٣) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق،ج١ ، ص ٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويخاطب المتسلم من قبل السلطة العليا، مفاخر الأقران وافتخار الأماجد متسلمينا[١]. كما أطلق على متسلم دمشق القائم مقام، ويلقب بهذا اللقب في حالة عزل الوالي أو وفاته، وفي حالة عدم تعيين والٍ جديد؛ ففي هذه الحالة يعهد بإدارة الولاية إلى شخص يدعى القائم مقام أو المتسلم، يتم تعيينه في بعض الأحيان من قبل الدفتردار حتى تصل أوامر الباب العالي. وكما كان الوالي ممثل السلطان الشرعي، كان قائم مقام الولاية واليا بالوكالة، لا ينوب عن أحد غير السلطان[٢]، وقد تعددت مهام المتسلم في مدينة دمشق خلال القرن الثامن عشر فلم تقتصر على كونه نائب الوالي بل توسعت، ويبدو أن هذا التوسع في المهام ناتج عن قوة شخصيته، فقد أوكل إليه مهمة تحصيل المال الميري، حيث احتلت أموال الميري مكانة هامة بالنسبة للعلاقة بين الدولة وولاتها والسلطة المحلية، وكانت الدولة تحذر المتسلم دائما من التهاون في هذه المسألة حيث عُدَّ قرش الميري (فرض عين)[٣]، واعتبرت قدرة المتسلم على تحصيل المال الميري دليلا على حسن ولائه، وشرطاً من شروط تعيينه ورضا الدولة عليه.

ونجد أن المتسلم كان يقوم بنفس المهام التي كان يقوم بها القاضي مثل مراقبة الأسعار في الأسواق، وهي مهمة كان يتولاها المحتسب، وقد ألغاها العثمانيون[٤]، ويبدو أنها أصبحت ضمن مهام القاضي ويشير البديري إلى ذلك بقوله: "نادى حضرة محمد آغا المتسلم على اللحم الرطل بثمانية عشر قروش[٥] مصرية[٦] وسمر[٧]، جماعة من اللحامة، ولم يقبل رشوة، وعدل في حكمه،

---

(١) أسد رستم-الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا، المجلد الأول، ص ٢٧.

(٢) غرايبة-مقدمة في تاريخ العرب الحديث، ج١ ، ص ٥٩.

(٣) أكرم الراميني-نابلس في القرن التاسع عشر، ص ٣٢،٨٢.

(٤) المحتسب مفردة عربية خالصة، وتعني صاحب السوق،ووظيفة المحتسب كانت أكثر اتساعاً في صلاحياتها في المدن الإسلامية،حيث يعود له الإشراف على شؤونه والتأكد من صحة الأوزان والمكاييل وسلامة المعلومات، إضافة إلى أن في مهمته جانب أخلاقي يقتضي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت وظيفة مستقلة وصاحبها يعتبر شخصية هامة، إلا أنها ضعفت مع دخول العثمانيين واعتبرت من مهام القاضي وبعض الدراسات تشير إلى إلغاء هذه الوظيفة في بلاد الشام في عهد العثمانيين. أنظر حول المحتسب وعن استمرار هذه الوظيفة في العهد العثماني نقولا زيادة - الحسبة والمحتسب في الإسلام، ص٣٧ - ٣٨.

(٥) نقد فضي عثماني والقرش أربعون بارة. انظر عامر، محمود - المكاييل والأوزان والنقود، ص١٩٠.

(٦) جمع مصاري وهي عملة من فضة سمحت الدولة العثمانية لحكومة مصر بسكها بدار السك بالقلعة ويطلق عليها أحياناً البارة . انظر البديري - حوادث - (هامش)، ص٤.

(٧) المقصود بالتسمير دق بعض أعضاء المذنب في لوح خشب بواسطة مسامير غلاظ، وقد يطاف به على هذه الصورة ليشهر به في المدينة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى صارت الفقراء تدعو له، وبعد مدة سعر جميع البضائع وشدد، وصار يأخذ بيد كل من يشتكي له[١]". كما قام بمعاقبة اللصوص، فشنق محمد آغا متسلم دمشق عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م ثلاثة أشخاص من اللصوص في المرجة أمام باب التكية، وشنق لصا آخر في السويقة أحد أحياء دمشق، يقع بالقرب من جامع المصلى العيدين، وقطع يد رجل نشال[٢]، وعندما كانت تحدث أعمال عنف بين العسكر في المدينة، كان المتسلم أو الوالي يصدر أوامره مباشرة... فيقتلهم المتسلم من غير شرع ولا إثبات".[٣]ويبدو أن بعض المتسلمين كانوا من ضباط القوات السياهية، ومن أغوات، أوجاقي القابي قول أو اليرلية، أو من قوات المرتزقة كالبغداديين، والمغاربة، والأكراد، أو الولاة مثل: الكنج يوسف باشا كان في بداية أمره والي باش، وكان كرديا اشتراه من إسماعيل، وأصبح في سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٥م متسلما لدى عبدالله باشا العظم، ثم أصبح واليا على دمشق عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٦م، وفي سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١٢م أصبح متسلما لدى سنان باشا علي آغا البغدادي، وكان قائدا لقوات قلعة دمشق[٤].

وفي القرن التاسع عشر ازدادت أهمية هؤلاء، حيث عمل بعضهم ترجماناً في المحكمة الشرعية في دمشق، مثل الحاج علي آغا الذي عين متسلما على ولاية طرابلس سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م[٥].

يتضح مما تقدم أن المتسلمين لم يتولوا السلطة الإدارية فقط، لكنهم برزوا، أيضاً، في الناحية السياسية والعسكرية، وذلك عندما تقرب بعضهم إلى الإنكشارية اليرلية صاحبة النفوذ السياسي والاجتماعي والاقتصادي في دمشق في القرن الثامن عشر، بهدف ضمان البقاء في مناصبهم لمدة طويلة، والحصول على امتيازات جديدة، ويبدو أنهم نجحوا في ذلك، فعندما يعين متسلم من هؤلاء من العاصمة استانبول كان يلاقي ذلك الترحيب من قبل اليرلية، فعلى سبيل المثال عندما عين محمد آغا كمتسلم على دمشق عام ١٢١٠هـ/١٧٩٦م قام المفسدون والعوانية[٦]، وصار

---

(١) البديري - حوادث، ص١٧١ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧١-١٧٢،

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٤) نعيسة- مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص ٢٢٠.

(٥) المرجع نفسه ، ص ٢٢٠.

(٦) العوانية: مفردها عواني والعوانية هم الوشاة الذين يوصلون معلومات إلى السلطات والمتنفذين وذلك فيما يخص أحوال الناس وثرواتهم لمصادرتها من قبل هذه السلطات، ويأخذ العواني مقابل ذلك نسبة معينة من المصادرات. أنظر العبد-قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص ٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدق والرقص في بيت المتسلم وصارت مفاسد عديدة[١]، وكان المتسلمون يقومون بأعباء القيادة العسكرية خلال الحملات المسلحة، وكانت طريقهم بشكل رئيسي إلى المناصب العليا تتم عن طريق تقديمهم الخدمات الخاصة للأعيان المحليين[٢].

وقد شملت سلطة المتسلم المناطق المحيطة بمدينة دمشق بدءاً من جبل قاسيون إلى الكسوة فالمرج، فشملت بذلك جميع قرى الغوطة الشرقية والغربية، وكان عدد هذه القرى ثمانين قرية[٣].

أما دخل المتسلمين فكان من إقطاع الأرض التي منحت لهم، حيث أنهم لم يتقاضوا الرواتب من الدولة، وفي القرن التاسع عشر كان لهم ضرائب على الشعب عرفت باسم عوائد متسلمين، ووجوه وخدام ومصارفات كثيرة، وقد وزعت على الشعب بشكل سالیانة سنوية[٤].

ومع أن المصادر لا تعطي صورة دقيقة عن دخل المتسلم السنوي في دمشق، إلا أن "نعيسة" يعطي إشارات إلى دخول بعض متسلمي السناجق التابعين لولاية دمشق، فمثلا متسلم سنجق القدس كان دخله مئة ألف قرش، حيث كان يتقاضى عن كل زائر أو حاج إلى القدس رسما قدره عشرة قروش، كما كان يتقاضى خفارة من الزوار المتجهين إلى نهر الأردن، إضافة إلى أخذه الغرامات التي كان يفرضها بدون سبب، والمبالغ المالية التي كان يأخذها من الطوائف المختلفة، وقد كانت هذه الطوائف تتنافس فيما بينها لتقديم المال له، لتحظى بتأييده[٥].

ومع ذلك نجد أن بعض المتسلمين لم يكن لديهم أموال بعد عزلهم،إضافة إلى أوضاع الدولة العثمانية التي اتسمت بالضعف والتفكك في القرن الثامن عشر، فانعكس ذلك على أوضاعهم، مما دفعهم إلى الاتجاه إلى أهالي المدينة وفرض سيطرتهم عليهم، حتى إنهم كانوا يستغلون غياب الوالي عن المدينة، ويقومون بجمع الأموال الضخمة، وقد أشار إلى ذلك حسن آغا العبد في عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م، عندما بعث أحمد باشا الجزار محمد آغا ابي آغة المزريب ليتولى منصب المتسلم في دمشق، فإن المتسلم الجديد ظلم الخلق ظلماً كثيراً، ورفع داود آغا وابن السمان مصطفى آغا[٦] وسجنهما في القلعة، وإضافة إلى ذلك قام بفرض الأموال وأخذها دون وجه حق،

---

(١)العبد-قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص ٢٤.

(٢) سميليا نسكايا- البنى الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢٤٨.

(٣) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ج١ ، ص ٢٢١.

(٤) رستم - الأصول العربية لتاريخ سورية، المجلد الثاني،ص ٣١.

(٥) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ج١ ، ص ٢٢١.

(٦) العبد، قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص ١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي أثناء غياب أحمد باشا الجزار عن المدينة لأداء الحج، أصبح محمد آغا قائم مقام، ففصل وسلب أموال الخلق وزاد في القتل والظلم[١].

ويؤيد حسن آغا العبد في رأيه صاحب حسر اللثام بقوله: "إن المتسلمين لم يكن ليهمهم خربت بلاد الشام أو عمرت، وساروا بحسب الأهواء، وكثيرا ما سعوا في تفريق الرعية حتى ساعد الانقسام بين أطرافها على نوال ما يبتغون".[٢]

أما نهاية هؤلاء كانت إما السجن أو التعذيب أو مصادرة الأموال أو القتل[٣].

د- الكاخيا:

أو الكتخدا[٤]، مساعد الباشا، وكان من الموظفين المهمين التابعين للصدر الأعظم، ومن خدمه الخصوصيين، ولم يكن له في البداية أي علاقة بالإدارة[٥]، ومع تزايد أهمية الصدر الأعظم، ازدادت أهمية هذا المنصب وأصبح يشغله كبار موظفي الدولة[٦] وغالبا ما يكون هذا المنصب عسكريا حيث أنه عُدَّ من أهل السيف[٧]، ومنح رتبة آغا، وكان له مساعدان سمي أحدهما كاخيا كاتبي، الذي أشرف على المراسلات العامة، والآخر سمي قره قولاق ومهمته القيام على المراسلات بينه وبين الصدر الأعظم[٨].

وقد أشرف الكاخيا بك على المكتوبجي (كاتب الخطاب)، والتشريفاتي[٩]، وهؤلاء الموظفون خضعوا للصدر الأعظم من حيث تناولهم الطعام اليومي إلى أواخر القرن الثامن عشر، بالإضافة إلى ذلك عمل الكتخدا في أكثر من مجال في منصب الحاكمين، فهناك كتخدا أوجاق اليرلية الذي مثل الأوجاق في اتصاله بالآغا، وحل محل الآغا في المجالس الرسمية، وحول أوامر الآغا

---

(١) العبد- قطعة من حوادث سنة ١١٨٦- ١٢٤١م، ص ١٩-٢٠.

(٢) مجهول-حسر اللثام عن نكبات الشام، ص ٢٦.

(٣) ميخائيل الدمشقي-تاريخ حوادث الشام ولبنان، ص ٢٠، ص ٥٦، ص ٥٨.

(٤) الكتخدا وتلفظ أحياناً كخيا وهي كلمة تركية محورة عن الأصل الفارسي (كتخدا) بمعنى سيد البيت، وفي فترة الدراسة في القرن الثامن عشر حملت أكثر من لفظ ومن معنى مثل المساعد أو وكيل الباشا أو نائبه. جب وبوون- المجتمع الإسلامي، ج١ ، ص ٨٨، ١٦٨، ١٧١، البديري-حوادث، ص ٢٦، ١٦٩.

(٥) رافق-بلاد الشام، ص ٦٥.

(٦) جب وبوون-المجتمع الإسلامي، ج١ ، ص ١٧١ .

(٧) المرجع نفسه،ج١١ ، ص ١٧٠.

(٨) نفسه، ص ١٧١-١٧٢.

(٩)من الكلمة العربية شرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى حراس القلاع وصغار ضباط القوات في الميدان[١]، وأطلق على قائد البلوكات (القول كخيامسي[٢]، ووجد كيخيا للدفتردار سمي دفتردار كخياسي، وكخيا الزعامات والتيمار[٣].

وما يهمنا من هؤلاء هو كاخيا الوالي الذي لعب دورا مهماً في دمشق في القن الثامن عشر، ويشير إلى ذلك جب بوون بقوله: "كان للوزير من المرتبة المتوسطة الكاخيا الخاص به".[٤] الذي اعتبر مدبر مكتبه، وأقرب الناس اليه ومثل حلقة اتصال بينه وبين الناس، وهو نائبه ومتسلمه في حالة غيابه أو مرضه[٥]. مثال على ذلك عندما كان أسعد باشا العظم والياً على دمشق سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م، اضطر للغياب عن المدينة، وفي أثناء فترة غيابه حل محله متسلمه وكاخيه موسى آغا الذي أصبح بعد ذلك واليا على صيدا[٦]، رئس الكاخيا دائرة سميت (دار الكتخدائية) يتوجه منها كل يوم إلى قصر الولاية في موكب خاص يرافقه عدد من الحرس الخاص بالولاية، وتؤدى له التحية على باب قصر الولاية ويستقبله كتخدا البوابين ومن ثم يتلقاه في قاعة الاستقبال (الخزنة دار)، حتى يصل إلى ديوان الوالي، ويفتح له الباب، وينحني الكاخيا أمام الوالي احتراما له وعندما يؤذن له بالجلوس، يقدم الكاخيا تقريراً عن أعماله في اليوم الماضي وجدولاً بأعمال اليوم الجديد، وبعدها يشرب القهوة ويغادر قصر الولاية في موكب رسمي إلى دار الكتخدائية ليباشر أعماله حسب توجيهات الوالي[٧]، وكان يتم تغيير الكاخيا كل سنة[٨]، أي أن تعيينهم كان لمدة عام واحد، وعلى الرغم من ذلك إلا أن بعضهم استمر في منصبه طيلة فترة ولاية الوالي في فترة الوالي الجديد مثل موسى كاخية اسعد باشا العظم الذي استقام في منصبه، من حكم سليمان باشا العظم حتى سابع سنة من حكم ابن أخيه اسعد باشا العظم[٩].

وبالإضافة إلى تسلم الكيخيا منصب المتسلم في حال غياب الوالي عن دمشق، فإن البديري

---

(١) جب وبوون-المجتمع الإسلامي،ج٢ ، ص ١٧٢.

(٢) القول كخياسي اختصار للقبو قولي كخياسي، وكان اسمه الشائع كخيابك، ومعناها الحرفي المشرف على العبيد. انظر المرجع نفسه، ج٢ ، هامش ص ٨٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢١١.

(٤) نفسه، ص ٢١٤.

(٥) نفسه، ص ٢١٤. انظر أيضاً الصباغ، ليلى - المجتمع العربي السوري، ص ٧٦ .

(٦) غرايبة-مقدمة تاريخ العرب الحديث، ج١ ، ص ٦١.

(٧) المرجع نفسه، ج١١ ، ص ٦١-٦٢.

(٨) أسامة عانوتي-الحركة الأدبية في القرن الثامن عشر ، ص ١١.

(٩) البديري-حوادث، ص ١٥٨-١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشير إلى أن الكيخيا نفسه كان يشارك في التحضير للإعداد لقافلة الحج، حيث انه شارك في الخروج للدورة التفتيشية على السناجق التابعة لولاية دمشق لجمع الأموال الميرية، يرافقه بمهمته القوات العسكرية التابعة للوالي ويقول في ذلك في سنة ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م "توجه الباشا أسعد باشا العظم إلى الدورة، وفي ليلة العاشر من رمضان جاء الباشا من الدورة، وجاء العسكر مع الكيخية بعد يومين".[١]

حتى إن الكتخدا كلف بقيادة قافلة الحج الشامي في بعض الأحيان، كما حدث عام ١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م عندما عين راغب باشا واليا على الشام: "جاء الخبر من الدولة العثمانية أن يكون موسى آغا كيخية راغب باشا، ليتعاطى أمور الحج والدورة".[٢]

ويشير المرادي إلى أن بعض الكتخدوات أصبحوا برتبة وزير بطوخين مثل حسين مكي[٣]، ويذكر المرادي أن والده التحق بخدمة أسعد باشا أحد وزراء الشام، وأخذ غزة إقطاعا له بطريق المالكانة، ثم جعله أسعد باشا العظم كتخدا له بدمشق، وبعد عدة سنوات عين ابنه حسين حاكما على غزة والرملة، ثم على القدس التي كانت تابعة لولاية دمشق في تلك الفترة، وفي سنة ١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م عينته الدولة حاكما على القدس، برتبة باشا بطوخين أي أمير أمراء بكلربكي، ثم أعادت الدولة القدس إلى أسعد باشا العظم، ورقى حسين باشا مكي إلى رتبة وزير أي باشا بثلاثة أطواخ، ثم ولته الدولة على صيدا ثم على دمشق[٤].

ومن الكتخدوات الذين منحوا رتبة وزير بطوخين موسى آغا كتخدا أسعد باشا العظم الذي كان قبل ذلك كتخدا لأسعد باشا العظم ومتسلما له في دمشق، ثم رقي إلى منصب باشوية صيدا، وفي سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م[٥]عين (سردار) أميراً على الجردة[٦]، كما اعتبر الكتخدا كاتم السر للوالي[٧].

---

(١) البديري-حوادث، ص ١٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٤. القاري - الوزراء الذين حكموا دمشق ، ص ٨٩-٨٠.

(٣) آل مكي دعيت هذه العائلة بهذا الاسم نسبة إلى أحدهم، وهو محمد مكي أحد تجار غزة المتمولين، واليوم هذه العائلة من عائلات غزة العريقة، وهي ثاني عائلة شامية ظهر فيها وزراء، والعائلة الأولى هي آل العظم. الدباغ-بلادنا فلسطين، ج١ ، ص ٨٦.

(٤) المرادي-سلك الدرر، ج٢ ، ص ٦٠-٦٢. ميخائيل بريك الدمشقي-حوادث الشام ولبنان، ص ٣٦. البديري-حوادث ص ١٨٨.

(٥) البديري-حوادث، ص ٢٠٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٠٤.

(٧) مجهول - حسر اللثام عن نكبات الشام، ص ٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبذلك نستنتج أن بعض هؤلاء قد ترقى في السلك الإداري من آغا الى متسلم على إحدى السناجق إلى كتخدا الوالي، ثم إلى وزير بطوخين وإلى منصب الوالي نفسه، ليس فقط في ولاية دمشق بل في ولايات أخرى من بلاد الشام، لدرجة أن الوالي نفسه كان يقوم بتعيين ابنه كتخدا له[١]، ويؤكد حسن آغا العبد ذلك عندما يذكر أن عبدالله باشا العظم عندما توجه إلى الدورة والحج سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٧م، "توجه منصب طرابلس إلى خليل بيك بن عبدالله باشا"[٢]، والكتخدا بدوره كان يقوم بتعيين ابنه متسلما على إحدى السناجق[٣].

وقد اتجه بعض هؤلاء، كبقية أفراد الهيئة الحاكمة كالدفتردار والمتسلم، إلى السيطرة وابتزاز أموال الرعية، مستغلين بذلك ضعف الدولة العثمانية الحاكمة ونفوذهم الإداري والعسكري الواسع[٤].

هـ- الصوباشي:

أو السوباصي، وقد كانت هذه الكلمة شائعة في بلاد الشام، وتعني رئيس فرقة من الجند، وكانت بمثابة الشرطة، التشري باشي (Ceribashi) وهو رئيس فرقة من السباهية[٥].

وكان منهم نوعان من الضباط في الولايات التي بها إقطاعات، أولهما الصوباشيلري أو صوباشية أصحاب التيمارات، أو الزعامات، وكان يختار من بين أصحاب هذا النوع من الاقطاع الزعامات في المناطق الإدارية الصغيرة، أما الثاني فكان ميري صوباشيلري أو صوباشية الخزانة[٦].

يتضح من الأسماء السابقة أن الصوباشية الإقطاعيين كانوا يعيشون على مصادر دخل الإقطاعات، وأنهم كانوا ملتزمين بالقيام بالواجبات الإقطاعية العادية، ومع ذلك كان لكلا الصنفين حق في تقاضي أتاوات على بعض الغرامات المتحصلة من المذنبين، ولم يكن صوباشية الميري وحدهم ضباط شرطة، بل انطبق ذلك أيضاً على الصوباشية الإقطاعيين، وكلاهما كانا مسؤولين عن المحافظة على النظام وقت السلم في مركز الولاية[٧].

---

(١) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ج١ ، ص ٢١٨.

(٢) العبد-قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص ٢٦.

(٣) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ج١ ، ص ٢١٨.

(٤) المرجع نفسه، ج١ ، ص ٢١٨.

(٥) العبد-قطعة من حوادث ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص ١٤٨.

(٦) جب وبوون-المجتمع الإسلامي، ج١ ، ص ٢١٧.

(٧) المصدر نفسه-ج١ ، ص ٢١٧-٢١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووفقا للتنظيم الإداري العثماني فقد عين صوباشي في كل من المدن الصغرى، والقرى الكبرى، وكانت مهمته تختلف من مكان لآخر[١].

ففي مدينة دمشق كانت مسؤولية الصوباشي المحافظة على الأمن والرقابة والنظام، ويساعده بعض المعاونين الذين يعملون تحت إمرته، أما في طرابلس فقد وجد إلى جانب الصوباشي مساعد له في تطبيق القانون والنظام عرف بـ العسس باشي[٢]، ويبدو أن تعيين هؤلاء يتم من قبل الوالي، لأن عملهم مرتبط به مباشرة، ولذلك كان لا بد له من إخبار القاضي بموجب بويورلدي (أمر عال)، كما يظهر من النص التالي: "أعلم العلماء والأعلام، زبدة الموالي العظام القاضي أفندي بمدينة طرابلس الشام زيد فضلة، نخبركم بأنا أقمنا حامله السوباشي في المدينة المرقومة، لأجل الحفظ والحراسة وصيانة أعراض عباد الله على منوال السنين السابقة، بناء على هذا البيورلدي حال وقوفكم على مضمونه، تنبهوا على السوباشي أن يقوم بالخدمة المذكورة، ولا تدع أحد يعارضه ولا يداخله في خدمته المرقومة".[٣]

وورد في كتاب محمود شوكت[٤] ما يلي: "كانت وظيفة الصوباشي ليلية بالدرجة الأول، حيث كان يتجول في الشوارع والأزقة، فيشرف على نظافتها ويأمر بإزالة ما يعيق المارة والأتربة، وكان يلاحق المشاغبين ومقلقي راحة الأهالي، وكان يساعده عدد من الأفراد".

نستنتج مما سبق أن مهمة الصوباشي في مدينة دمشق قد حددت بالحراسة والمحافظة على نظافة المدينة ومعاقبة المعتدين وايداعهم في الحفظ (السجن)، وفي الأماكن التي تقطن بها القوات الإنكشارية في دمشق كان يقوم بمهام الشرطة، وكانت هذه القوات توفر دوريات من الشرطة ليلاً ونهارا في شوارع المدينة لإعتقال اللصوص والمشبوهين أي أن مهمة هذه القوات العسكرية تنظيم الدوريات الأرضية، تحت إمرة الصوباشي[٥].

---

(١) الصباغ، ليلى – المجتمع العربي السوري، ص ١٨.

(٢) عسس باشي: كلمة عربية مشتقة من (عسى) أي طاف الليل يحرس الناس، والعسس هم الذين يطوفون في الليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة، والعساس باشي هو رئيس الحراس. أنظر عبد الغني عماد- السلطة في بلاد الشام، (هامش)، ص ١٦١ .

(٣) عماد ، عبدالغني- السلطة في بلاد الشام ، ص ١٦١-١٦٢، اعتماداً على سجلات محكمة طرابلس الشرعية، السجل السادس. لعام ١١٤٣-١١٤٥هـ/ ١٧٣٠-١٧٣٢م ، ص ١٠٦.

(٤) شوكت- التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، ص ٩٩.

(٥) عماد ، عبدالغني – السلطة في بلاد الشام، ص ١٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إضافة إلى ما سبق قام الصوباشي بدور أخلاقي حيث قام بمراقبة بنات الهوى، وذلك بسبب فسادهن في المدينة، ففي عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨- ١٧٤٩م عندما فشل أسعد باشا العظم بنفي بنات الهوى من دمشق، رتب على كل واحدة منهن عشرة قروش، وجعل عليهن صوباشياً[١]، كما أشرف الصوباشي على شؤون المدينة من حيث مراقبة أسواقها، وتطبيق الأحكام الشرعية والحد من أي تصرف يخل بالشريعة، ومطاردة المجرمين والبحث عن الجناة[٢]، كما أنه اعتبر منفذا لأوامر القضاة، ومسؤولاً عن المحافظة على القوانين والأنظمة في المدينة[٣].

وتشير السجلات الشرعية لمدينة دمشق إلى أن الصوباشي عين موظفا على القرى التابعة لدمشق، وكان له على القرية التي يعين عليها عدد من غرائر[٤] الحنطة والشعير، ففي عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م كان على قرية داريا الكبرى ستة وثلاثون قرشا كيلا حنطة لإبراهيم آغا بن إسماعيل آغا زادة الصوباشي على تلك القرية[٥].

ويبدو أن مصدر دخل هؤلاء كان يأتي من الاقطاعات التي منحتها لهم الدولة، كما أعطوا سالیانة راتباً سنوياً من الألوية التي تخلو من التنظيمات الاقطاعية، واعطوا إقطاعا من درجة زعامة تراوح ايراده السنوي ما بين ٢٠,٠٠٠ و ٩٩,٠٠٠ أقجة[٦].

ومع ذلك كان هؤلاء لا يهمهم سوى مصلحتهم الشخصية وفضلوها على المصلحة العامة، واتجهوا إلى ابتزاز أموال الناس، وقد كانت حياتهم تنتهي إثر الفتن والصراعات التي كانت تحدث في دمشق، كما حدث عام ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م عندما قتل بعض الأهالي والصوباشي إثر الفتنة التي حدثت بدمشق في عهد عثمان باشا أبو طوق[٧].

---

(١) البديري-حوادث، ص ١٣٤.

(٢) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ج١ ، ص ٢٢٥.

(٣) وجيه الكوثراني-السلطة والمجتمع، ص ٥٥.

(٤) غرائر: مفردها غرارة وهي وحدة قياس الحجم، وهي عبارة عن وعاء من الخيش يوضع فيها القمح ونحوه، والغرارة لم تكن مجرد وعاء بل هي مكيال يعادل ثمانين مداً، والمد يتراوح ما بين ٤٠٠-٧٠٠ غرام. ووزن الغرارة حوالي ٢٠٤,٥ كغم. أنظر عدنان الخطيب، نظرات في المعجم الوسيط، مجلة المجتمع العلمي العربي بدمشق، مجلد ٣٨، ١٩٦٢م، ص ٤٨٦. انظر أيضاً هنتس - المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٦٤.

(٥) س ١٤٣، ص ٢٢٥، ١٧ شوال ١١٦٦هـ/١٧٥٢م.

(٦) غرايبة-مقدمة تاريخ العرب الحديث، ج١ ، ص ٦١.

(٧) المرادي-سلك الدرر، ج٢ ، ص ١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

القوى المحلية المرابطة في دمشق
ودورها في القرن الثامن عشر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبق أن تحدثنا عن نصوح باشا الذي تمكن من تحقيق رغبة الدولة العثمانية في إعادة تنظيم الأمور في مدينة دمشق، وفي ضبط الأمن فيها. وبعد وفاته عام ١١٢٦هـ/١٧١٤م ترك هذا الوالي بعده فراغاً كبيراً في المنطقة، ومع أن الولاة الذين أعقبوه حاولوا تأكيد سلطتهم وتقليده إلا أنهم لم يكونوا بمستوى شخصيته وكفاءته الإدارية، ويبدو أن مقتل نصوح باشا، أضعف مركزهم، وقلل من هيبتهم، إضافة إلى اتجاههم لتحقيق مصالحهم الخاصة، وابتزازهم الأموال من الأهالي، ويظهر أن هذه العوامل إضافة إلى العوامل الخارجية[1] قد شجعت القوى المحلية في مدينة دمشق على الدفاع عن كيانها والدخول في صراعات مع الولاة. وقبل الحديث عن الأوضاع الخارجية للدولة العثمانية وانعكاس أوضاعها على الولايات التابعة لها خاصة دمشق، والصراع مع ولاة دمشق، لا بد من التعرف على القوى المحلية التي كانت مرابطة في مدينة دمشق.

ويمكن حصرها بالفئات الرئيسية التالية:

أ- القوى العسكرية.

وكانت هذه القوى تتألف من عدة جماعات عسكرية تتنافس فيما بينها للحصول على الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية، لذلك كانت مصدر القلاقل في دمشق خلال القرن الثامن عشر. وأهم هذه الجماعات العسكرية الانكشارية بنوعيها البرلية والقابي قول والسباهية والقوات المرتزقة.

أولاً: الانكشارية:

أ- تنظيمها:

أنشأ السلطان العثماني أورخان في حوالي القرن الثامن الهجري ٧٢٦-٧٦١هـ/ ١٣٢٦-١٣٥٩م جيشاً جديداً من المشاة عرف بالانكشارية (يني تشري) وتعني الحرس الجديد[2]، وقد شكل هؤلاء فرقة من فرق الجيش العثماني، التي كان يتم تجنيد أفرادها عن طريق خمس الغنائم أولاً، ثم عن طريق الدفشرمة أي عملية جمع الشبان من أبناء المسيحيين في البلقان (كالبوشناق والروم والصرب والبلغار والأرمن والأرناؤوط)[3]، وتكون أعمارهم ما بين سن العاشرة إلى الخامسة عشر، ويربى هؤلاء تربية إسلامية وعسكرية في ثكنات خاصة، حيث يتم تدريبهم في

---

(١) ابن كنان - المواكب الإسلامية، ج١، ص٤٦.

(٢) كرد علي - خطط الشام، ج٥، ص٢٥.

(٣) جودت - تاريخ جودت، ج١، ص٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدارس خاصة، ويوضعون تحت المراقبة، ثم يتم توزيعهم حسب ميولهم وقدراتهم أثناء فترة تدريبهم، فالذين يتميزون بقدراتهم البدنية يحولون للخدمة العسكرية في صفوف الانكشارية، أما الذين يتميزون بذكائهم فيؤخذون لقصر السلطان كموظفين، ويدربون على فنون الإدارة والقيادة، ويختار منهم الصدور العظام وكبار الموظفين في البلاط العثماني[١]، وأطلق على هؤلاء الشبان حصيلة الدفشرمة لقب قوللري (KAPI KULLARI)[٢].

وقد حرصت الدولة على الحفاظ على الصبغة العسكرية للإنكشارية، لذلك لم يقبل في صفوفها إلا غلمان الأسر الذين يشبون على هذه التربية الخاصة، وكان الترقي في المراتب حسب الأقدمية العسكرية، وكانوا يخضعون لقوانين معينة منها أنهم مُنعوا من الزواج حتى لا ينشغلوا عن واجبهم العسكري، وإذا ما أراد أحدهم الزواج كان عليه أن يحصل على موافقة الرئيس الذي كان يُعرف بالآغا[٣]، ولكنه لا يرقى إلى رتبة رئيس غرفة (ODABASHI) ولهذا ابتعد الكثير منهم عن الزواج[٤]، كما تمتع هذا النوع من الجند بالطاعة المطلقة للقواد والانسجام ضمن الفرقة العسكرية، والابتعاد عن تعاطي عمل غير الجندية (كالتجارة والحرف)، وكانوا يقضون أوقاتهم في التدريب العسكري واللياقة البدنية[٥].

قسم الجيش العثماني حسب التنظيمات العسكرية إلى عدد من الوحدات العسكرية عرفت كل واحدة منها باسم أوجاق[٦]، وهذه الأوجاقات قسمت بدورها إلى عدة أورطات[٧] التي

---

(١) فريد - تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٤٢. انظر أيضاً عن الدفشرمة
.Menage, Devshirme, E. I_2, VOL II, PP. 210-211

(٢) أو القبيقول وتعني حرفياً "عبيد الباب" وهم جند الدولة أو حرس السلطان وكانوا من المشاة. أنظر المرادي- سلك الدرر، ج٢، ص٦١. رافق - بلاد الشام ومصر، ص٧٣. عبد الغني عماد - السلطة في بلاد الشام، ص١٠٦.

(٣) الآغا: كلمة تركية تعني السيد أو الرئيس أو الشيخ أو رئيس الضباط، وقد أطلقت في دمشق على قائد فرقة الإنكشارية ورؤساء الفرق العسكرية عامة. انظر الأسدي - موسوعة حلب المقارنة، ج١، ص١٦.

(٤) سويد - التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية، ج١، ص١٦.

(٥) جب وبوون - المجتمع الإسلامي والغرب، ج١، ص٨٢. انظر أيضاً علاء موسى كاظم - "مدى مسؤولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية"، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع٣٠، ١٩٨١، ص١١٩، ١٢٥.

(٦) أوجاق: كلمة تركية تعني الصنف أو موقد من الحديد أو الطين يوضع فيه الجمر. أما هنا فتشير إلى فرقة من الجند الإنكشاري أو طائفة منهم. أنظر أنيس فريحة - معجم الألفاظ العامية، ص١٩١.

(٧) مفردها أورطة كلمة تركية تعني المركز، ولما كانت كل أورطة توضع في غرفة تسكنها بالتركية (أوضة)، لذلك استخدمت كلمة أوضة بديلاً عن كلمة أورطة انظر العبد، قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قسمت أيضاً إلى بلوكات[١] والجماعة (علوفةجي)، وكان عدد الأورط يختلف من ولاية إلى أخرى، وفي زمن الحرب عنه في زمن السلم، كما اختلف ما بين استانبول والولايات التابعة لها، فقد كانت الأورطة في أول أمرها تتألف من خمسين شخصاً، وفي القرن الثامن عشر تكونت الأورطات المرابطة في العاصمة من مئة شخص، أما الأورطات المرابطة في الأقاليم فقد تكونت من ثلاثمئة شخص في أوقات السلم، وتزداد إلى خمسمئة شخص في أوقات الحرب، وقد خضعت جميعها لإمرة قائد الانكشارية الآغا[٢].

وقد قسمت الانكشارية عسكرياً في مدن الشام إلى أوجاقين، أوجاق الانكشارية "اليرلية" ووجاق القابي قول[٣]، ورؤساء هذه الوجاقات يسمون آغاوات، وكان أفراد كل أوجاق يوشمون على أيديهم بشارة أوجاقهم، كما امتازت غرف الأورطات التي كانوا يقيمون ويجتمعون فيها بالرسوم والعلامات التي كانت تزين جدرانها، وهذه العلامات تتكون من رسم لمفتاح أو سمكة أو حصان هو شعار الأورطة وعلمها. وفي القرن الثامن عشر أخذ أفراد الأورط يوشمون إضافة إلى أذرعهم أرجلهم بهذه الرموز[٤]، ويبدو أن هؤلاء، في القرن الثامن عشر، لم يكن لهم نظام عسكري محدد، إلا أن أفراد كل أوجاق كانوا يخضعون لآغا الأوجاق، والجميع يخضعون لكبير الأوجاق ربما "آغا آغة" الأوجاق المنتخب من بين الأغوات[٥]. وكان للإنكشارية بنوعيها اليرلية والقابي قول ضباط ذوي مرتبات عسكرية مختلفة من أبرزهم آغا الانكشارية في استانبول، والذي كان يترأس العساكر والحامية العسكرية، وهو الذي يحدد قوامها ومهامها، وكان يسير في الأسواق يرافقه عدد من أفراد الانكشارية، ونظراً لأهمية مركزه كان له زي خاص ومرافقون وفرق موسيقية[٦]. أما مهام الأمن فلم تكن قاصرة على الآغا نفسه بل كانت هذه المهمة تشمل عدداً من الضباط الآخرين[٧]. وقد وجد في دمشق آغا لليرلية وآغا للقابي قول، وكان يعاون

---

(١) البلوك اصطلاح عسكري وتعني الوحدة العسكرية. أنظر محمود رئيف - التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص٨٠.

(٢) جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص١٠٨.

(٣) أنظر ص١٠ وما بعدها حيث سيتم توضيح هذه الفئات من العسكر.

(٤) جب وبوون، المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص١١١. مجهول - حسر اللثام عن نكبات الشام، ص٣٣.

(٥) مجهول - حسر اللثام عن نكبات الشام، ص٣٣-٣٤.

(٦) شوكت - التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، ص٨٩.

(٧) جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآغا عدد من الضباط أبرزهم الكتخدا[١]، الذي يعد على المستوى العسكري المعاون الأول لآغا الانكشارية الذي ذكر في بعض المصادر آغا كتخداسي أو قول كتخدا سي[٢]، وكان له صلاحيات آغا الانكشارية، حيث كان يشرف على من هم أقل منه رتبة عسكرية، ويحافظ على أصول وقواعد الانكشارية، لذلك كان يتم اختياره من بين أكثر الشخصيات خبرة في الأوجاق، وهو من حيث الزي واللباس قريب من آغا الانكشارية باستثناء لباس الرأس[٣]، يليه صاحب المرتبة العسكرية الجوربجي[٤]، وكان في كل وحدة عسكرية عدد من الجورباجية يرأسهم الجورباجي باشي، الذي تميز زيه بلبسه القلفة الحمراء يرتديها على الرأس وعليها قماش أبيض وعباءة مصنوعة من الجوخ إضافة إلى سراويل حمراء[٥]، وكان له مهام محددة في أواخر القرن الثامن عشر، حيث كان يقود مئة رجل، وكل مئة من هؤلاء يشكلون أورطة، ومعه ستة نواب وعدد من الضباط المساعدين[٦]، يليه الأوضة باشي[٧] الذي كان مسؤولاً عن مجموعة عسكرية تقيم في غرفة واحدة، إذ كان يمثل الثكنة العسكرية، إضافة إلى ذلك فقد ألحق بالجوربجي ومهمته حفظ النظام أثناء العرض العسكري، والإشراف على تنفيذ أوامر الجوربجي، كما أنه كان وكيلاً للكتخدا ويشكل صلة الوصل بين الآغا وجند الانكشارية[٨]. ثم يايا باشي[٩] والتي أطلقت في دمشق على أغوات الانكشارية الجوربجية[١٠]، يليه بلوك باشي (وهي رتبة عسكرية) كان حاملها

---

(١) انظر الفصل الأول حيث أطلق هذا اللقب على مستوى الإدارة إلى جانب الوالي في تسيير أمور الولاية.

(٢) جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص١٠٩.

(٣) الخطيب - معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص٣٦٣-٣٦٤.

(٤) أصل الكلمة تركي وتعني الحساء، وهي مأخوذة من الكلمة الفارسية شوربة المشتقة من الفعل شرب بالعربية، وقد خرجت الكلمة عن مدلولها الحرفي وأصبحت تعني الأغا من أصناف ضباط الانكشارية، ونلحظ أن عدداً من التسميات والألقاب العسكرية قد اشتقت من عمليات المطبخ المختلفة.

(٥) شوكت - التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، ص٩٤.

(٦) كرد علي - خطط الشام، ج٥، ص٢٨. جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص١١٠.

(٧) أو الأود باشية حفرها أودة باشي وهي لفظ تركي من أودة بمعنى الغرفة، وباشي تعني الرئيس والياء اللاحقة في باشي للإضافة فيصبح معناها رئيس الغرفة. أنظر البديري - حوادث، ص١٧٧، ٢٩١. ابن الصديق - غرائب البدائع، ص١٤١.

(٨) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٣٢.

(٩) وهو لقب لرئيس الجند المشاة من الانكشارية في العهد العثماني انظر البديري - حوادث، ص١٩٥.

(١٠) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج٢، ص٦٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائداً للبلك، وقد ارتبطت أهميته بأهمية البلك نفسه[١]، ثم باش شاويش (وهي رتبة عسكرية)، يعتبر حاملها أحد ضباط أوجاق الانكشارية، ويتبع في الأصل الجوربجية، ويعمل تحت إمرة آغا الانكشارية ويقود الأورطة الخاصة من البلوك، كما كان يرأس الأوجاق ويقود الأورطة في وقت واحد في حالة غياب آغا الانكشارية، ويقدم شكاوي الانكشارية إلى الآغا[٢]، كما وجد الجاويش[٣] وهي وحدة عسكرية يقوم أفرادها بمهام الشرطة العسكرية، فقد أوكل إليهم القضاء على المخالفات التي كان يرتكبها عناصر الانكشارية، وينفذون العقوبات البدنية بحق المخالفين[٤]، والآغا يماغي[٥] الذي كان تابعاً للآغا، ومن مرافقيه أثناء تنقلاته[٦]، والبكباشي[٧]، وبوجك باشي[٨]، ومن مرافقي الآغا أيضاً صوجي[٩].

وجدت بعض الوظائف والرتب العسكرية الأخرى في أوجاق الانكشارية بدمشق، ويلحظ أن هذه الوظائف ذات الرتب العسكرية كانت ترتبط بالجهاز الإداري الذي ترأسه الوالي في دمشق مثل: وكيل الخرج (وهو الضابط المعتمد من قبل وحدته العسكرية بصفته رئيس المحاسبة) بمعنى المعتمد المالي الذي يتولى شؤون الصرف[١٠]، ثم البيرقدار[١١] وكانت مهمته حمل علم الأورطة التي يتبع لهم، وقد كان لكل أورطة من أورطات القابي قول بيرقدار، وقد اعتبر حامل هذا اللقب من كبار الضباط يعاونه ضابط آخر عرف باسم باش إسكي، ويكون أكبر أفراد

---

(١) محمود رئيف - التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص٨٠.

(٢) جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص١٣٢، ٣٤٨.

(٣) لفظ تركي وجمعها الجاويشية وتعني جندي ذو رتبة عسكرية صغيرة.

(٤) الخطيب - معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص١١٩.

(٥) من (Yamak) أي محافظين القلاع.

(٦) شوكت - التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، ص٩٢.

(٧) رتبة عسكرية أصلها ينباشي (المقدم).

(٨) رتبة عسكرية يعد حاملها بمثابة مدير الشرطة. أنظر الخطيب - معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص٩٠.

(٩) وكانت مهمته سقاية الجند.

(١٠) محمود رئيف - التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص٥٤.

(١١) لفظ فارسي - تركي مركب من: بيرق بمعنى الراية، ودار: بمعنى صاحب فيصبح معناها صاحب أو حامل الراية. أنظر جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص١٩٠. الخطيب - معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأورطة سناً وكان رئيساً للحرس[١]. كما وجد ما يسمون بعشيّة الأورطة[٢] يرأسهم ضابط من ضباط الانكشارية عرف باسم عشي أوستة أو آشجي باشي، وكان يرتدي قلنسوة محاطة من أسفلها بشاش أبيض مضرب بشكل مائل، ويظهر في أعلاها بروز مخروطي الشكل أحمر اللون ومن تحته سراويل[٤١]، ثم بلوك أمين الغرفة الذي وجد له يمق[٣]، كما وجدت وحدة عسكرية من صنف أوجاق الانكشارية أطلق عليها اسم سقائي الجند، مهمة أفرادها تأمين مياه الشرب والنظافة لكل أورطة، تميز زيها بقميص أبيض وسراويل خضراء، يرأسهم ضابط عرف باسم سقا باشي[٤]، والوحدة الأصغر من الأورطة هي (erlik) وكان عدد أفراد الايرلق من الانكشارية في النصف الأول من القرن الثامن عشر حوالي خمسين شخصاً، في حين كان عدده في النصف الثاني من القرن الثامن عشر عشرة أنفار، وربما يعزى الاختلاف بين عدد عناصر الايرلق إلى التعديلات في تنظيم وحدات الانكشارية ما بين السلم والحرب[٥].

ونجد أن مشاة القابي قول في الجيش العثماني تشكلوا من عدد من الوحدات العسكرية في العهد العثماني، ووجد منها في ولايات الشام ومن بينها دمشق، منها:

١- الطوبجية[٦]: وشكل هؤلاء وحدة عسكرية من أبرز أوجاقات القابي قول، ومن مهامهم الأصلية العناية بصناعة المدافع وصيانتها، ويرأسها طوبجي باشي (قائد المدفعية ويساعده عدد من الضباط)، ومن مهامها أيضاً أثناء الحرب تهديم قلاع العدو وتدمير قواته وتحصيناته بالمدفعية[٧].

٢- عربة جي أو جاغي وهي من ضمن سلاح المدفعية مهمتها تأمين قطر المدافع وتأمين خدماتها، ويرأسها ضابط عرف باسم عربجي باشي[٨].

---

(١) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٣٣.

(٢) شوكت - التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، ص١١٨.

(٣) كلمة تركية تعني المعاون أو المساعد وهنا تعني محافظي القلاع انظر شمس الدين سامي - قاموس تركي، ص ١٥٥٤ - ١٥٥٥.

(٤) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ص٢٣٣.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٣٣.

(٦) لفظ تركي أصله طوب، معناه مدفع والطوبجية رماة المدفعية. أنظر جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص١١٦. انظر أيضاً الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٣٩.

(٧) شوكت - التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، ص١٠٤-١٠٥.

(٨) وقد عمل أفراد العربجية في سلاح العربات، وكانت مهمتهم جر المدافع المتحركة، إضافة إلى أن العربجية كانوا مساعدين لعناصر الطوبجية، لذلك وجد ما يعرف بالطوب عربجية أي سائقو عربات المدافع. أنظر جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص١١٦. محمود رئيف - التنظيمات الجديدة، ص٥٢. الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- جبجية أو الجبه جي ومهمتهم صنع السلاح وحفظه وصيانته، أما رئيسه فقد عرف باسم "جيبة جي باشي"[١].

٤- عجمي أوجاقي لري فكان أفرادها يؤخذون وفق نظام الدفشرمة[٢] ومنهم من التحق بأوجاق الانكشارية، وتألف جنود العجمي أوغلان لري من (٥٩) أورطة يرأسها جميعاً آغا الانكشارية، بينما الأورطة الواحدة كان يرأسها ضابط جوربجي باشي يعاونه عدد من الضباط والمساعدين[٧].

٥- اللغمجية اطلق عليه في العهد العثماني "لغمجي لا" ومعناه قسم الألغام، مهمة أفراده محاصرة القلاع وتلغيمها وفتح الأنفاق في أسوارها، ويرأس هذه الوحدة لغمجي باشي[٣].

أما الوجاق الثاني من الانكشارية اليرلية، فكانت أهم وحداته العسكرية:

١- سرحد قولي[٤]: كانت مهمتها حراسة حدود الدولة، وحرمان العدو من عنصر المفاجأة في الهجوم على مواقع الجيش المرابط على الحدود[٥]، وقد عرفت هذه القوات العسكرية أيضاً باسم الأقنجي أو الأكنجي[٦].

٢- عزب: وهم إحدى فصائل اليرلية المحليين الذين وجدوا في كل ولاية، وكانوا يؤخذون من أوجاقات البحرية، وقد أطلق عليهم هذا الاسم لتواجدهم بشكل دائم في الثكنات المخصصة، وكان يرأسهم ضابط عرف بلقب عزب آغاسي، وانقسم أنفار العزب إلى عدد من الأورطات[٧]، وقد اختفى هذا اللقب فيما بعد.

٣- مسلمر: وكان أفرادها بمثابة طلائع للقوات العسكرية المكلفة باحتلال الممرات الإجبارية، والطرق الوعرة لحماية هذه القوات قبل وأثناء العبور، ولا تستخدم هذه الوحدة إلا في

---

(١)جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص١١٧. الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٤٠.

(٢) انظر ما سبق ص٢.

(٣) الخطيب - معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص٣٧٩.

(٤) كلمة فارسية تتكون من سر وتعني الرأس، وحد العربية بمعنى الحدود أي حراس الحدود. أنظر المرجع نفسه، ص٢٤٢.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٤٢.

(٦) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٥٥-٦٤.

(٧) شوكت - التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، ص٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحرب، وأفرادها كانوا من مسلمي الأناضول والروملي، وكانت لهم ثكنات خاصة، عرف تشكيلهم وفق الاصطلاحات العسكرية باسم اليوروك[١]، ونظراً لمهامهم الصعبة فقد اعفتهم الدولة من كافة الرسوم والضرائب المفروضة عليهم[٢]، وقد وجد لأوجاقي الانكشارية اليرلية والقابي قول في دمشق جماعة من كبار السن أطلق عليهم (الاختيارية) وكان لهؤلاء رئيس من بينهم أطلق عليه (باش اختيار) يتكلم باسمهم ويدافع عن مصالحهم[٣]، وقد تولى هؤلاء إدارة شؤون طوائفهم الحرفية في دمشق.

ب - فئاتها ، القابي قول - واليرلية :

ليس معروفاً على وجه التحديد كيف حدث انقسام الجند إلى انكشارية يرلية وقابي قول، في مدينة دمشق التي برزت فيها هذه الظاهرة بشكل واضح.

فهناك اختلاف بين المصادر التي تعرض آراء متباينة حول ضعف الانكشارية وانقسامها، فأحمد جودت باشا في مقدمة تاريخه يعزو هذا الانقسام إلى عدة عوامل منها "في عهد مراد الثالث ٩٨٣-١٠٠٣هـ صار ندماؤه يتدخلون في إدخال الانكشارية على غير قانونهم الأصلي من أولاد العجم مما أضر بالقاعدة والقانون، وهذا حدث في عهد يوسف آغا الذي أدخل الطوائف المرموقة في جند الانكشارية باسم (آغا جيراغي)، وهكذا بذرت بذور الفساد، ثم أن خلفاء يوسف الذين جاءوا من بعده أحدثوا بدعاً جديدة في الأسماء والألقاب، وأدخلوا أشخاصاً لا يعرف أصلهم ولا منشؤهم في سلك الانكشارية، الذين تربوا في الثكنات منذ الصغر فكانوا بذلك علة خراب هذا الأوجاق[٤]".

أما المحبي فيعلل فساد الانكشارية وضعفها إلى خدا وردي بن عبد الله الطاغية أحد كبار جند الشام، حيث يقول: "إنه استتبع رعاعاً وجهالاً استخفهم فأطاعوه، وكان هو وأحفاده قد عاثوا في البلاد وفتنوها، ومنه كانت نشأة فساد العسكر الشامي وطغيانهم[٥].

وفي الحقيقة فإن الدولة العثمانية عمدت منذ عهد السلطان سليم في القرن السادس عشر الميلادي إلى إرسال فرق عسكرية من الانكشارية، لتقيم كحاميات عسكرية في مراكز الولايات

---

(١) الجماعة.

(٢) الخطيب - معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص٣٩٦.

(٣) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص١٣٢.

(٤) جودت - تاريخ جودت ، ج١، ص١٠٤-١٠٥.

(٥) المحبي - خلاصة الأثر ، ج٢، ص١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التابعة لها في بلاد الشام[١]، بهدف الدفاع عنها وتثبيت سلطتها، ويبدو أن حاميتها العسكرية من الانكشارية كانت تستقر في قلعة دمشق والتي تعد من النقاط الاستراتيجية الهامة للدولة العثمانية، لذلك حرصت الدولة على المحافظة على نقاء قواتها العسكرية من الانكشارية المتواجدة في القلعة، وعدم تسرب العناصر المحلية، والعناصر غير التركية كالأكراد والفرس (الطاط) إليها[٢]، بهدف المحافظة على الروح العسكرية التي تمثلت (بالانضباط والطاعة)، والمحافظة على الصبغة العثمانية للانكشارية، وضمان ولائها للمصالح العثمانية، وتمثل ذلك في إرسال عدة فرمانات صادرة عن السلطان العثماني (كما حدث عام ٩٧٩هـ/ ١٥١٧م و٩٨٩هـ/ ١٥٧٧م)، والتي تضمنت أن يعين في الوظائف التي تشغر بين صفوف قوات الانكشارية عناصر الروم وليس من المحليين[٣]. ويظهر أن الفرمان لم يطبق بدقة، إذ استمر المحليون بالانتساب إلى صفوف الانكشارية، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال أسماء الانكشارية غير التركية التي بدأت بالظهور مثل: صالح آغا ... ومحمد آغا من آل صدقة... وسليمان آغا من آل الترجمان وخليل آغا طالو وغيرهم[٤].

نلحظ مما تقدم تسرب عدد كبير من السكان المحليين إلى صفوف الانكشارية ولعل ذلك يعود إلى أن السكان المحليين أدركوا أن الالتحاق بالانكشارية يتيح لهم امتيازات هامة مثل الامتيازات الضرائبية (الإعفاء من الضرائب)، والإعفاء من المحاكمة أمام المحاكم المدنية، (فعندما كان يرتكب أحد أفراد الانكشارية مخالفة ما لا يجوز معاقبته إلا من قبل قائده الآغا فقط)، كما استقلوا عن التحقيقات القضائية التي كان يجريها المحتسبون، إضافة إلى أن الانكشارية كانوا يتمتعون من وجهة نظر السكان المحليين بنفوذ اجتماعي كبير داخل مدينة دمشق، لذلك انضموا إليهم بهدف سلوك مسلكهم، أو حماية أنفسهم من الاعتداء من قبل أفراد الانكشارية، أو الاستعانة بهم عند تعرضهم لأي اعتداء قد يتعرضون له[٥]، وهكذا أخذ السكان المحليون يقبلون على تسجيل أسمائهم في لوائح الانكشارية، فوضعت قوائم المرتبات التي تدعى أسامي (esami) [٦]

---

(١) غرابيه - مقدمة تاريخ العرب الحديث، ج١، ص٧١.

(٢) الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٤٢.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٢. Refeq - The Province of Damascus, P. 27 - 28.

(٤) وهذه العائلات أغلبها محلية انظر المحبي - خلاصة الأثر، ج٤، ص٣٠٩-٣١١.

(٥) مجهول - حسر اللثام عن نكبات الشام، ص٣٣-٣٤.

(٦) المشتقة من اسم، وتعني تخصيص اعتمادات من قبل الدولة لإدخال ناس جدد في الانكشارية حيث قام المتنفذون من الانكشارية بوضع أسماء وهمية في لوائح الرواتب دون أن يكون لهم وجود في الانكشارية ليأخذوا رواتبهم بأنفسهم. أنظر رافق - بلاد الشام، ص٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان آغاوات الانكشارية يتغاضون عن ذلك لما فيها من نفع وتحقيق لمصالحهم الذاتية، فقد كانوا لا يخبرون خزينة الدولة بالشواغر التي تحدث في جيوشهم دائماً، وإنما كانوا يصدرون وثائق جديدة (الأسامي- وثائق الهوية التي كان يزود بها الانكشارية التي يقبضون على أساسها مرتباتهم)، فيبيعونها لكل من يرغب بالشراء ويقبضون مبلغاً لأنفسهم[١]. وبذلك ازداد عدد الانكشاريين المحليين في دمشق وأصبحت الرواتب التي يتقاضونها من الدولة غير كافية. وقد ساهم في إيجاد هذه الأوضاع ضعف الدولة العثمانية وسوء أحوالها الاقتصادية الأمر الذي ترتب عليه ضعف السلطة العثمانية في دمشق، ومن ثم ضعف الروح العسكرية لدى الانكشارية في القلعة والثكنات، فأصبح من الصعب عليهم العيش في الثكنات والقلعة، كما أصبح من الصعب عليهم أن يخضعوا إلى الانضباط والتدريب، وأصبح من المألوف لديهم أن يزيدوا دخلهم ويشغلوا ما أوجدوه لأنفسهم من الفراغ بالأعمال التجارية، لذلك نجد توجه الكثير منهم إلى الخروج من القلعة والثكنات العسكرية للتزاوج مع السكان المحليين، وترك أعمالهم العسكرية الأصلية والعمل بالتجارة والحرف، متجاوزين بذلك مبدأين رئيسيين من مبادئ الانكشارية أولهما: منع الانكشارية من الزواج قبل إحالتهم على التقاعد، وثانيهما: منع الانكشارية من الاشتغال بالحرف والتجارة[٢].

يتضح مما سبق سيطرة العناصر المحلية على الانكشارية، وبالتالي اندماج العسكر مع المجتمع المحلي لمشاركة السكان المحليين في مختلف النشاطات الاقتصادية والاجتماعية، مما أدى إلى تنامي نفوذهم داخل المدينة، فاضطرت الدولة إلى تجديد الحامية العسكرية من الانكشارية المتواجدة في القلعة بين فترة وأخرى، عن طريق إرسال فرق من الانكشارية أطلق عليها القابي قول، ويبدو أن ظهور هذه القوات بشكل ثابت داخل مدينة دمشق كان في النصف الثاني من القرن السابع عشر[٣]، وقد قدر عددها بثلاثمائة جندي، تمركزت في قلعة دمشق للحفاظ عليها، ولكنها سرعان ما اندمجت في الحرف كما سنرى فيما بعد. أما الانكشارية التي أخذت تعمل في الحرف المختلفة واندمجت مع مجتمع المدينة فقد أطلق عليها الانكشارية اليرلية (المحلية)، وكلفت بحراسة القلاع على طريق الحاج الشامي، وهكذا أصبح في مدينة دمشق نوعان من الانكشارية هما:

١- أوجاق القابي قول (القبوقول) التي كان يتم إرسالها من العاصمة استانبول، واستقرت في قلعة دمشق وولاؤها للدولة العثمانية.

---

(١)جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص٢٢٢.

(٢)جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص٢٢٠.

(٣) تحديداً في عام ١٠٦٩ هـ - ١٦٥٨م انظر المحبي - خلاصة الأثرة ج٤، ص٣١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- أوجاق اليرلية التي كان معظم أفرادها من السكان المحليين وولاؤها للمجتمع المحلي.

مما تقدم يمكن القول إن اليرلية قد تكونت نتيجة الانفصال عن الفرق الانكشارية العسكرية التي وضعها العثمانيون في مراكز الولايات، لتحل محل القوات الإقطاعية التي عرفت بالسباهية، وبالتالي فاليرلية تعد من أقدم قوات الانكشارية في مدينة دمشق، ونظراً لعدم مساهمة هذه الفرقة في الأعمال العسكرية العثمانية، فقد انتسب أفرادها إلى المجتمع المحلي لممارسة الأعمال التجارية في كل من دمشق وحلب، وخرجوا من ثكناتهم العسكرية ليتواجدوا في مدينة دمشق، خاصة في أحيائها مثل حي الميدان وساروجا والقنوات[١]، وانضم السكان المحليون للانكشارية اليرلية، حتى أصبحت تعرف باسم "المحلية" عن طريق المصاهرة والمصالح الاقتصادية والاجتماعية المشتركة بين الطرفين[٢].

ونلحظ أن الامتزاج بين الطرفين أخذ يتزايد بشكل خاص في القرن الثامن عشر، فمن خلال مطالعة بعض لوائح أسماء العسكر في دمشق التي يذكرها ابن الصديق باسم الضباط "الأياباشية في وجاق الينكجرية (اليرلية)" يتضح لنا مدى عمق الروابط المحلية لأوجاق اليرلية، وأن أغلبهم كانوا ينتمون إلى عائلات بارزة: "فارس بيك بن مصطفى بيك العظم[٣]، أحمد بيك بن سليمان باشا العظم، عبد الرحمن بيك بن مصطفى باشا العظم بدله يوسف باشا، محمد آغا الساعتجي بدل يوسف بيك الخطر آغاصي محمد باشا أياباشي، سلحدار بن العظم، سيفي آغا مملوك أسعد باشا العظم، محمد أفندي كتخدا بدله مخدومه محمد صالح، حسين آغا بن محمد آغا القطيفاني، صالح آغا بن قاسم آغا الشركسي، عثمان آغا بن مصطفى كتخدا بيار الشرابجة، إسماعيل جربجي البكري، محمد جربجي الطالوي، محمد جربجي القطيفاني، على جربجي بن خير، حسن جربجي بن الحواصلي، أحمد جربجي بن معيط، مصطفى جربجي العمر، محمد جربجي بن ديرانة، إبراهيم جربجي الشقلي، صالح جربجي الدمغجي، علي جربجي الحيدري، محمد جربجي بن آقبيق، علي جربجي بن آقبيق، عمر جربجي القباني، محمد جربجي بن الأمير ياخور، أحمد جربجي ابن السيد حسن شحادة، محمد جربجي السقباوي، سليمان جربجي ينكجري آغاسي، إسماعيل

---

(١) شيلشر - بعض مظاهر أحوال الأعيان بدمشق في أواخر القرن التاسع عشر، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام، م١، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٢) رافق - العرب والعثمانيون، ص٤٨.

(٣) آل العظم وهي من أشهر الأسر التي حكمت دمشق ومن أطولهم حكماً حيث تمكن أفرادها من حكم دمشق لمدة ستين عاماً وكونوا سلالة حاكمة لم تقبض على دمشق لوحدها وإنما تولى بعض أفرادها ولايات الشام الأخرى مثل طرابلس وحلب وصيدا وهي أسرة محلية المنشأ. انظر عبد العزيز، عمر - محاضرات في تاريخ لبنان الحديث، الجزء الأول ص ٤٧. صافي، خالد - ظاهر العمر الزيداني ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٧، ص١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جربجي بن البيطار، محمد جربجي بن بكداش، أمين جربجي شيخ السروجية، أمين جربجي بن قزل باشي، محمد جربجي القتابي تاجر الغنم، علي جربجي بن الشاويش، صالح جربجي بن الشاويش، محمد جربجي الدالي علي، حسن جربجي بن خضري، حسين جربجي بن الشاويش، محمد جربجي ابن مصطفى السباع، عبد اللطيف جربجي بن سليمان آغا الجملي، محمد جربجي بن خالد بيك، إبراهيم جربجي بن عابدون، حسن جربجي بن شبيب، خليل جربجي بن .....، ياسين جربجي بن الصواف، محمد جربجي الصواف، سليمان جربجي مملوك أسعد باشا، مصطفى جوربجي مملوك أسعد باشا، علي جربجي خزندار محمد باشا العظم، مصطفى جورباجي بن الدوجي، بكر جورباجي بن عبد الله آغا ميرو، عبد الله جوربجي بن بكر آغا قباني، عبد رحمان جوربجي القباني، عبد الله جربجي بن حسن آغا سكر، مصطفى جوربجي بن السقباوي"[١].

نلحظ من اللائحة السابقة ذكر خمسة وخمسين إسماً من الضباط الموجودين في دمشق، تم فرزها على الشكل التالي:

- ٢٧ ضابطاً أي ما نسبته (٤٩,٩٪) ينتسبون إلى عائلات دمشقية معروفة.
- ١٣ ضابطاً أي ما نسبته (٢٣,٥٪) يحملون كنية حرفية.
- ٩ ضباط أي ما نسبته (١٦,٢٪) يحملون كنية أدارية عسكرية.
- ٣ ضباط أي ما نسبته (٥,٤٪) من مماليك أسعد باشا العظم.
- ٢ ضباط أي ما نسبته (٣,٥٪) مذكور إسمهم وإسم والدهم بدون كنية وإسمهم منسوب لسيدهم.
- ١ ضباط أي ما نسبته (١,٨٪) يحمل كنية تدل على انتماء شركسي[٢].

إن هذا الجدول يبرز بشكل واضح تركيبة الجهاز القيادي للانكشارية اليرلية، حيث تبدو فيه غلبة العناصر المحلية الدمشقية، التي تمتعت بنفوذ مالي وسياسي، وأشرفت على إقطاعات وأملاك عقارية جديدة، إضافة إلى وجود كبار التجار والحرفيين بينهم، فقد كان منهم صالح جربجي الذي برز في حرفة الدمغة[٣]، وأمين جربجي شيخ طائفة السروجية، وكذلك محمد جربجي القتابي تاجر الغنم، وعبد اللطيف جربجي بن سليمان الجملي، ومحمد جربجي الصواف، وعبد الله

---

(١) هذه اللائحة بأسماء العسكر مقتبسة من ابن الصديق - غرائب البدائع، ص١٤.

(٢) عبد الغني - السلطة في بلاد الشام، ص١١٠.

(٣) وهي كلمة تركية تعني علامة توضع على البضائع إشارة لجودتها س٢٧، ص٣٢، ٧ جمادى الأول ١١١٣هـ/ ١٧٠١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جربجي بن بكر آغا القباني وعبد الرحمن القباني[١] ويبدو أن عائلة القباني اشتهرت بانتمائها لليرلية، حيث يتبين من اللائحة السابقة أن هناك ثلاثة ضباط جوربجية أحدهم برتبة آغا في أوجاق اليرلية بدمشق وهو عبد الله جورباجي بن بكر آغا قباني، وكان القباني ابناً لوزان كاخية أوجاق، وكان يتعاطى المضاربة في تجارة الطحين، مما أكسبهم ثروة كبيرة[٢]، ويظهر من اللائحة أيضاً أن ضابط جوربجي من آل سكر[٣] كان برتبة آغا في أوجاق اليرلية وهو عبد الله سكر، الذي كان يعد من كبار تجار الحبوب في حي الميدان وحي ساروجا، ويبدو أن (٨) من أصل (٥٥) ينتسبون إلى عائلة العظم كانوا ضباطاً برتبة آغا في أوجاق اليرلية، في حين كان (٥) من أبناء أسرة حسن تركمان ضباط برتبة آغا[٤]، وتعد عائلة التركمان من أبرز الأسر التي تزعمت اليرلية في دمشق خلال القرن الثامن عشر وتمركزت في حي الميدان، وكانت هذه العائلة كبيرة بحيث شكلت ربع العسكر في أوجاق اليرلية[٥]. كذلك اشتهرت عائلات محلية أخرى كان معظم أفرادها من كبار تجار الحبوب وأصحاب الحرف، وبرز منها آغوات أوجاق اليرلية، وقد تمركز معظمها في حي الميدان وساروجا كما ذكر بعضها في لائحة الضباط التي ذكرها بن الصديق، ومن أبرزها الزعفرنجي[٦]، والأورفلي[٧]، وآل المهايني[٨]، وآل حيدر[٩]، وبنو حتاحت[١٠]، وآل الدالاتي[١١]،

---

(١) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص١٤.

(٢) البديري - حوادث ، ص١١٦-١٢١. ابن الصديق - غرائب البدائع ، ص١٤.

(٣) وهذه العائلة من العائلات المشهورة في حي الميدان بدمشق، واشتهرت بتجارة الحبوب وكان كثير من رجالها أفراد في أوجاق اليرلية مثل مصطفى آغا وعبد المجيد آغا وحسب آغا وعبد القادر آغا، كما وجدت الكثير من العائلات التي اشتهرت بهذا اللقب واشتغلت بالتجارة في حي الصالحية بدمشق. أنظر الحصني - منتخبات التواريخ، ج١-٣، ص٨٨٣.

(٤) المرادي - سلك الدرر، ج٢، ص٦٣، ١٠٧. البديري - حوادث، ص٧٠.

(٥) المرادي - سلك الدرر، ج٢، ص٦٣.

(٦) من زعمائها أحمد آغا الزعفرنجي. أنظر العبد - قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص١٦.

(٧) من زعمائها مصطفى آغا الأورفلي انظر المصدر نفسه، ص٨١-٨٢.

(٨) من أبرز أغوات هذه الأسرة في أوجاق اليرلية: صالح آغا وفتحي جوربجي وخليل جوربجي ومحمد علي جوربجي وعماد جوربجي وياسين جوربجي وسرور آغا. أنظر نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٤٢، الحصني - منتخبات التواريخ، ص٨٦٣-٨٦٤.

(٩) من آغوات آل حيدر في حي الميدان: أحمد آغا حيدر ووحيد آغا حيدر ومصطفى آغا حيدر وبدر آغا حيدر وأسعد آغا حيدر وعباس آغا حيدر ويوسف آغا حيدر. أنظر نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ص٢٤٢.

(١٠) اشتهر أكثر رجالها في تجارة الحبوب والأغنام، ومن أبرز زعمائها طالب آغا ومحمد آغا وإبراهيم آغا. أنظر الحصني - منتخبات التواريخ، ص٨٥٩.

(١١) المرجع نفسه، ص٨٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبنو البارودي[١]، وبنو الزالق[٢]، وبنو الحباب[٣]، وبنو الصباغ[٤]، وآل النوري[٥]، وبنو العسلي[٦]، وبنو الشملي[٧]،وبنو الحلبوني[٨]،وبنو الكحالة[٩]،وبنو جبري[١٠]،وبنو شمدين[١١]،وبنو الصواف[١٢]، وابن البيطار[١٣]، وبنو السفرجلاني[١٤]، وآل الشهبندر[١٥]، واليوسفية[١٦]، وآل متولي[١٧].

من الواضح أن المعطيات السابقة تبرز لنا اتجاه العائلات لتعزيز وجودها في أوجاق الانكشارية اليرلية تدعيماً لنفوذها، وحماية لمصالحها الاجتماعية في المدينة.

ومن خلال التدقيق بلائحة أسماء الضباط التي يقدمها "ابن الصديق" يظهر أن (٧٦٪) منهم حملوا كنية الأب، أما "لائحة البديري" المستخرجة من الفهرس نجد أن (٦٤٪) منهم كانوا يحملون كنية الأب، مما يؤكد سمو أصلهم، إضافة إلى أن معظم هؤلاء شغلوا مناصب هامة منها متولي وقف مسجد سنان باشا، أو نائب دمشق مثل حسين آغا بن القطيفاني[١٨]، أو متسلم

---

(١) منهم حسن آغا كتخدا. أنظر الحصني - منتخبات التواريخ، ص٨٦٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٦٣.

(٣) من أغواتهم في حي الميدان إبراهيم آغا ومحمد آغا وعبد الله آغا. أنظر المرجع نفسه، ص٨٦٤.

(٤) المرجع نفسه، ص٨٦٤.

(٥) نفسه، ص٨٦٤.

(٦) من أبرز أغواتهم محمد آغا. أنظر المرجع نفسه، ص٨٨٣.

(٧) من أشهر أغواتهم عبد الغني آغا. أنظر المرجع نفسه، ص٨٨٤.

(٨) من آغواتهم أحمد آغا وأديب آغا. أنظر المرجع نفسه، ص٨٨٨.

(٩) المرجع نفسه، ص٨٩١.

(١٠) اشتهر منهم يوسف آغا جبري آغة اليرلية بدمشق. أنظر س ١٧٥، ص١٧٠، ١٠ رجب ١١٨٠هـ/١٧٦٦م وانظر أيضاً الحصني - منتخبات التواريخ، ج١-٣، ص٨٩٤ .

(١١) الحصني - منتخبات التواريخ، ج١-٣، ص٨٩٩.

(١٢) المرجع نفسه، ص٩٠٧.

(١٣) نفسه، ص٨٥٨.

(١٤) نفسه، ص٨٦٤.

(١٥) نفسه، ص٩٠١

(١٦) نفسه، ص ٨٥١.

(١٧) نفسه، ص٨٤٥ .

(١٨) البديري - حوادث، ص٣٣، ٢٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دمشق مثل سليمان آغا[١] وعلي آغا[٢]، أو دفتردار الشام مثل محمد آغا بن فروخ الذي كان رئيس أوجاق الانكشارية اليرلية[٣]، أوكتخدا الانكشارية مثل موسى آغا[٤]، وكذلك مصطفى آغا القباني كان كتخدا الانكشارية[٥] ومحمد آغا[٦]،ومنهم من أصبح كاتباً وخزنداراً مثل عثمان آغا[٧]، وتمكّن بعضهم من الوصول إلى منصب نائب القدس مثل خليل آغا بن أبي شنب[٨].

وتظهر لائحة ابن الصديق أن واحداً وسبعين بالمئة من الضباط ينحدرون من عائلات عسكرية، وأن خمسة وعشرين بالمئة منهم من كان والده برتبة آغا، في حين تظهر لائحة البديري "الفهرس" أن خمسة وستين بالمئة هم أبناء ضباط أو أعيان وكبار موظفين، وأن عشرين بالمئة هم أبناء ضباط برتبة آغا مما يظهر نزعة توريث المهنة[٩].

نلحظ مما تقدم اتجاه العائلات للانخراط في أوجاق الانكشارية اليرلية، وأن بلوغ المناصب القيادية كان أسهل بالنسبة للأفراد المنحدرين من الطبقات العليا أو من عائلات عسكرية أو من عائلات كبار الموظفين والتجار.

ومع ذلك نجد أن هناك أفراداً ينتسبون إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا استطاعوا أن يترقوا في المناصب، عن طريق تقديم الخدمات الخاصة للأعيان المحليين، فقد ترقى إبراهيم آغا قطّار وكان في بداية أمره قهوجياً في بلاط السلطان، ثم حصل على التزام بعض قرى الولاية حيث استولى على التزام مئة وعشر قرى مما اكسبه ثروة كبيرة، وبعد ذلك حصل على لقب باشا وشغل مناصب والي حلب ووالي دمشق، ودخل في نزاع مع أحمد باشا الجزار[١٠]. كما أن موسى باشا المولود في مدينة معرة النعمان، التي بدأ منها صعود آل العظم، أقام صلات وثيقة بهم، فخدم عند سليمان

---

(١) البديري - حوادث،، ص٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٥، ٤٧، ٤٨.

(٣) نفسه، ص٨٤.

(٤) نفسه، ص٦٥، ٨٥، ٩٥.

(٥) نفسه، ص٦٤.

(٦) نفسه، ص٧٠.

(٧) نفسه، ص٨١.

(٨) نفسه، ص٢٢.

(٩) سميليا نسكايا - البنى الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٥٥. عبد الغني - السلطة في بلاد الشام، ص١١٢.

(١٠) بازيلي - سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باشا العظم ثم انتقل إلى خدمة أسعد باشا العظم ثم أصبح كتخدا عنده ثم متسلماً، وأصبح أبناؤه من بعده حكاماً على القدس وغزة[١]، ويدعم بازيلي هذا الاستنتاج بذكره أن سليمان، وهو من مماليك سليمان باشا، وصل في البداية إلى مرتبة "بيك" ثم أصبح كتخدا لعثمان باشا والي دمشق، الذي كان أيضاً من مماليك أسرة العظم، وتمكن سليمان من الحصول على رتبة الباشوية لولديه درويش ومحمد اللذين توليا على صيدا وطرابلس في آنٍ واحد[٢].

يلحظ مما تقدم أن المدن السورية خضعت لحكم بعض العائلات المملوكية ولكن بشكل أقل مقارنة مع مصر، وبقدر ما كان أفراد حاشية الأعيان يترقون في سلم الوظائف بقدر ما كانوا يجمعون الثروات ويحيطون أنفسهم بالموالين والأعوان، مقلدين بذلك أسيادهم[٣].

يتضح مما سبق أن اليرلية المحلية كانت من أكثر العناصر العسكرية التصاقاً بالسكان المحليين لذلك أشير لها بأسماء متعددة خلال فترة الدراسة مثل "الينكجرية" أو "الجند الشامي" أو "أبناء دمشق"[٤]، أو دولة دمشق أو "دولة الشام"[٥].

أما الأوجاق الثاني القابيقول فقد بدأت الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر بإرسال فرق عسكرية من تلك القوات النظامية إلى مدينة دمشق لتثبيت السلطة العثمانية فيها، فقد أرسلت فرقتين منهم الأولى عام ١١٥٣هـ- ١٧٤٠م[٦]، والثانية التي تسمى "أون طقوز" أي الفرقة التاسعة عشرة عام ١١٥٩هـ-١٧٤٦م حيث تم إرسالها بناءاً على طلب أسعد باشا العظم[٧]. والثالثة الفرقة الثانية والسبعون عام ١١٦٤هـ- ١٧٥٠م[٨]. وقد عرفت هذه القوات في القرن الثامن عشر بـ "دولة القلعة"[٩] تمييزاً لها عن دولة الشام اليرلية. ويظهر أن الدولة كانت حريصة على الحفاظ على نقاء هذه القوات من تسرب العناصر المحلية إليها في القرن الثامن عشر،

---

(١) المرادي - سلك الدرر، ج٣، ص١٦١.

(٢) بازيلي - سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص٧٢.

(٣) سميليا نسكايا - البنى الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٤٩.

(٤) المحبي - خلاصة الأثر، ج٤، ص٣٣١- ٣٣٢. المقار - الباشاة والقضاة ، ص٣٣، ٤٥-٤٦.

(٥) ابن كنان - المواكب الإسلامية، ج١، ص٤٨.

(٦) المقار - الباشاة والقضاة، ص٦٨.

(٧) البديري - حوادث، ص٧٢.

(٨) المصدر نفسه، ص١٥٩.

(٩) ابن كنان - المواكب الإسلامية، ج١، ص٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى لا يحدث لها مثل ما حدث للقوات الانكشارية اليرلية في دمشق، فعلى سبيل المثال عندما استخدم أسعد باشا العظم الفرقة التاسعة عشرة منع السكان المحليين من الانضمام إليها وخاطب آغا القابيقول بقوله له: "كل من أدخلته من أولاد الشام من غير جنسك لا يرجع اللوم إلا على نفسك".

أما زعماء القابيقول فيبدو أن أصولهم غير عربية ونسبوا إلى الرتبة العسكرية أو الحرفة أو المدينة التي ينحدرون منها، فكان منهم على سبيل المثال: طالب آغا، وأحمد آغا كتخداي، والسيد محمد جوربجي بن باكير آغا، ومحمد السروجي، وعبد الوهاب القضماني، وإبراهيم آغا الموشلي، ومحمد أفندي طرابزونلي، وحسين بشة، أحمد ناصر الرومي الصالحي[١]، وإبراهيم آغا (آغا آغات القابيقول)، وكور اسماعيل، ومصطفى آغا (آغا آغات القابيقول)[٢].

جـ - مرتباتها وأعدادها:

ويبدو أن زيادة عدد العسكر الانكشارية بقسميها اليرلية والقابيقول كان يحتاج إلى موافقة من العاصمة استانبول التي كانت تحدد الجهة التي يقبضون منها مرتباتهم، التي أطلق عليها "أسامي"، ونستدل على ذلك من الفرمان الذي ذكره ابن الصديق "أن السلطان أنعم على أوجاقية الشام بماية وعشرين أسامة[٣] انعام من السلطان الحاق إلى أوجاق الينكجرية، بقوا المجموع ألفين وسبعين أسامة بالشام، ووجه... علايفهم[٤] من ميزان الحرر بطرابلس، لأجل محافظة قلاع درب الحاج، البرك وذخاير[٥] الحج، وأعطى جميع الأسايم المذكورة إلى آغاة الينكجرية (ابن شبيب عثمان آغا آغة الينكجرية). أمران يوجههم على ناس يكونوا قادرين على الحرب والركوب، ولا يكون فيهم ولد ولا اختيار"[٦].

نلحظ من النص السابق أن رواتب قادة الأوجاق كانت من مصدرين الأول يأتي من الخزينة المركزية في العاصمة استانبول، والمصدر الثاني من الضرائب التي كانت مفروضة على

---

(١) س٢١، ص٣١٦، ١٥ ربيع الأول ١١١٢هـ/١٧٠٠م. نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٤٢.

(٢) البديري - حوادث، ص١٣، ١٢٤. ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٤٩.

(٣) انظر ما سبق ص٨.

(٤) علايفهم رواتبهم.

(٥) مفردها ذخيرة وتعني التموين. أنظر الفصل الأول ص ٢٠.

(٦) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ميزان الحرير في طرابلس، وهذا يحمل دلالة هامة، إذ يجعل قائد الجند من الناحية المالية، غير مرتبط بوالي ولايته إدارياً بقدر ما هو مرتبط بمركز الدولة في العاصمة، ومما يدعم هذا الاستنتاج أن رجال مدفعية صيدا في بدايات العهد العثماني كانوا يتقاضون جزءاً من رواتبهم من الضرائب التي تجبيها ولاية حلب، كما كان دفتردار دمشق ملزماً بتقديم مبلغ معين من مداخيل الدولة لتدفع إلى انكشارية صيدا. ومع تزايد اللامركزية في الإدارة أخذت الدولة العثمانية تلجأ أكثر فأكثر إلى تحويل مداخيل الولايات لتغطية نفقات الحاميات الانكشارية[١].

إلا أن تلك المبالغ كانت تحول متأخرة وبصورة منقوصة، مما أدعى إلى عدم انتظام مواعيد دفع الرواتب التي انخفضت قيمتها بسبب التضخم المالي المتواصل، فتوجه الانكشارية إلى التعويض عن خسارة القيمة الشرائية لرواتبهم، إلى ممارسة الابتزاز وفرض ضرائب الحماية على الحرف وعلى السكان في بعض الأحيان، ففي القرن الثامن عشر كان كل إنكشاري في القدس يقبض "ضريبة" يومية من خمسة إلى ستة حوانيت[٢]، وفي مدينة دمشق فرض اليرلية ثلاثة أنواع من الضرائب وهي: الشاشية والمشيخة والعرض، يعرفها البديري بأنها "أموال تفرض على الحرف والصنائع والحارات في الشام مرة أو مرتين في السنة"[٣]، وقد أبطلها سليمان باشا العظم بوصفها إحدى المظالم التي كانت تفرض على أهل الشام عام ١١٥٦هـ- ١٧٤٣م[٤].

أما أعداد الانكشارية في مدينة دمشق، فقد اختلفت تقديراتها، ويذكر رافق أن عدد الانكشارية في دمشق -حيث ثار حاكمها جان بردى الغزالي على العثمانيين في عام ١٥٢٠م- قد بلغ مئة وخمسين بما فيهم من فقهاء وصوفية[٥]، أما المحبي فقد قدر عدد الانكشارية القابي قول حين أرسلوا إلى دمشق عام ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨-١٦٥٩م بثلاثمائة[٦]، وفي عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠-١٧٧١م قدر رافق عدد القابيقول بألفين، في حين يذكر ابن الصديق استناداً إلى القوائم

---

(١) سميليا نسكايا - البنى الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٥٠.

Cohen, The Army in Palestine, PP 40,41.42.

(٢) سميليا نسكايا - البنى الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٥١.

(٣) البديري - حوادث، ص٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٥. أنظر الفصل الخامس.

(٥) رافق - مظاهر من الحياة العسكرية العثمانية في بلاد الشام، مجلة دراسات تاريخية، العدد الأول، ١٩٨٠م، ص٧١.

(٦) المحبي - خلاصة الأثر، ج٤، ص٣١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي دفعت الرواتب على أساسها، أن عدد اليرلية كان أكبر حيث قدر بألفين ومئة وسبعة وعشرين[١]، أما البديري فيذكر أرقام أكبر، فقد ذكر أن عدد القابيقول في عهد أسعد باشا العظم عام ١١٦١هـ- ١٧٤٨م قدر بخمسة آلاف[٢] أما اليرلية فكان حوالي عشرين ألفاً[٣].

ولعل هذه الأرقام مبالغ فيها، وربما خلط فيها بين اليرلية المسجلين رسمياً في لوائح الرواتب، والأفراد الجدد من العامة الذين وضعت أسماؤهم دون أن يكون لهم وجود في الأوجاق.

د - توزيعها:

توزعت الانكشارية في كثير من القلاع والأبراج والحصون والنواحي، وعلى طريق الحج الشامي الذي يبدأ من دمشق شمالاً وينتهي بالمدينة المنورة جنوباً[٤]، وتتابع الأبراج والحصون في بلاد الشام بسلسلتين رئيسيتين هما:

١- سلسلة قلاع الساحل: الاسكندرونة التي تبدأ بميناء الاسكندرونة شمالاً وتنتهي بالعريش جنوباً.

٢- سلسلة القلاع الداخلية : الممتدة من حلب حتى دمشق وتخرج من دمشق باتجاهين: الأول عبر فلسطين إلى مصر، والثاني طريق الحج الشامي من دمشق إلى العلا. ومن أهم تلك القلاع والحصون والأبراج:

١- سلسلة قلاع وأبراج الساحل:

قلعة الاسكندرونة ، وقلعة طرابلس، وأبراج بيروت، وبرجا صيدا والجلبان والخياط، وبرج حيفا وبرج يافا، وبرج عسقلان، وقلعة غزة، وقلعة خان يونس، وقلعة العريش.

٢- سلسلة القلاع الداخلية:

قلعة حلب، وقلعة حماة، وقلعة حسيا، وقلعة النبك، وقلعة القسطل، وقلعة دمشق. أما

---

(١) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٩١.

(٢) ونستدل على ذلك مما رواه البديري عن حادثة قتل في دمشق على يد القبيقول، ولما طلب الوالي الشهود لأجل الحكم على القاتل، لم يرضَ أن يشهد أحد على القاتل، وقالوا من يشهد ليقتل، ويكون خصمه نحواً من خمسة آلاف بطل شقي...وتركوا دم الأشراف يروح هدراً. أنظر البديري - حوادث، ص١١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٢١٣.

(٤) الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القلاع الجبلية فهي: قلعة عجلون، وقلعة السلط، وقلعة الكرك، وقلعة الشوبك، وقلعة سلمية[١].

وبما أننا بصدد الحديث عن دمشق فلا بُد من الحديث عن قلعة دمشق والحامية العسكرية التي وجدت فيها.

- قلعة دمشق:

تقع في الزاوية الشمالية الغربية لسور المدينة وقد بناها الأيوبيون في دمشق، إلى جانب القلاع الأخرى التي بنوها في حمص وبصرى وحلب[٢]، وفي العهد المملوكي أدخل عليها تجديدات وتحسينات، وقد توقفت التجديدات مع دخول العثمانيين إلى بلاد الشام، وتتكون القلعة من اثني عشر برجاً والحجارة الضخمة البارزة النحت[٣]، ولها بابان رئيسيان: الأول في الشمال يصلها بخارج المدينة سمي باب الحديد، والثاني يؤدي إلى داخل المدينة في الشرق عند سوق العصرونية، ويطلق عليه الآن باب السجن إضافة إلى عدد من الأبواب الأخرى[٤]، وأحيط بالقلعة خندق عميق وأسوار تحيط بالقلعة من جميع النواحي[٥]، وتتميز القلعة بقوتها الدفاعية المتمثلة بمرامي النبال والأسلحة النارية في أسوار القلعة وأبراجها، والشرفات البارزة في أعالي الأبراج، والآلات الحربية الثقيلة الموجودة على أسطحة الأبراج[٦].

وقد كانت قلعة دمشق من النقاط الاستراتيجية الهامة خلال القرن الثامن عشر، إذ كانت تمثل هيبة وقوة والي دمشق[٧]، وأوكلت مهمة الإشراف عليها إلى آغا القلعة، الذي كان بإمرته مجموعة من العسكر ينفذون أوامره، كما وجد كبير ضباط القلعة وقائد الحامية العسكرية فيها،

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن هذه القلاع انظر الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٣٦-٣٨.

(٢) العبد - قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، (هامش) ص٧٢.

(٣) الريحاوي - مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، ص١٨١.

(٤) الريحاوي - مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، ص١٨٢.

(٥) بدران - منادمة الأطلال مسامرة الخيال، ص٣٩. المنجد - دمشق القديمة أسوارها، أبراجها وأبوابها، ص٣٦.

(٦) الريحاوي - مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، ص١٨٢. انظر أيضاً أكرم الساطع - القلاع والحصون في سورية، ص٢٦ - ٣٤.

(٧) فقد أنطلق منها اسعد باشا العظم للقضاء على زرباوات البرلية في سوق ساورجا والميدان. انظر الفصل الرابع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أطلق عليه "دزدار"القلعة[١].

أما الحامية العسكرية المرابطة في قلعة دمشق فقد تكونت من:

أ- طائفة المستحفظان[٢] تكونت من أربعة عشر بلوك، وبلغ عدد أفرادها في القرن السادس عشر مئة واثنين وأربعين جندياً، وارتفع بعد ذلك ليصل إلى مئة وثمانين جندياً، كان أفراد هذه البلوكات يتقاضون رواتب نقدية تراوحت ما بين ٤-٦ أقجات يومية[٣]، وقد استمر وجود هذه الطائفة في قلعة دمشق في القرن الثامن عشر، وقد ذكرت السجلات الشرعية مجموعة منهم مثل محمد آغا بن حسن كتخدا القلعة، والسيد رمضان جاويش بن مصطفى جوربجي، والسيد محمد آغا بن إبراهيم بشة ضابط مقاطعة دمشق، وطغي جوربجي بن شاهين جوربجي، وحسن أوده باشي بن حسين بشة، وأحمد جوربجي بن مصطفى جوربجي، وحسن بشة بن عبد الله ومحمد جوربجي[٤].

ب- الطوبجية: كان يوجد بلوكان من الطوبجية وقدر عدد أفرادهم بستة وعشرين جندياً في القرن السادس عشر، فقد كان كل فرد منهم يتقاضى راتباً نقدياً يتراوح بين ٥-١٠ أقجات يومية[٥]، وبعد ذلك انخفض عدد الطوبجية إلى إحدى عشر جندياً، واستمر وجودها في القرن الثامن عشر.

ج- العربجية: تكونت من اثني عشر فرداً انخفض عددهم إلى سبعة أفراد فقط، وبلغ راتب العربجي اليومي ما بين ٥-٦ أقجات يومية[٦]، وقد ازدادت أعداد هؤلاء في القرن الثامن عشر.

د- الجبه جي: وكان عددهم يتناقص إلى أن وصل إلى ستة أفراد، وكان الفرد منهم يتقاضى راتباً يومياً يتراوح ما بين ٥-٨ أقجات[٧].

---

(١) س١٠٥، ص٥٩، ١٩ ذي القعدة ١١٤٨هـ/١٧٣٥م. محمود رئيف - التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص٧٥. الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٤٦.

(٢) وهم جنود القلعة أو المدافعين عنها. أنظر الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٣١.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٩.

(٤) س ١٨٢، ص١٢٨، ٧ ربيع الثاني ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

(٥) الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٣٩-٤٠.

(٦) المرجع نفسه، ص٤٠.

(٧) نفسه، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ- المتفرقة: وعددهم عشرة، وكان راتب الواحد منهم يتراوح ما بين ٥-٨ أقجات يومية، وقد استمر وجودهم في القرن الثامن عشر[١].

ويشير الحمود إلى أن عدد جنود قلعة دمشق كان بازدياد - وهذا ما حدث فعلاً - ويعود ذلك إلى الأهمية الاستراتيجية لقلعة دمشق، حيث يتفرع من مدينة دمشق طريقان مهمان: أحدهما طريق تجاري ذو أهمية اقتصادية وهو الطريق الذاهب عبر فلسطين إلى مصر، والطريق الآخر ذو أهمية دينية واقتصادية وهو طريق الحاج الشامي، لذلك كان لا بد من توفير قوة عسكرية تكون مرابطة في قلعة دمشق عند الحاجة إليها[٢]، هذا بالإضافة إلى تكليف عسكر دمشق في جمع الأموال السلطانية خاصة من مدينة حلب وريفها[٣]، وكان من مسؤولية العسكر مواجهة حركات العصيان التي كان يقوم بها الزعماء والمحليون في القرن السابع عشر، لذلك كان لا بد من وجود قوات عسكرية باستمرار في قلعة دمشق، ويعزز ذلك وجود العديد من الفرق العسكرية في قلعة دمشق في القرن السابع عشر كالفرقة الحادية والسبعين، والفرقة الثانية والستين، وفرقة القابوقولية الثالثة والثلاثين[٤] التي كانت ترسل من قبل الدولة العثمانية.

وفي القرن الثامن عشر نجد أن الدولة أكثرت من تجديد تلك الفرق العسكرية الموجودة في القلعة [٥].

إضافة إلى تواجد الانكشارية في قلعة دمشق وفي القلاع على طرق الحج الشامي، إننا نلحظ ومنذ أواخر القرن السادس عشر والقرن السابع عشر والثامن عشر أن هذه القوات درجت على الإقامة في المدن، سواءاً كانت قوات إقطاعية أم انكشارية، ويعود ذلك لأسباب منها انحطاط النظام الاقطاعي في القرن السابع عشر، إذ سمحت الدولة لهذه القوات بتثبيت جذورها المحلية، والسماح لهؤلاء بدفع مال البدل بدل تأدية واجباتهم العسكرية[٦].

---

(١) الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٤٠.

(٢) المرجع السابق، ص٤١.

(٣) نفسه ، ص٤١.

(٤) نفسه ، ص٤١.

(٥) انظر ص ٥٦ من هذا الفصل.

(٦) شيلشر - بعض مظاهر أحوال الأعيان، ص٣٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلحظ أن عسكر دمشق من اليرلية والقابي قول أصبحوا يرابطون في القرن الثامن عشر خارج معسكراتهم (ثكناتهم)، بحيث أصبحوا يشكلون عنصراً شبه عسكري له تواجد جغرافي محدد داخل المدينة[١]، فاليرلية تواجدوا في أحياء تقع في شمال/ وشمال غرب/ وجنوب/ وجنوب غرب أسوار المدينة[٢]، ويبدو أن حي الميدان أو (ميدان الحصى، باب المصلى)[٣] يعد المعقل الرئيسي للانكشارية اليرلية، ويظهر أن اختيار اليرلية لهذا الحي يعود إلى موقعه الاستراتيجي وأهميته الاقتصادية والعسكرية، إذ أنه كان يمثل ضاحية طويلة ممتدة جنوباً باتجاه حوران، وبذلك فإنه ربط مدينة دمشق بالمركز الرئيسي لإنتاج الحبوب في حوران، وكان واسطة التبادل التجاري بين دمشق وفلسطين والحجاز[٤] كما وجدت في هذا الحي عناصر اقتصادية وعسكرية متنوعة معظمها من المناطق المجاورة للمدينة، وبعضها من الحوارنة، والدروز، ورجال قبائل البدو، والحرفيين والنصارى، وكبار تجار الحبوب والمواشي[٥].

ووجدت حاميات عسكرية في حي ساروجا الذي كان يشكل سوقاً في شمالي المدينة، على طريق الصالحية وبيروت القريب من سوق الخيل، وقد اختص بسكنى الضباط والجنود العسكريين[٦] كما وجدت حاميات لليرلية في حي الشاغور[٧] الواقع جنوبي مدينة دمشق، ويعد حي الشاغور من الأحياء الرئيسية، فنصفه داخل الأسوار، ونصفه الآخر خارجها، ويدخل إليه من الباب الصغير[٨]، كذلك وجدت حاميات في الصالحية الواقعة شمالي المدينة[٩]. أما الانكشارية القابي قول فقد تمركزت حامياتهم العسكرية في قلعة دمشق[١٠] ، إضافة إلى وجودهم في حي

---

(١) مانتران - تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٥٨٣.

(٢) شيلشر - بعض مظاهر أحوال الأعيان ، ص٣٢٥.

(٣) وضم حي الميدان قسمين رئيسيين: هما قسم الميدان التحتاني (ويشمل القسم بين دمشق القديمة وباب المصلى)، والميدان الفوقاني (القريب من باب الله). أنظر البديري - حوادث ، ص٥١، ٥٣.

(٤) سميليا نسكايا - البنية الاقتصادية والاجتماعية لمحلة باب المصلى، ص٨. سوفاجيه - دمشق الشام،ص٤٥.

(٥) فيليب - طبيعة السلطة السياسية وتوزعها في دمشق، المؤتمر الدولي الثاني لبلاد الشام، ج١، ص٤٤٨.

(٦) البديري - حوادث ص١١٤، ص١٥٧، ١٦٨، ٢٠٠ . فيليب - طبيعة السلطة السياسة وتوزعها في دمشق، ص٤٤٨.

(٧) أصل الكلمة سرياني وتعني الصغير ابن الصديق - غرائب البدائع وعجائب الوقائع ، ص١٤٠.

(٨) المصدر نفسه ، ص١٤٠.

(٩) فيليب - طبيعة السلطة السياسية وتوزعها في دمشق، ص٤٤٨.

(١٠) المحبي - خلاصة الأثر، ج٤، ص٣١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العمارة[١]، كما وجدت حامياتهم العسكرية على السور المحيط بمدينة دمشق، الذي كان يوجد له أبواب شكلت أبواب المدينة، ويبدو أن أهمية تلك الأبواب قد تمثلت في حماية الكتل السكانية داخل المدينة، ومن تلك الأبواب: باب توما الواقع في الجهة الشمالية الشرقية من السور، وقد بناه الرومان، أما اليونان فقد نسبوه إلى كوكب الزهرة، ويبدو أنه سمي بهذا الاسم نسبة إلى القديس توما أحد تلامذة السيد المسيح[٢]، وكان له كنيسة على بابه عرفت باسمه ثم جعلت مسجداً، وقد تهدم هذا السور وأعيد بناؤه[٣]، يليه باب الجابية، الواقع غربي سور مدينة دمشق، وقد نسب الباب إلى كوكب المريخ وتعود سبب تسميته بباب الجابية إلى (قرية الجابية)[٤] لأن الخارج من مدينة دمشق إليها يخرج من هذا الباب لكونه مما يليها، وهذا الباب كان عبارة عن ثلاثة أبواب، بابان صغيران وفي وسطهما الباب الكبير وكان يمتد من الأبواب الثلاثة ثلاثة أسواق باتجاه الباب الشرقي[٥]، ثم الباب الشرقي والذي سمي بهذا الاسم لأنه يقع شرقي سور المدينة، وكان يتألف من ثلاثة أبواب، وبابين صغيرين على جانبيه[٦] كذلك يوجد الباب الصغير الواقع جنوبي سور دمشق، ويبدو أن سبب تسميته بهذا الاسم يعود إلى كونه أصغر أبواب المدينة[٧]، وقد عرف في العهد العثماني أيضاً باسم (باب الحديد) لأنه كان مدعماً بصفائح الحديد إضافة إلى تسميته (باب الجابية الصغير) و(باب الشاغور) لأنه يفضي إلى حي الشاغور داخل السور، وفي الجانب الغربي لهذا الباب زقاق يعرف بزقاق الصمادية، وهذا الباب قائم إلى الآن بمصلبة الشاغور[٨]، ويطلق عليه الباب القبلي[٩].

ثم باب الفراديس الذي يعد من أبواب سور دمشق في الجهة الشمالية بين باب الفرج

---

(١) الواقع شمالي المدينة انظر البديري - حوادث ، ص١٤٤، ١٥٩، ١٨٦، شيلشر، بعض مظاهر أحوال الأعيان ، ص٣٢٦.

(٢) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٤٠٧. بدران - منادمة الأطلال مسامره الخيال ، ص٤١.

(٣) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق ، ص٤٠٧.

(٤) قرية الجابية من أعمال دمشق من ناحية الجولان. انظر المصدر نفسه، ج٢، ص٤٠٨.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٠٨-٤٠٩. بدران - منادمة الأطلال ، ص٣٩.

(٦) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٤٠٧. بدران - منادمة الأطلال ، ص٤١.

(٧) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٤٠٧. بدران - منادمة الأطلال ، ص٤٠.

(٨) بدران - منادمة الأطلال ، ص٤٠.

(٩) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٤٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وباب السلام، ويتألف من بابين داخلي وخارجي، يمتد بينهما سوق العمارة[١] ، ولعل سبب التسمية يعود إلى المحلة المقابلة للباب من خارج المدينة التي سميت (بالفراديس)[٢]، وتعني البستان ويطلق عليه الآن باب العمارة[٣] ، يليه باب كيسان الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية لسور دمشق[٤]، ويذكر ابن عساكر أن اسمه ينسب إلى كيسان مولى معاوية بن أبي سفيان ويكنى بأبي حريز، ويضيف على لسان هشام بن محمد الكلبي أنه منسوب إلى كيسان مولى بشر بن عبادة بن حسان بن جبار بن قرط الكلبي[٥]، وهذا دليل على أن ابن عساكر غير متأكد من سبب التسمية، وربما أطلق عليه هذا الاسم لكونه يقع في الزاوية، أي في طرف المدينة.

كما وجد باب الجنيق (في الجهة الشمالية من سور دمشق[٦] نسبة إلى محلة الجينيق في مدينة دمشق[٧]، وباب النصر (في الجهة الغربية من سور المدينة)[٨]، وأطلق عليه باب الجنان[٧] وليس له وجود الآن. إضافة إلى أبواب سور المدينة، وجدت أبواب أخرى داخل السور وخارجه التي مثلت أبواب الأحياء والحارات في المدينة مثل باب الآغا، وباب التكية، وباب السرايا، وباب السريجة، وباب الكلاسة، وباب المصلى، وباب الهوى، وبوابة زقاق البرغل، وبوابة الشويكة، وبوابة الصالحية، وبوابة عين الكرشة، وبوابة الله[٩]، ومن البوابات أيضاً باب السلامة[١٠]، وباب الفرج[١١].

---

(١) بدران - منادمة الأطلال ، ص٤٢.

(٢) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٤٢.

(٣) ابن كنان - المواكب الإسلامية، ج١، ص٢١٠. قتيبة الشهابي - أبواب دمشق وأحداثها التاريخية، ص١٨١-١٨٢.

(٤)بدران - منادمة الأطلال ، ص٤٠.

(٥) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٤٠٧.

(٦) بدران - منادمة الأطلال ، ص ٤١.

(٧) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٤٠٧-٤٠٨.

(٨) وهي البساتين. أنظر المصدر نفسه، ج٢، ص٤٠٨.

(٩) البديري - حوادث ، ص٢٧٢.

(١٠) باب السلامة سمي بذلك تفاؤلاً، لأنه لا يتهيأ القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الأشجار والأنهار، وهو الآن مشهور بباب السلام. انظر ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٤٠٨، بدران - منادمة الأطلال ، ص٤١.

(١١) باب الفرج أحدثه الملك العادل نور الدين وسماه بهذا الاسم تفاؤلاً لما وجد من التفريج بضخه، وكان في أول السوق المسمى الآن بسوق الأروام من جهة الغرب السراي العسكرية. أنظر ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٤٠٨، بدران - منادمة الأطلال ، ص٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر أن الانكشارية بنوعيها اليرلية والقابي قول قد تمركزت أيضاً في الثكنات العسكرية، حيث وجدت ثكنات غربي دار السعادة (مقر الوالي)، ويبدو أنها كانت مقر العسكر في عهد إبراهيم باشا، كما أوجد إبراهيم باشا ثكنة جديدة خارج أسوار دمشق[١].

هـ : تسليحها :

استخدمت الانكشارية أسلحة متنوعة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، تفاوتت ما بين الأسلحة التقليدية القديمة، والنارية الحديثة التي انتشرت بين الرعية، ومن بينها كميات كبيرة من أسلحة الجيش العثماني[٢]، وقد جاءت تلك الأسلحة من مصادر متعددة يتم تصنيعها من المواد الخام المتوافرة في بلاد الشام[٣].

وقد شهد القرن الثامن عشر استمراراً لهذه الأسلحة مع تطور نسبي، ويمكن تصنيف الأسلحة المستخدمة في بلاد الشام إلى نوعين هما:-

أ- النوع الأول: ويشتمل على السيوف بأنواعها المختلفة، وقد كانت تصنع تلك السيوف من معدن الحديد الذي يتوافر بكثرة في بلاد الشام، وخاصة في البترون وكسروان، والمتن، وعكار، ومشغرة، والفرزل وفي حوض نهر الكلب[٤] وفي بلاد الشقيف، وحوران، والمناطق المحيطة بعجلون، وفي جبل الأقرع ومناطق أخرى قرب حلب[٥] وكان حديد لبنان المشهور بمرونته، تصنع منه السيوف الشامية، ويبدو أن الحديد المستخرج من بلاد الشام خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر كان عديم الصلاحية لصناعة السيوف لذلك اتجه سيوفية دمشق إلى صنع السيوف من الفولاذ الهندي[٦] الذي يرد إليهم على شكل قضبان[٧]، ويظهر أن الفولاذ الذي كانت تصنع منه السيوف في مدينة دمشق كان من النوعية الجيدة التي تتميز بالصلابة

---

(١) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٣٥.

(٢) الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٨٢.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٤-٨٥.

(٤) الأب هنري لامنس اليسوعي - المعادن في لبنان، مجلة المشرق، م٨، ١٩٠٥، ص٤٦.

(٥) الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٨٤.

(٦) رافق - مظاهر من الحياة العسكرية، ص٨٩.

(٧) برغوث، طوائف الحرف والصناعات أو طوائف الأصناف في حماه في القرن السادس عشر - مجلة الحوليات الأثرية السورية، م١٩، ١٩٦٩م، ص٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمرونة، لذلك فقد اشتهر أيضاً في دمشق السيوف العريضة المصفحة ذات الأطراف الحادة[١]، والسيوف الخراسانية (الهندية المعدن)[٢]، والمشرفيات وهي السيوف التي يتم صنعها في القرى المجاورة لريف دمشق[٣] وذو الفقار، إضافة إلى انتشار السيوف التركية وأنواعها كالبالا والقليج والغدارة[٤].

وتعد صناعة السيوف في مدينة دمشق من أقدم الصناعات فيها[٥]، حيث كان يتم صناعة السيف الدمشقي بنوع من الفولاذ المميز عن غيره عرف بالفولاذ الجوهر[٦] أو الحناوي ومن صفاته التي تميز بها بُقعه الهندسية المحكمة والدقيقة، ولونه الأبيض، وعدم قبوله للصدأ، ولينه، وتركيبه، وبكونه مصنوعاً من كتلة واحدة لا لحام فيه بحيث إذا مُدَّ أو طرق لا يحدث به ضرر[٧].

ويبدو أن السيف الذي اشتهر في مدينة دمشق في القرن الثامن عشر هو "سيف بولاد إسكي شام[٨] وسيف الصاعقة، الذي كان للأمير بشير الشهابي المتميز بقدمه وحسنه، المرصع بالجواهر الكريمة، وغمده من الذهب والفضة تزينه النقوش والرسوم والأحجار الكريمة[٩]، وإضافة إلى الأغمدة الفضية وجد نوع آخر من من الأغمدة عرف بالأغمدة السوداء[١٠]، وبعض الأغمدة كان لها حمائل من الحرير بدليل الأبيات الشعرية التالية:

والنهر سيف بالنسيم فَرندُهُ وله حمائل من حمائل سندسِ

---

(١) يوسف غنام - السيوف الشرقية وتحليتها بالجوهر، المشرق، م٣، ١٩٠٠، ص٥٧٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٧٨.

(٣) نفسه، ص٥٧٨.

(٤) نفسه، ص٥٧٨-٥٧٩.

(٥) نفسه، ص٥٧٨.

(٦) والجوهر في صناعة الأسلحة عبارة عن تموجات تظهر في صفحات السيوف على شكل عقد متناسقة متقاربة أو كبقع يستدير بها خانات متعددة تظهر لرائيها أنها مؤلفة من ألوف من أسلاك الفولاذ الدقيقة الممتزجة بمعدن آخر يختلف عنها من ناحية اللون. أنظر المرجع نفسه، ص٥٧٩-٥٨٠. انظر أيضاً أمينة بيطار- الحياة الاقتصادية في بلاد الشام، دراسات تاريخية، ع٣، دمشق، ١٩٨، ص١٣٧.

(٧) المرجع نفسه، ص٥٨٢.

(٨) نسبة إلى آل بولاد العائلة المسيحية التي اشتهرت بصناعة السيوف الدمشقية. أنظر عيسى المعلوف، حقائق تاريخية، مجلة المجتمع العلمي العربي، م١، ج١، ١٩٢١، ص٣٧٦.

(٩) غنام - السيوف الشرقية، ص٥٨٤.

(١٠)الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو صدرُ أغيل فاتـح أطواقهُ وله من الأنـوار حلةُ أطلسِ[١]

وقد استخدم عسكر مدينة دمشق السيوف في بعض الأحيان عند حدوث مواجهة فيما بينهم، ويعود ذلك لأن استخدامه في مثل هذه الحالة لا يحتاج إلى وقت، ويتم استخدامه بصورة أسرع[٢]. ويبدو أن السيف كان باهظ الثمن بالنسبة للأسلحة الأخرى، لذلك نرى أن الدولة العثمانية كان تمنحه لكبار القادة العسكريين عند تكريمهم.

وتمكن سيوفية دمشق من صنع الخناجر من الفولاذ، وكان أكثرها مزخرفاً بالفضة، ولها مقابض محلاة بمعادن وجواهر ثمينة كالذهب[٣]، ومن الأسلحة التقليدية الأخرى، الشاكريات[٤] والسكاكين المصنوعة من الفضة[٥]، والمُدى (الأمواس)[٦]، والخوذ، والرماح، والدروع، والتروس التي كان أكثرها محلاة بالذهب والفضة والأشكال الهندسية المرصعة بالأحجار الكريمة[٧]، كما استخدم سلاح تقليدي آخر عرف بالمقلاع، استخدمته العناصر البدوية بشكل خاص[٨]، وربما يعود استخدامهم له لمهارتهم العالية في استعماله، حيث كانوا يربطونه دائماً على خصورهم.

ويبدو فإن جميع هذه الأسلحة كانت تصنع محلياً، حيث وجد داخل مدينة دمشق طوائف معينة تختص بإنتاج كل نوع، فهناك طائفة السيوفية[٩] ، وطائفة الخناجرية[١٠] ، وطائفة الأقوسية وطائفة التروسية[١١]، كما وجد لهذه الأسلحة أسواق خاصة موزعة في داخل مدينة دمشق مثل سوق السلاح[١٢] الواقع جنوبي الجامع الأموي، واتصل به سوق البنادقة، وكذلك سوق السروجية الذي يقع إلى الغرب من القلعة وتباع فيه عدة الخيل[١٣].

---

(١) المرادي – عرف البشام فيمن تولى فتوى دمشق الشام، ص٥٣.
(٢) رافق – مظاهر من الحياة العسكرية ، ص٨٦.
(٣) س٢٥، ص٢٠٠، ٢ ذي الحجة ١١١٣هـ/ ١٧٠١م.
(٤) تشبه الخنجر إلا أنها اصغر منه. أنظر غنام – السيوف الشرقية، ص٥٨٤.
(٥) س١٠٦، ص٢٠٢، ١١ ذي القعدة ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م.
(٦) س١١٠، ص١٠٢، ٦ جمادى الأول ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م.
(٧) غنام – السيوف الشرقية، ص٥٨٤.
(٨) رافق – مظاهر من الحياة العسكرية، ص٨٦.
(٩) س١١١، ص٦٨، ١٨ ذي الحجة ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م.
(١٠) س٢٥، ص٢٠٠، ٢ ذي الحجة ١١١٣هـ/ ١٧٠١م.
(١١) نعيسة – مجتمع مدينة دمشق، ص٢٨٤.
(١٢) هذا السوق لم يعد له وجود الآن.
(١٣) يوسف ابن عبد الهادي – نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق بدمشق، نشره عبد الحبيب الزيات، مجلة المشرق، م٣٧، ١٩٣٩، ص٢٢-٢٥. انظر أيضاً قتيبة الشهابي – أسواق دمشق القديمة، ص٤٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- النوع الثاني (الأسلحة النارية):

شهدت بلاد الشام نوعاً من الأسلحة أطلق عليه الأسلحة النارية، وقد عرفت هذه الأسلحة منذ زمن المماليك[١]، واستمرت خلال العهد العثماني مع ظهور بعض التطورات على هذه الأسلحة، ويعود ذلك إلى التطور الملحوظ في صناعة البارود في بلاد الشام، حيث أنشأ السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) معملاً لإنتاج البارود في حماة، بهدف تأمين احتياجات القوات العثمانية في بلاد الشام من البارود، وتكلفت الدولة بتقديم الدعم لهذا المعمل عن طريق تصريف إنتاجه، وإمداده بحوالي ستين عاملاً للعمل فيه، ويبدو أن هذا المعمل تعرض للتلف في أواخر القرن السادس عشر[٢] فمنحت الدولة العثمانية عام ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م الزعيم حسين بك الإشراف على شؤون المعمل، وأن يقدم للدولة كل عام عشرين قنطاراً من البارود[٣]، وفي نهاية القرن الثامن عشر طلب أحمد باشا الجزار كميات من بارود حماة لاستخدامها في قتال نابليون بونابرت[٤].

ويبدو أن صناعة البارود لم تكن مقتصرة على الدولة العثمانية، بل تعدتها إلى الأهالي في الريف الذين قاموا بصناعته أيضاً، عن طريق مزج ملح البارود بمسحوق الفحم، ويخلط المزيج بالماء، لمنع الانفجار، ثم يدق بواسطة مطارق خشبية طويلة تثبت على نابض، لتمكين الدقاقين من أن يكونوا على مسافة آمنة، إذا ما حدث انفجار للبارود أثناء عملية الدق[٥]، ووجدت في مدينة دمشق في النصف الأول من القرن الثامن عشر طائفة البارودية التي كانت تشرف على البارودية الذين كانوا يمتهنون حرفة صناعة البارود، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر أنشئ مصنع يختص بإنتاج البارود في محلة السنجقدار بدمشق[٦] ، ووجد رئيس لهذا المصنع أطلق

---

(١) الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٨٨.

(٢) برغوث - صناعة البارود في حماة في القرن السادس عشر ، مجلة الحوليات الأثرية السورية، م١٨، دمشق، ١٩٦٩، ص٧٠-٧٢.

(٣) المرجع نفسه، ص٧٠-٧٢.

(٤) برغوث - ارتباط لواء حماه بمقاومة حملة نابليون على مصر وسوريا ، مجلة الحوليات الأثرية ، م١٧، ص٣٤ - ٣٥.

(٥) رافق، مظاهر من الحياة العسكرية، ص٩٠.

(٦) ومحلة السنجقدار كانت تعرف بالحدرة وتقع غربي دمشق وهي لا تزال موجودة إلى الآن. انظر ابن كنان- المواكب الإسلامية، ق٢، ص٣٤٧. فخري البارودي - مذكرات البارودي، ج١، ص٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه الأسطة[١] ، ويبدو أن هذا المصنع قد أنشئ لسد حاجات القوات النظامية من البارود.

ويلحظ استعمال البارود داخل مدينة دمشق في القرن الثامن عشر في أكثر من مناسبة ففي عهد عبد الله الشتحي ١١٧٢-١١٧٤هـ/١٧٥٨-١٧٦٠م حدث صراع بين عسكر الوالي من القوات المرتزقة والانكشارية اليرلية "فركب الرجال بالسيوف والبارود وزحفوا على الميدان"[٢] ، وعند حملة أبي الذهب على دمشق عام ١١٨٥هـ/١٧٧١م، تمت حماية قلعة دمشق بالبارود[٣] ، ومن العوامل الأخرى التي ساعدت على تطور صناعة الأسلحة في مدينة دمشق وفرة المواد الخام بكثرة في بلاد الشام التي كان يتم تصنيع الأسلحة فيها.

ويمكن تصنيف الأسلحة النارية التي تم تصنيعها في مدينة دمشق في القرن الثامن عشر إلى قسمين:

الأسلحة النارية الخفيفة (التفنك)

ويتضمن القسم الأول البنادق التي صنعت من الحديد الفولاذي المجوهر[٤]، والتي امتازت بوزنها الثقيل، وحجمها الكبير[٥] ، وقد أطلق الكثير من التسميات المحلية على البنادق منها الجوهدار[٦] ، والجقمقلية[٧]. ويبدو أن كل فئة عسكرية في مدينة دمشق كانت تستعمل نوعاً خاصاً بها من البنادق، فقد استعملت اليرلية منذ القرن السابع عشر بندقية الجوهدار[٨]، واستمرت في استعمالها في القرن الثامن عشر ويظهر أن هذه البندقية كانت ذات أساور فضية، ومصنوعة من الفولاذ المجوهر الذي عرف بجوهر الخارة، ويتألف من خانات عديدة كل خانة تشتمل على خطوط واسلاك كثيرة، ويعد هذا النوع من الجوهر من أفضل أنواع فولاذ البنادق،

---

(١) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٩١.

(٢) المقار - الباشات والقضاة، ص٨١.

(٣) المصدر نفسه ، ص٨١.

(٤) يوسف غنام، الأسلحة النارية في الشرق، مجلة المشرق، م٣، ١٩٠٠، ص٨٧١.

(٥) المرجع نفسه، ص٨٧٣.

(٦) الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٩٠.

(٧) وأصل اللفظ جقماق فارسي معناه حجر النار، أو الزند الذي كانت تشعل منه بواسطة النار أما هنا فقد سميت بذلك نسبة إلى سوق جقمق بدمشق انظر محمد التونجي - المعجم الذهبي، ص٢١٤. الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٩٠.

(٨) الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٩٠-٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبدعها شكلاً، يتميز بمتانته، ومقاومته للصدأ وصلابته[١].

ويأتي بعد بندقية الخارة من حيث القيمة مجهر (أي الجوهر الحديدي في الأسلحة النارية) صرما[٢] ، ومن البنادق الأخرى التي تم استخدامها بنادق عبُّودي (وهي أشبه بقطع متلاحمة ذات خطوط مركب بعضها على بعض)، وقد تميز بصنعه بندقجية مدينة دمشق على سواهم[٣]، وبنادق استانبولية (وتعرف أيضاً بمجهرلف وهو كأسلاك مستديرة متلاحمة)، وهذه البنادق ليس لها أهمية كبيرة كالخارة وصرما[٤]،وبنادق أبو الدين (نسبة إلى فولاذها المعروف بزين الدين أو أباحزين[٥]، وبنادق قندلان والقلنتا وأبي ريشة وأم عيون (ربما سميت بهذا الاسم لأنهم كانوا يصنعون فوهتها كرأس أفعى ويصنعون العينين من الياقوت)[١٠].

كما استخدمت بندقية التفنك[٦] من قبل القوات المرتزقة وخاصة السكبان[٧] ، وعرف حاملها التفنكجي[٨]. كما وجد في مدينة دمشق خلال القرن الثامن عشر بنادق يبدو أنها كانت مستوردة ، مثل البنادق المجرية التي استوردت من هنغاريا[٩].

ونظراً لثقل وزن البنادق المصنوعة من الحديد الفولاذي المجوهر، وكبر حجمها، فقد اضطر عسكر مدينة دمشق إلى حمل نوع آخر من البنادق أطلق عليه الطبنجات[١٠] ، وأشير إليها أحياناً باسم الغدارة[١١]، ويبدو أنهم كانوا يحملون معهم هذا النوع من البنادق في الأسواق لأنها كانت تتميز بصغر حجمها، وخفة وزنها، وصوتها العالي[١٢]، كما استخدموا أسلحة أخرى خفيفة

---

(١) يوسف غنام، الأسلحة النارية في الشرق، ص٨٧٤-٨٧٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٧٥.

(٣) نفسه، ص٨٧٥.

(٤) نفسه، ص٨٧٥.

(٥) نفسه، ص٨٧٥.

(٦) وهي كلمة تركية، مشتقة من كلمة بندق المشابهة للرصاص في استدارته.

(٧) البوريني - تراجم الأعيان، ج٢، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٨) رافق - مظاهر من الحياة العسكرية، ص٨٥.

(٩) سمير الخادم - السلاح الناري وأثره في الشرق، ص١٨٦.

(١٠) الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٩٠.

(١١) المرجع نفسه، ص٩٠.

(١٢) البديري - حوادث، ص١٠٩-١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عرفت باسم الشخشانة (وجد منها أنواع عديدة، وكانت مخصصة للصيد)[١].

ويظهر أن صناعة واستيراد الأسلحة النارية كانتا حكراً على الدولة العثمانية، ويظهر ذلك من خلال قانون نامة الذي أصدرته الدولة العثمانية في مصر عام ١٥٢٤م، ويشير إلى منع أفراد الرعية من صنع البنادق والتجارة بها، وأن الدولة هي فقط التي تنشئ مصانع لتصنيع البندقية وإصلاحها، وتشرف عليها بنفسها[٢] ، وفي وقت السلم كانت جميع البنادق تحفظ في مخازن خاصة في العاصمة استانبول أطلق عليها جباخانة، ويشرف عليها مسؤول عرف باسم (جباجي باشي)[٣]، وكانت الأسلحة توزع على العسكريين بموجب أمر من السلطان العثماني[٤]، ويبدو أن الدولة العثمانية قد حظرت على الرعية حمل البنادق، لأن هذا السلاح يعد من وجهة نظرها مصدر الفوضى وخاصة في الأرياف[٥].

وفي عام ١٦٠٧م صدر قانون يؤكد أن الدولة العثمانية هي التي تقوم بصنع البنادق وبيعها في معاملها في العاصمة، ويظهر أن هذا القرار لم يطبق بدليل وجود الكثير من البنادق المصنوعة خارج معامل الدولة، والتي كان يتم معاقبة المتاجرين بها[٦].

٢- الأسلحة النارية الثقيلة الطوبات (المدافع)[٧] :

يعود استخدام هذه الأسلحة إلى زمن المماليك، إلا أن استخدامها كان ضعيفاً وعلى نطاق ضيق، فلم يحسنوا استغلالها، وبقي سلاحاً ثانوياً إلى جانب أسلحتهم التقليدية[٨] وما أن جاء العثمانيون حتى انتشرت مدافعهم في مختلف أنحاء بلاد الشام، وكانت قلاع وأبراج الساحل من أهم مراكز تجمع المدافع، وذلك لحماية الساحل من عمليات القرصنة، فكانت المدافع تحمي موانئ

---

(١) يوسف غنام - الأسلحة النارية في الشرق، ص٨٧٥.

(٢) سمير الخادم - السلاح الناري وأثره في الشرق، ص١٥٣-١٥٤.

(٣) أي رئيس أمناء المخازن المكلفين بتخزين وإصلاح الأسلحة انظر جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص١١٧.

(٤) سمير الخادم - السلاح الناري وأثره في الشرق، ص١٥٣.

(٥) المرجع نفسه، ص١٥٣.

(٦) نفسه، ص١٥٦.

(٧) سمير الخادم - الأسلحة النارية في الشرق، ص١٨٤.

(٨) المرجع نفسه، ص٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طرابلس وبيروت وصيدا، وكذلك القلاع الممتدة بين حلب ودمشق، ودمشق والقاهرة، ودمشق والمدينة المنورة كانت من المراكز المهمة للمدافع لتأمين سلامة القوافل التجارية وقوافل الحج والجردة كان يرافقها عدد من المدافع[١].

وقد صنعت المدافع من النحاس، وكانت تسكب في قوالب خاصة[٢] ، أما ذخيرة المدافع فكانت مكونة من: البارود، والفتيل، وكرات الرصاص أو الحجارة، ولكي يطلق المدفع قذيفته كان يحشى بالبارود، ثم توضع الكرة، ثم يبدأ باستعمال الفتيل الذي يوصل الشعلة إلى البارود، فيبدأ بالاحتراق ويشكل طاقة دفع قوية فتنطلق الكرة إلى الهدف المعين لها[٣]. ووجد للمدفعية رماة أطلق عليهم اسم الطوبجية[٤] ، كما وجد في قلعة دمشق جماعة متخصصة في زرع الألغام عرفت بـ "اللغمجية"[٥].

واستخدم ولاة دمشق في القرن الثامن عشر المدافع، منهم أسعد باشا العظم الذي أمر بتوجيه المدافع على حي ساروجا، ويبدو أن أسعد باشا قد استخدم المدافع الموجودة داخل قلعة دمشق، التي كان يتم حفظ المدافع في مدينة دمشق في القرن الثامن عشر داخلها، ويظهر أن هناك مدفعين كانا مثبتين في باب القلعة، وقد استعمل أسعد باشا هذين المدفعين وهما مثبتان مكانهما، دون إخراجهما من القلعة[٦] ، ويبدو أن ولاة دمشق رأوا أنه لا بد من إخراج المدافع من القلعة لأنها كانت تستخدم لمرافقة قافلة الحجاج، لذلك نجد أن عبد الله الشتجي عندما أراد الخروج لقيادة قافلة الحج أحدث نوعاً من التغيير لإخراج المدافع من القلعة، فصنع عربات من الخشب، ووضع بها حلقات من الحديد، بلغ وزنها ثلاثة وثلاثين قنطاراً[٧]. وقد كان وزن هذا المدفع

---

(١) الحمود – العسكر في بلاد الشام، ص٩١.

(٢) العبد – قطعة من حوادث، ص٧٨.

(٣) الحمود – العسكر في بلاد الشام، ص٩٢.

(٤) البديري – حوادث، ص٢١.

(٥) واللغم كلمة تركية وتعني الصخر، وهي تشير إلى ثقب يصنع في الصخر وفيه بارود يشعل كي ينفجر ويتفتت الصخر (واللغم ما ينسف الصخر). أنظر انيس فريحة – معجم الألفاظ العامية، ص١٦٢. سامي– قاموس تركي، ص١٢٤١.

(٦) البديري – حوادث، ص٦٧، ٢١٨.

(٧) المصدر نفسه، ص٢١٨، سمير الخادم – السلاح الناري وأثره في الشرق، ص١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثقيلاً، لأن عبد الله الشتجي أمر العامة أن يجروا المدافع ذات الحجم الكبير، فقتل منهم رجلان، وجرحت جماعة أخرى[١].

وفي عام ١١٧١هـ/١٧٥٧م، تمكن عبد الله الشتجي من إدخال نوع خفيف من المدافع، جرى تطوير صناعته في عهده، عُرف باسم الشواهي[٢] الخفيفة الوزن، والمحمولة على ظهور الجمال، والمستخدمة من قبل راكب واحد، وحجمها صغير، ومن مميزات هذا المدفع إدارته بسهولة إلى الجانبين، مما أكسبه حرية الحركة ومرونة في التسديد[٣].

ويبدو أن استخدام المدافع ذات الحجم الكبير والثقيل كان يعيق من حركة الجيش، فعلى سبيل المثال عندما علم عثمان باشا الكرجي والي دمشق، بقدوم قوات علي بك الكبير المملوكي لبلاد الشام عام ١٧٧١م، كان في يافا فتراجع عنها، وعاد إلى مدينة دمشق، وكان معه مدفعين قام برميهما في القو (البئر) لأنهما أعاقا من سرعة تقدمه[٤].

ويلحظ أن المدافع قد استخدمت أيضاً في القرن الثامن عشر في حصار المدن، لدعم وتحصين الأسوار من الداخل[٥]، ولكن على ما يبدو فإن هذه المدافع لم تكن تستعمل بدقة ومهارة عالية، فعندما حاول محمد بك أبو الذهب قائد قوات المماليك إخضاع قلعة دمشق، أثناء حملته عليها لاحتلالها في ٨ حزيران ١٧٧١م، ضرب القلعة بتسع وعشرين قنبلة، لم تصب منها سوى خمس إصابات مباشرة للهدف[٦].

ولم يقتصر استعمال المدافع على القتال، بل استخدمت أيضاً في مناسبات عديدة في مدينة دمشق[٧]، كإعلان صوم شهر رمضان[٨] وإعلان العيد[٩]، وعند تحقيق النصر فعندما فتحت طبريا

---

(١) البديري - حوادث، ص٢١٨.

(٢) رافق - مظاهر من الحياة العسكرية، ص٨٧.

(٣) المقار - الباشاة والقضاة، ص٨٢. البديري - حوادث، ص٢١٨.

(٤) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٢٧.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٤.

(٦) نفسه، ص٥٣.

(٧) رافق، مظاهر من الحياة العسكرية، ص٨٨.

(٨) البديري - حوادث، ص٢٣، ٤٨، ٢٢١.

(٩) بريك - تاريخ الشام، ص١٥٤-١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على يد سليمان باشا العظم، ضربت المدافع في مدينة دمشق[١] ، وعندما انتصر أسعد باشا العظم على اليرلية عام ١١٥٩هـ/١٧٤٦م، ضربت المدافع[٢]، وعندما منح سعد الدين باشا أخو أسعد باشا رتبة وزارة عام ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م أمر الوالي بضرب المدافع[٣] ، وعند تولي السلطان العثماني مصطفى الثالث عام ١٧٥٧م، ضربت المدافع في مدينة دمشق[٤].

ثانياً : السباهية :

أي الفرسان[٥] وهم من أقدم أنواع الجند العثماني[٦]، وقد منح هؤلاء اقطاعات من أراضي الدولة على ثلاثة أنواع هي: تيمار[٧]، زعامت[٨]، خاص[٩] ليعيشوا منها ويجندوا آخرين من وارداتها، ومنحت الزعامت لضباط السباهية وكبار الموظفين، ومنح الإقطاع الخاص لأفراد الأسرة الحاكمة والمقربين إليهم، كما ألحق هذا النوع من الإقطاع ببعض أصحاب المناصب الإدارية العليا لينفقوا من وارداتها[١٠].

ووزعت قوات السباهية منذ القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين في الأرياف،

---

(١) البديري - حوادث، ص٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٠.

(٣) نفسه، ص٧٤.

(٤) بريك - تاريخ الشام، ص٦١-٦٢.

(٥) النهروالي - البرق اليماني في الفتح العثماني، مقدمة ص٧٥، انظر أيضاً

Haige, T. w. "Sepoy", E. I, Vol IV, P 229-230.

(٦) ياسين سويد التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية، ج١، ص١٠١.

(٧) التيمار هو الإقطاع الذي لا يتعدى دخله السنوي ١٩٩٩٩ أقجة. وللمزيد من التفاصيل عن هذا الإقطاع انظر:

Deny, Timar, E.I, Vol IV, P:-767, Bakhit, The ottoman province, P: 106.

(٨) الزعامت هو الإقطاع الذي لا يتعدى دخله السنوي ٩٩٩٩٩ أقجة. وللمزيد من التفاصيل انظر جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص٩٥ Deny, Zamet, E. I, Vol IV, P: 1221.

(٩) الخاص هو الإقطاع الذي يزيد دخله عن مائة ألف أقجة. للمزيد من التفصيل أنظر جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص٩٤.

(١٠) الصفصافي، أحمد المرسي - الدولة العثمانية والولايات العربية، المؤتمر العالمي للدراسات العثمانية الخامس، تونس، ١٩٨٢، ص٣٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى رأسها قادة السباهية الذين عينوا حكاماً على الولايات، حيث كان البيلربي (أمير الأمراء) أعلى هؤلاء رتبة، وهو الذي يمنح الإقطاعات إلى أوائل القرن السادس عشر حيث سحبت هذه الصلاحية منهم، وترك لهم منح إقطاع من درجة تيمار[١].

والوحدة الأساسية للجند السباهي "الأ لاي" (فرقة من السباهية الفرسان) يقودها الألاي بك[٢] ، وكانت الوحدة العسكرية الألاي متفرعة من وحدة أكبر هي البلق (ببلوك) يقودها ضابط يدعى بلكباشي (بلوك باشي)، ويقود الجيش ضابط دعي بـ السباهي آغا[٣].

ويبدو أن الجند السباهي في بلاد الشام كان في معظمه من أصل تركي وكردي ومملوكي[٤] ورواتبهم كانوا يحصلون عليها من ريع الإقطاعات الممنوحة لهم. أما أسلحتهم فكانت تضم القوس والسهام والرمح والمسدس والبندقية الخفيفة والسيف والترس أو المجن والبنادق، وكان بعضهم يرتدي سترة من الزرد[٥].

ومما تجدر الإشارة إليه أننا لا نستطيع أن نحدد عدد السباهية في بلاد الشام، فقد ذكر رافق نقلاً عن أوليا جلبي الذي زار بلاد الشام عام ١٦٧١م قوله: أن عدد السباهية كان يصل إلى ٥,٥٠٠ كما نقل عن عيني علي قوله: إن عدد السباهية في الربع الأخير من القرن السادس عشر في بلاد الشام، كان ٨,٢٦٣ سباهياً[٦].

نلحظ هنا أن عدد السباهية كان يختلف بين فترة وأخرى[٧]، كما أن عددهم تناقص، فقد ذكر الحمود اعتماداً على الأرقام التي أوردها الدكتور محمد عدنان البخيت في رسالته للدكتوراه

---

(١) رافق – بلاد الشام، ص٧١. العبد – قطعة من حوادث ١١٨٦هـ – ١٢٤١هـ، ص٦.

(٢) الألاي بك لقب أطلق على ضابط في العهد الإقطاعي، وهو أعلى رتب الضباط السباهية، ويخضع لسنجق بيه. أنظر العبد – قطعة من حوادث سنة ١١٨٦ – ١٢٤١هـ، ص٤٣. ليلى الصباغ – المجتمع العربي السوري، ص٢٨.

(٣) سويد – التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية، ج١، ص١٠١. نعيسة – مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٥٤.

(٤) رافق – مظاهر من الحياة العسكرية، ص٧٢، ١٣٦.

(٥) سويد – التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية، ج١، ص١٠٣.

(٦) الحمود – العسكر في بلاد الشام ، ص٥٨.

(٧) المرجع نفسه، ص٥٨-٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth Century".

أن عدد السباهية الحاصلين على التيمارات في دمشق قد بدأ بالتناقص بمرور الزمن، وهذا يدل على أن عدداً من التيمارات قد أصبح شاغراً "محلول"، وفي نفس الوقت كان هذا مؤشراً على بداية اضمحلال التيمار، وأن الدولة العثمانية بدأت تستغني تدريجياً عن السباهية، وتزيد من اعتمادها على قوات الانكشارية، وزاد إهمال الدولة للسباهية استخدام التقنية العسكرية المتطورة -خاصة الأسلحة النارية-، ومما زاد في اضمحلال هذا النظام الأزمة الاقتصادية التي مرت بها الدولة العثمانية منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر وطوال القرن السابع عشر، وتمثلت تلك الأزمة بتحويل الطرق التجارية المارة بأراضي الدولة العثمانية، وأصبح بمقدور التجار الأوروبيين الإبحار والدوران حول إفريقيا، الأمر الذي ترتب عليه فقدان مواد كثيرة من الأسواق، وإلى فقدان مصدر مالي هام من مصادر الخزينة، كما أدى تدفق الفضة من العالم الجديد إلى التضخم في الدولة العثمانية وأدى ذلك إلى تضخم مالي، فارتفعت الأسعار وعانى من جراء ذلك موظفو الدولة مدنيين وعسكريين ممن كانوا يتقاضون رواتبهم بالأقجة، إضافة إلى فشل الدولة في إصلاحاتها النقدية[١].

وكان السباهية يعرفون باسم الزعماء أو "الزعما"، وكان لهم دفتردار مستقل وأمير معترف به من قبل الدولة العثمانية في مدينة دمشق[٢] ، ووقفوا أيضاً إلى جانب القاضي والمفتي والأشراف في تحرير (جرد ممتلكات) الوالي بعد وفاته أو عزله[٣].

وفي بعض الأحيان كان زعماء السباهية يستلمون في دمشق شيوخاً لحاراتها، وبالتالي شهدوا الصراع الذي كان يتجدد بين فترة وأخرى، بين وجاقي الانكشارية اليرلية والقابي قول، ويبدو أنهم قاموا بدور الوسيط للإصلاح بين الوجاقين، إضافة إلى قيامهم بنفس الدور عند حدوث صدام بين والي دمشق واليرلية[٤].

وكلف زعماء السباهية أيضاً ببعض المهام الخاصة عندما كانت الدولة العثمانية تتعرض

---

(١) الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٦٠-٦١.

(٢) جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص٢٤٢.

(٣) العبد - قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص١٦٠.

(٤) المصدر نفسه، ص١٣٠-١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتهديد خارجي، كما حدث عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨-١٧٩٩م، عندما زحفت القوات الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت على بلاد الشام، حيث شاركت قوات السباهية الدمشقية إلى جانب القوات العسكرية العثمانية في التصدي لهم، ويقول آغا العبد الذي عاصر تلك الأحداث: طلع من الشام عسكر آلاي بيك، والزعما، والمصاروة... من أقطار البلاد وتوجهوا نحو الفرنسيين[١]، وكلف سباهية دمشق بمهام أخرى تحت قيادته ورأت الدولة أنه من الأفضل استبدال ذلك النظام بنظام آخر عرف بـ"الالتزام"، حيث أوكلت مهمة جمع الضرائب من المناطق المختلفة إلى موظفين غير حكوميين عرفوا بـ"المقاطعجية"، وكان غالب هؤلاء من الزعماء المحليين، وأخذ نظام الالتزام ينمو شيئاً فشيئاً حتى اتخذ شكله النهائي في "الملكانة" الذي أصبح وراثياً، وقد صدر مرسوم عام ١١٧٠هـ-١٦٩٥م أرسيت بموجبه دعائم هذا النظام في ولايات دمشق وحلب وعينتاب (من ألوية حلب ومرعش) وأضنة[٢]. يتضح من العوامل السابقة أن السباهية قد تدنت أهميتهم وكفاءتهم العسكرية بمرور الزمن، وبالتالي تغيرت أوضاعهم في بلاد الشام في القرن الثامن عشر، ففي مدينة دمشق شكل هؤلاء جانباً من أعيانها، وتحول "ألاي بيك" قائد السباهية إلى شخصية تطغى عليها صفة الموظف من الأعيان، أكثر من شخصية تطغى عليها الصبغة العسكرية، فلم يتجاوز عددهم في ولايات دمشق وحلب وطرابلس (١٤٠٠) جندي في حين كانوا حوالي (٦٥٠٠) في القرن السادس عشر[٣]، ومما يؤكد تراجع دورهم أنهم لم يكن لهم دور بارز في أحداث القرن الثامن عشر. ومع أن الغالبية العظمى من السباهية المحلية ليسوا مشاركين في الحرب بشكل دائم، فقد كان قسم منهم يؤدي وظائف معينة في الشام، "فالآلاي بيك" شارك في اجتماعات الديوان الذي كان يتم عقده في مدينة دمشق في أوقات مختلفة إلى جانب الأعيان من الآغاوات والعلماء والأشراف[٤]، كما تولى بعضهم منصب القائم مقام[٥] والمتسلم في حال غياب والي دمشق عن المدينة، كما حدث عام ١١٦٩هـ-١٧٥٥م عندما خرج والي دمشق حسين باشا للدورة "عيّن مكانه حسين آغا ألاي بيك السباهية متسلماً على دمشق"[٦]. ويشير آغا العبد إلى

---

(١) العبد - قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص٥١.

(٢) الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٦٢ .

(٣) رافق - مظاهر من الحياة العسكرية، ص٧٢-٧٣. عبد الغني - السلطة في بلاد الشام، ص١١٣.

(٤) البديري - حوادث، ص٣٢-٣٣، ٥٠-٥١. ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٣٥.

(٥) وهو الذي يحل محل الوالي عند عزله أو وفاته أو غيابه ويبقى في منصبه حتى مجيء الوالي الجديد انظر الصديق - غرائب البدائع ، ص١٢٧.

(٦) البديري- حوادث، ص١٩٩، ٢٠٧. العبد - قطعة من حوادث سنة ١١٨٦ - ١٢٤١هـ، ص٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك أيضاً في حوادث زعمائهم، ففي عام ١٢١٦هـ-١٨٠١-١٨٠٢م عندما عاد الصدر الأعظم يوسف باشا من مصر جنوب دمشق أصدر مرسوماً إلى آلاي بيك في دمشق "بأن يطلعوا الزعما ويكوموا تلال تراب من الشام إلى أن يوصلوا إلى عند الوزير ما بين التل والتل ساعة، لأن هذا معاند الأسفار لأجل يعلموا أن أرض همايون حرة من هذا الطريق بعد حين".[١]

ونجد أن زعماء السباهية قد امتلكوا قصوراً عديدة في مدينة دمشق، كانت تعد منازل لاستضافة العديد من الموظفين الإداريين الكبار واتباع السلطان العثماني القادمين من العاصمة استانبول إلى مدينة دمشق[٢]، وتصرفوا ككبار الأعيان واستطاع بعضهم أن يرسخ نفوذه السياسي والاجتماعي من خلال المصاهرة مع الأسر الدمشقية البارزة[٣] إضافة إلى الإقطاعات، حيث تمكنوا من الحصول على الرتبة العسكرية الخاصة بضباط الإقطاع. فمن عائلات السباهية في مدينة دمشق عائلة أغريبوزي[٤] ، التي برز منها آلاي بيك أحمد بن محمد السلامي ت عام ١١٢٦هـ-١٧١٤م، ثم مصطفى آغا بن أغريبوز الذي أصبح آلاي بيك عام ١٢٢٥هـ/١٨١٠-١٨١١م، ثم أحمد بيك ت عام ١٢٧٦هـ- ١٨٥٩م[٥].

ويبدو أن قوات السباهية وزعت أيضاً في ريف دمشق والقرى التابعة لها، حيث عين منهم في بعض الأحيان "شيخ مشايخ القرى أو المقاطعة"، وأوكلت له الدولة مهمة جمع الضرائب من تلك القرى، بمساعدة مشايخ القرى التابعة له وقوة مسلحة خاصة به، كما اتخذ له وكلاء أو معاونين أطلق عليهم اسم مشايخ تعزيزاً لهم، وفرض عليهم تأدية مبالغ محددة دون أن يراقبهم[٦].

ولما أقرت الدولة نظام "الملكانة" أعطت للسباهية الإقطاعيين حقاً في استثمار الأراضي الميرية مدى الحياة، بهدف رفع المظالم عن الفلاحين وزراعة الأرض وزيادة الإنتاج، ويلحظ أن "الملكانات" خصصت في دمشق لزعماء السباهية، وغيرهم ومن زعماء السباهية في دمشق:

---

(١) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٥٥.

(٢) العبد - قطعة من حوادث ١١٨٦هـ-١٢٤١هـ، ص٦٨. عبد الغني -السلطة في بلاد الشام، ص١١٤.

(٣) المرادي - سلك الدرر، ج٣، ص٩٠.

(٤) اغر يوزي أو أغربوط من العائلات المشهورة بدمشق برز منها أحمد بن محمد السلامي الشهير بابن اغريبوزي كان أحد أعيان جند دمشق، وكان يسكن في حي سوق ساروحه وصار تذكر جي دفتر خانة التيمارات. أنظر العبد - قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص١٥٠.

(٥) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٥٦.

(٦) نعيسة - أوضاع الفلاحين في دمشق وسناجقها ١١٨٦-١٢٥٦هـ/ ١٧٧٢-١٨٤٠م، مجلة دراسات تاريخية، السنة السابعة، العددان ٢١، ٢٢، ١٩٨٦، ص٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسين مصلى المعروف بـابن مصلى الدمشقـي وأقاربـه كلـهم مـن زعمـاء السـباهية في أوجـاق السلطان ولهم إقطاعات من القـرى[١] وكذلـك ابـن الكمـش[٢] الـذي كـان رئيـس طائفـة الجنـد السباهية، ومن أرباب الإقطاعات الميرية السلطانية، ولما توفي والده تولى جبايـة الإقطاعـات الميريـة التي كانت بيدهم من القرى ونظارة الأنهار وأعشار البساتين[٣]، ويوسف الدقاق الشهير بـالزعيم من محلة العقيبة[٤]، كما عين على تلك القرى موظفون مثل الصوبـاشي (رئيـس فرقـة السـباهية)، حيث كان لكل صوباشي - يعين على قرية من قبل الدولـة العثمانيـة - عـدد مـن غرائـر الحنطـة والشعير نظير مكيول الشوبصة، وهنـاك الكثير مـن الأمثلـة في السـجلات الشرعيـة لدمشـق عـن الصوباشية ودورهم في القرى التابعة لدمشق[٥]، وشارك بعضهم في النشاط الاقتصـادي في مدينـة دمشق، ولكنه لم يكن بشكل بارز مثل اليرلية[٦]، وبقيت السباهية الإقطاعية إلى أن ألغتـها الدولـة مع جند الانكشارية في عام ١٨٢٦م، وألغت مع السباهية نظام التيمار عام ١٨٣١م[٧].

ثالثاً : القوات المرتزقة :

وهي قوات غير نظامية، أوجدها الولاة لأنفسهم منذ القرن الحادي عشر الهجـري/ السـابع عشر الميلادي[٨]. ويبدو أن استخدام هذه القوات لم يقتصر على الولاة وحدهـم، بـل نجـد بعـض الأمراء المحليين (مثل فخر الدين المعني الثاني وعلي باشا جنبلاط) قـد اسـتخدموا هـذه القـوات في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين[٩].

ويظهر أن استخدام ولاة بلاد الشام لهذه القوات في القرنين السـادس عشـر والسـابع عشـر الميلاديين لم يكن بارزاً، وربما يعود ذلك لقوة سلطتهم وعدم وجود متطلبات محلية توجـب ذلـك

---

(١) وكانت وفاته عام ١١٥٢هـ-١٧٢٩م انظر المرادي - سلك الدرر، ج٢، ص٤٣.

(٢) وهو أمين، بن محمد بن حسن بن علي القسطنطيني الأصل الدمشقي المولد المعروف بـابن الكمش وكـان من الأعيان والرؤساء وكان في مبتدأ امره رئيس الجاويشيـة في دمشـق ثـم ترقـى في المنـاصب وصـار مـن زعماء السباهية. أنظر المرادي - سلك الدرر، ج١، ص٢٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٤.

(٤) الحصني - منتخبات التواريخ، ج١-٣، ص٨٦٠.

(٥) أنظر الفصل الأول عن الصوباشي.

(٦)أنظر الفصل الخامس.

(٧) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ص٣٢٠.

(٨) ابن كنان - المواكب الاسلامية، ج١، ص٤٩.

(٩) رافق - العرب والعثمانيون، ص٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في تلك الفترة. أما في القرن الثامن عشر فنلحظ ازدياد الاعتماد على هذه القوات من قبل ولاة الشام، ويمكن تفسير ذلك بعدة أسباب منها: ضعف الجيش العثماني النظامي المؤلف من الانكشارية والسباهية، نتيجة لسوء الحالة الاقتصادية (التي أشرت إليها سابقاً) في الدولة العثمانية التي تمثلت بانخفاض قيمة العملة، فأثر ذلك على الجند الانكشارية من أصحاب المرتبات، فلجأوا إلى فرض الضرائب، والاتجاه إلى تحقيق مصالحهم الخاصة، والثورة على العثمانيين في القرن الثامن عشر لتشمل القواعد الشعبية في المدن والأرياف[١]، إضافة إلى ذلك فإن الصراع بين أوجاق اليرلية وأوجاق القابي قول الذي اتسم به تاريخ مدينة دمشق خلال القرن الثامن عشر، وعدم مقدرة ولاة دمشق على القضاء على تلك الصراعات ومواجهتها، وارتباط آغاوات العسكر بالعاصمة، شكل عقبة أمام الولاة، مما دفعهم إلى تجنب الاعتماد على هذه القوات العسكرية المرابطة في المدينة والاستعانة بالقوات المرتزقة (الخاصة)؛ لتعزيز نفوذهم ولتحجيم القوى العسكرية المتواجدة في المدينة، كما أن تكليف ولاة دمشق بإمارة الحج منذ حوالي منتصف الربع الأول من القرن الثامن عشر دعا إلى وجوب استخدام قوات خاصة لحماية الحجاج[٢].

ويبدو أن أصول الجند المرتزقة كانت متنوعة، فمنهم من كان من أصول عربية (كالبغدادي، والموصلي، والتكريتي، والكركوكي، ومن المغاربة كان المراكشي، والداروي، والجزائري، والتونسي، والسوسي، والطرابلسي)، ومن الأصول الأخرى كان الشركسي، والتركماني، والكردي)[٣]. ونجد أن وحدات المرتزقة من الدالاتية واللاوند والتفنكجية والسكبان والمغاربة، لم تكن فصائل قتالية دائمة، وكثيراً ما كان عددها يتوقف على إمكانيات الوالي المادية، إذ أن الوالي كان ينفق على تلك القوات ويدفع مرتباتها من خزينته الخاصة[٤].

وقد كانت المهنة الأساسية للقوات المرتزقة العمل العسكري، إلا أننا نجد أن أفراد تلك الوحدات وهم في الخدمة العسكرية الرسمية، كانوا مستعدين لنهب السكان والاعتداء على ممتلكاتهم. وهذا دليل على عدم التزامهم بوظيفتهم العسكرية، وعندما يحرمون من الوظيفة كانوا يتحولون إلى عصابات وقطاع طرق وهذه صفتهم الأصلية، ويوضح البديري هذه الظاهرة بقوله:

---

(١) ابن كنان - المواكب الاسلامية، ج١، ص٤٩؛ رافق - مظاهر من الحياة العسكرية، ص٧٤.

(٢) رافق - بلاد الشام، ص٧٨؛ مظاهر من الحياة العسكرية، ص٧٤.

(٣) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٤٣.

(٤) سميليا نسكايا- البنى الاقتصادية والاجتماعية ، ص٢٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وبعد أيام قطع الباشا (عبد الله الشتجي) خرج[١] بعض العساكر والبيارق، فصاروا يغيرون على القرايا (القرى)، وينهبون الأموال والأعراض والأولاد، ولا تسأل كذلك عن عسكر الباشا، فإنهم نهبوا البساتين وكسروا الشجر وشلحوا البشر"[٢] ، وأكد البديري على ذلك في موضع آخر بقوله: "أن القوات المرتزقة كانوا رجال عصابات وقطاع طرق أكثر من أن يكونوا جنوداً"[٣].

وكلما كانت تعزز مراكز الولاة في السناجق بالقوى العسكرية، كانت تعزز وحدات المرتزقة أيضاً، فمن بين مختلف القوى العسكرية المسلحة كانت الأرجحية في الغالب لقوات المرتزقة خاصة الدالاتية واللاوند والارناؤوط خصوصاً في مدينة دمشق. وكانت تلك الوحدات العسكرية تسمى بيارق[٤]. ففي شهر كانون الثاني من عام ١١٧١هـ-١٧٥٧م وصل عبد الله الشتجي إلى مدينة دمشق، وكان يرافقه عسكر جرار مكون من: "أربعين بيرقاً من الدالاتية، وخمسين بيرقاً من اللاوند، وعشرين بيرقاً من الأرناؤوط[٥]" أي قرابة ألف ومئة جندي، واستطاع أن يقضي بها على المعارضة الانكشارية التي كانت تضم عشرين ألف رجل[٦].

وعند مقارنة عدد العسكريين ممن يتقاضون رواتب حكومية من الانكشارية، أو يملكون أرضاً أعطيت لهم مقابل خدماتهم من السباهية، مع عدد أفراد فصائل القوات المرتزقة نجد أن عدد العسكريين في الولايات السورية من الانكشارية والسباهية قد بلغ حوالي ثلاثين إلى خمسة وثلاثين ألف عسكري في مطلع القرن الثامن عشر، أي ما نسبته ٢-٢,٥٪ من عدد السكان، أما فصائل القوات المرتزقة فلم يكن بالإمكان إحصاء عددها[٧]، وربما يعود ذلك لكثرة عددها. وعلى الرغم من ذلك نجد هناك إشارات إلى أعدادهم، فقد استخدم أحمد باشا الجزار[٨] ١٢١٣هـ-١٧٩٨م فصائل من المرتزقة تراوح عددها ما بين ثمانية آلاف وخمس وعشرين ألفاً[٩] ويبدو أن العدد الثاني

---

(١) مرتب أو علوفة أو معاش. أنظر البديري حوادث، ص٨٠، ١٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٧.

(٣) نفسه، المقدمة ص٤٠.

(٤) والبيرق يتكون من عشرة جنود انظر ابن الصديق - غرائب البدائع، ص١٣٨.

(٥) البديري - حوادث، ص٢١٢.

(٦) البديري - حوادث، ص٢١٣. سميليا نسكايا - البنى الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٥٣.

(٧) سميليا نسكايا - البنى الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٥٠.

(٨) أصله مملوك من البشناق، بدأ عمله في استانبول. للمزيد من التفاصيل حول حياته انظر الشهابي - لبنان، ج١، ص٩٧-٩٨،١١٨ . بازيلي - سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص٦٠-٦٤. فيليب حتي - لبنان من أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ص٤٧٩-٤٨١ .

(٩) نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مبالغ فيه، كما أن نعيسة يشير إلى أن أكبر عدد من القوات المرتزقة قد استخدم في عهد أحمد باشا الجزار الذي استطاع أن يفرض سيطرته على ولايتي صيدا ودمشق[٢].

أما القيادة العسكرية للمرتزقة فقد تمثلت بظهور ضباط عسكريين، ارتبط وضعهم بالأشخاص الملتحقين بخدمتهم، فظهر مجندون من الأكراد والمغاربة والبوسنويين والصقالبة، وكان على تلك المجموعة أن تقيم علاقات اجتماعية حتى تستطيع القيام بدور سياسي مستقل في الولايات السورية[١].

وقد تم تصنيف القوات المرتزقة حسب تسليحها والمهام القتالية الموكلة إليها إلى خمسة طوائف من الجند الذين شكلوا قطاعاً مهماً من القوات العسكرية العثمانية في دمشق إلى جانب الانكشارية والسباهية ساعدت الوالي في تثبيت سلطته، ومن هذه الأنواع:

أ- السكبان[٢]: أو "السكمان" وكانوا أقدم وأول من ظهر من هذه القوات في بلاد الشام[٣] ، وأصلهم من فلاحي الأناضول[٤]، وبداية ظهورهم كانت في سنجق نابلس التابع لولاية الشام في النصف الثاني من القرن السادس عشر ويؤكد البوريني ذلك بقوله: "أن السكبان لم يكونوا أولاً شيئاً حتى جاء إلى بلاد الشام أمير يقال له أبو سيفين، تولى ولاية نابلس فصحب منهم نحو مئة رجل يستعين بهم على رعايا بلاد نابلس"[٥].

ويبدو أنهم لعبوا دوراً هاماً في القرن السادس عشر[٦]، ولكن في القرن الثامن عشر تضاءل دورهم بشكل كبير، وظهر مكانهم جنود آخرين من المغاربة والبغادة، وعلى الرغم من ذلك تم استخدامهم من قبل ولاة دمشق في حماية القلاع، وكان معظمهم من المشاة وقائدهم "السكبان باشي"[٧] ، كما تم استخدامهم في خدمة الولاة، ويظهر ذلك عندما عاد أحمد باشا الجزار في

---

(١) سميليا نسكايا - البنى الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٥٣.

(٢) السكبان كلمة فارسية الأصل مركبة من كلمتين (سك) وتعنى الكلب (وبان) وتعنى الحامي، فيصبح معناها الحارس أو الخادم الذي يقود الكلب وقت الصيد. انظر المحبي - خلاصة الأثر، ج٢، ص٣٢٤. البوريني - تراجم الأعيان، ج٢، ص٢٥٩. كرد علي خطط الشام، ج٥، ص٢٨.

(٣) رافق - مظاهر من الحياة العسكرية، ص٧٤، ١٣٨.

(٤) البوريني - تراجم الأعيان، ج٢، ص٢٥٩.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٩.

(٦) انظر الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٦٢، ١٥٣، ١٥٤.

(٧) جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص٣٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نهاية القرن الثامن عشر، وأولى اهتمامه للسكبان، بحيث أصبحوا يشكلون قسماً مهماً من قواته[١]، وبعد وفاة أحمد باشا الجزار عام ١٢١٩هـ- ١٨٠٤م لجأ هؤلاء إلى الاعتداء على أهالي مدينة دمشق، وعاثوا فساداً فيها، فقام اليرلية الذين كان معظمهم من السكان المحليين بشبه ثورة ضدهم، ويشير آغا العبد إلى ذلك بقوله: "صار بين أهل البلد والسكمان موقعة عظيمة، وصار إطلاق نار بين الطائفتين مقدار أربع ساعات"[٢] ونتيجة لذلك "سكرت البلد، وانشحت[٣] الخبز، وصار حريق من طرف السكمان من العصرونية إلى درج الأموي، على الصفين والسقف من الخانات... واضطر السكمان للالتجاء إلى القلعة إلى أن تدخل أصحاب الأمر وأخرجوا منها وساروا باتجاه عكا"[٤].

ب- اللاوند[٥]:اقترن اسم اللاوند في القرن الثامن عشر في دمشق بالأكراد، ومنهم القوات التي عرفت بلاوند الأكراد، حيث ورد ذكرهم عند البديري مرتبطاً بالأكراد في أكثر من موضع[٦]، كما استخدمت هذه التسمية من قبل ابن الصديق الذي كتب عن دمشق في الربع الأخير من القرن الثامن عشر[٧]، وربما يعود ذلك إلى أن اللاوند بعد تسريحهم من الخدمة انتشر أفرادهم في الأناضول وغربي آسيا يبيعون خدماتهم مقابل المال، وبقيت التسمية قائمة رغم اختلاف أجناس العناصر التي اتخذت اسم اللاوند كالأكراد والتركمان، وحين كان اللاوند من الأكراد، ذكرتهم المصادر العربية باسم لاوند الأكراد[٨]، وقد شكلوا طائفة من الجند تضم عناصر شتى، وترأسهم قائد عرف بالآغا[٩] أو المقدم[١٠] ، وكان ملتقاهم وإقامتهم في خان عرف بخان

---

(١) عبد الغني - السلطة في بلاد الشام، ص١١٧.

(٢) العبد - قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص١١٠.

(٣) أي قل وارتفع ثمنه.

(٤)العبد - قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص١٠٩-١١١.

(٥) اللاوند: هذه التسمية مشتقة من كلمة (Laventino) التي أطلقها سكان البندقية على البحارة الشرقيين الذين خدموا في أسطولهم، ثم أخذها العثمانيون وأطلقوها على بحارتهم مع شيء من التحريف، وعندما تمرد هؤلاء البحارة تم تسريحهم من الخدمة وظلوا يحملون هذه التسمية بعد أن انتشروا في البلاد يبحثون عن عمل وكان معظمهم من الفرسان. أنظر الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٦٤.

(٦) البديري - حوادث، ص١٩٨.

(٧) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٢١، ٢٢، ٣٢.

(٨) رافق - بلاد الشام، ص٧٩.

(٩) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص١٠.

(١٠) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللاوند نسبة لهم[١]، وأطلق عليهم أحياناً اسم قبسيس (أشقياء الأناضول)[٢].

وكان لهؤلاء نشاطهم في المناطق الصعبة كالجبال والغابات والمدن، ويؤدون نشاطاتهم وهم على ظهر خيولهم[٣] ، كما شاركوا ولاة دمشق في حملاتهم العسكرية، وفي عام ١١٧١هـ-١٧٥٧م استخدمهم والي دمشق عبد الله باشا الشتجي إلى جانب قوات القابي قول والقوات المرتزقة الأخرى في مواجهة الانكشارية اليرلية وكان عددهم خمسين بيرقاً[٤]، كما استخدمهم أحمد باشا الجزار في جباية الضرائب فيما بعد[٥]، ويبدو أن طائفة منهم عملت في طرابلس، حيث أقاموا في خان (الأسارى) في محلة اليهود[٦]، ويذكر ابن الصديق أن والي طرابلس أرسل عدد ثلاثمائة خيال لاوند، ولا تزال عائلة اللاوند معروفة بطرابلس[٧]. ويذكر البديري في أكثر من موضع اشتباك هؤلاء مع القوات المرتزقة الأخرى المتواجدة في المدينة المنافسة لهم مثل الدالاتية والمغاربة كما اشتبكوا مع اليرلية[٨] ، وبذلك فقد عُدّوا مصدر فساد في المدينة، لذلك حاولت الدولة العثمانية القضاء عليهم أكثر من مرة. ويعطي ابن الصديق مثالاً على فسادهم خاصة عندما وصلت الأخبار بتوجه محمد أبو الذهب إلى الشام عام ١١٨٥هـ/١٧٧١م، بقوله: "سمعت طائفة اللاوند الخبر، وطمعوا بأهل الشام، وصاروا يطلعون إلى قراي (قرى) الشام، ويأخذون من الفلاحين دراهم وشعير.... ومن الأذية التي ظهرت فيهم من اللاوند أنها ما تقع في بلاد الكفار، وجميع الناس تكدرت على الفلاحين، ويدعو الناس على اللاوند هالأشرار"[٩]. أما "الأمير حيدر الشهابي[١٠]" فيصفهم في تاريخه بقوله: "هم الذين يلبسون الطرابيش الطوال... وخرج بنفيهم

---

(١) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٤٣.

(٢) الشهابي - تاريخ الأمير حيدر الشهابي، ج١-٣، ص٨٢٨. الزين - للبحث في تاريخنا في لبنان، ص٥٥٥.

(٣) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٤٦.

(٤) البديري - حوادث، ص٣٢، ٢١٢. انظر الفصل الرابع.

(٥) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٤٧.

(٦) عبد الغني عماد - السلطة في بلاد الشام، ص١١٦.

(٧) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٣٢.

(٨) البديري - حوادث، ص٣٢، ١٩٨.

(٩) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٤١.

(١٠) يرجع نسب الشهابيين إلى مالك الملقب بشهاب من سلالة مرة بن كعب الذي يعود نسبه إلى معد بن عدنان ومالك الملقب بالحرث أيضاً، أقره الخليفة عمر بن الخطاب أمير في حوران وقد انتقل بعشيرته إليها وحكم الشهابيون إقليم جبل لبنان وجبل الدروز. للمزيد من التفاصيل انظر الشدياق - أخبار الأعيان، ج١، ص٣٥. الدويهي - تاريخ الأزمنة، مجلة المشرق، م٤٤، بيروت، ١٩٥٠، ص٣٨٢. انظر أيضاً ملحق رقم (٤) عائلة أمراء الشهابيين حكام جبل لبنان في القرن الثامن عشر الميلادي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خط شريف، وكانوا ستة عشر ألفاً، وهم رجال أشداء في القتال لا يهابون الموت"[١]، وهو بذلك يشير إلى اشتهارهم بالشراسة والقتال، ويؤكد ذلك في موضع آخر بقوله: "وهذه الطائفة المشهورة من العساكر العثمانية كان قد خرج فرمان سلطاني بإبطالها... وإخراجها من رسم العساكر العثمانية، فخرجوا من بلاد الروم متفرقين في الأقطار، وجعلوا يتنقلون من ديار إلى ديار، ولم يبقَ منهم سوى ألف فارس بعد أن كانوا نيفاً على ستة عشر ألفاً"،[٢] وذكر أيضاً أن محمد باشا العظم والي الشام ١٧٧١-١٧٧٣م قد أدخل من تبقى منهم في خدمته، كذلك فقد اعتمد عليهم أحمد باشا الجزار والي صيدا عام ١٧٨٥-١٨٠٤م[٣]، ويروي "الأمير حيدر الشهابي" بإعجاب كيف تخلص بعضهم من كمين نصبه لهم مشايخ "ابي نكد"[٤]، في منطقة السعديات على مقربة من صيدا وهو يصف مقدرتهم على التخلص بالعبارات التالية: "حملوا بخيلهم حملة واحدة عليهم، ولم تعقهم تلك الصخور والمضيقات عن الوصول إليهم، فأدركوهم مثل السلاهب، وأذاقوهم شر المعاطب، حتى فرقوهم وقتلوا أكثرهم، وسقط مقدم المشايخ النكدية قتيلاً أبو فاعور"[٥]. وقد وجدت فرقة كبيرة منهم في "غزة"، وذكر ابن الصديق أن فرقة اللاوند في غزة قد طردت منها، بسبب قيام أهالي غزة على متسلمهم أبو مرق ومحاولتهم قتله، ولكنه هرب، وطردوا جميع اللاوند الذين لجأوا إلى قرى نابلس وهناك تعرض اللاوند إلى كمين ولم يبقَ منهم سوى أربعين أو خمسين خيالاً[٦].

جـ- الدالاتية[٧]:

ونلحظ أن الدالاتية كانوا خليط من الترك والكروات والبوسنيين والصرب[٨]، إضافة إلى

---

(١) الشهابي - تاريخ الأمير حيدر الشهابي، ج١-٣، ص٨٢٨.

(٢) الشهابي - لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ج١، ص١١٨.

(٣) الشهابي - تاريخ الأمير حيدر الشهابي، ج١-٣، ص٨٢٨، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ج١، ص١١٨.

(٤) عائلة درزية اشتهرت ببأسها وقوتها. عبد الغني - السلطة في بلاد الشام، ص١١٦.

(٥) الشهابي - لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ج١، ص١١٨-١١٩.

(٦) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٦٩.

(٧) الدالاتية: وهي كلمة عربية مشتقة من Delie، وكلمة دالي التركية ومعناها المتهور أو المجنون، وحرفت على ألسنة العامة فأصبحت تعرف بالدالاتية، وقد أطلق عليهم هذا الاسم لشجاعتهم واندفاعهم في القتال، وقد أنشئت هذه الفرقة لتكون في طليعة الجيش، ويبدو أن هذه القوات كانت هجومية، وكانوا على الأغلب خيالة. انظر الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٦٢-٦٣.

Rafeq, The Province of Damascus, P36.

(٨) الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عناصر من أجناس أخرى مثل العرب والبشناق، عرف قائدهم باسم "دالي باش"[١]، وكان لهم خان مثل خان اللاوند يقيمون فيه سمي بخان الدالاتية[٢]، وهناك إشارات إلى أن الدالاتية كانوا يتجمعون في قرية "رفينة" غرب مدينة حمص، ثم يأتون إلى والي دمشق ليعرضوا عليه خدماتهم[٣].

ويبدو أن الدالاتية كانوا من أكبر وأقوى القوات المرتزقة في دمشق، وقد أظهروا قدراً عالياً من الشجاعة والإقدام حتى التهور. إذ كانت هذه القوات بطبيعتها هجومية لذا نجد أن معظم الولاة في المدينة قد اعتمدوا عليهم في حملاتهم العسكرية التي كانوا يقيمون بها على الحكام المتمردين التابعين لهم كما حدث عام ١١٥٥هـ-١٧٤٢م عندما خرج سليمان باشا العظم لحصار قرية طبريا، كان معه عسكر كبير أكثره من الدالاتية[٤]، كما تم استخدامهم في حماية وحراسة قافلة الحج الشامي[٥]، ونظراً لأهمية هذا النوع من الجند فقد قام الولاة بتجنيد عدد كبير منهم للحد من نفوذ اليرلية. مثل أسعد باشا العظم، الذي قام بتجنيد أربعمائة من العسكر الدالاتية عام ١١٥٩هـ-١٧٤٦م، من أجل الاستعانة بهم على اليرلية[٦]، ويبدو من خلال ما ذكره البديري أيضاً أن أسعد باشا العظم قد استخدم الدالاتية في مواجهة اليرلية عدة مرات[٧]، ويضيف البديري أن ولاة دمشق كانوا يسارعون في تجنيد المزيد من هذه القوات في فترات مختلفة ويشير إلى ذلك بقوله: "وقد جاء صبيحة ذلك اليوم رجل من الأتراك ومعه نفر من الدالاتية، وقد كانوا في صيدا، فأرسل حضرة أسعد باشا يطلبهم ليخدموا عند متسلمهم في الشام، وهؤلاء كانوا أول من ضرب بالسيف، ونهب وسلب في حركة الزرب في الشام، وكان قائدهم يسمى عبد الله الترك"[٨]، ومن رؤسائهم أيضاً محمود آغا الذي كان آغة الدالاتية، الذي استطاع أن يقوي شوكته ويكثر من اتباعه[٩]. نلحظ مما سبق ازدياد عدد الدالاتية وبالتالي ازدياد قوتهم، حتى إن البديري وصفهم بـ: "أهل الكبر والجبروتية"[١٠] ، ويبدو أن ذلك قد أدى إلى انتشار الفساد في

---

(١) الدمشقي - "تاريخ بلاد الشام"، مجلة المشرق، ع٩، ١٩١٢، ص٦٢٢.

(٢) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٤٣.

(٣) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٤٨.

(٤) البديري - حوادث، ص٢٢.

(٥) المقار - الباشاة والقضاة، ص٥٨.

(٦) البديري - حوادث، ص٦٩.

(٧) المصدر نفسه، ص٨٧-٩٦-١٠٦.

(٨) نفسه، ص١١٨.

(٩) نفسه، ص٨٥.

(١٠) البديري - حوادث، ص٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صفوفهم، ودخلوا في صدامات متعددة مع القوات المرتزقة الأخرى المتواجدة في المدينة[١]، كما أنهم تمتعوا بسمعة سيئة، حتى في ميدان القتال، فقد خذلوا أسعد باشا العظم في حربه مع الدروز الذي أنّبهم قائلاً: "تباً لكم من أعوان، ولمن اتخذكم من أنصار، تأخذون العلايف والمال وتهربون من الحرب والقتال"[٢]. أما ابن الصديق فيشير إلى أنهم لم يمتثلوا لأوامر محمد باشا في معاونة أهل الشام في مقاتلة قوات ابي الذهب[٣]، كما أنهم لم يخرجوا من الخان لقتال ظاهر العمر[٤] إلا بعد أن نزل عليهم خليل بأمر من عثمان باشا وأخرجهم بالعصي وكذلك اللاوند، ويشير ابن الصديق إلى ذلك بقوله: "فطلع خليل باشا وراح إلى خان اللاوند وطالع اللاوند في العصاي، وكذلك الدالاتية"[٥]، أما زيهم فكان مميزاً تألف من جلود الدببة والأسود، وكانوا يلبسون على رؤوسهم القلنسوة، التي كانت تمتاز بشكلها الإسطواني وتنزلق على رؤوس هؤلاء الأجناد المحلوقي الرأس[٦]. وقد كانوا مثل غيرهم من القوات المرتزقة وراء كثير من مساوئ الأخلاق في دمشق[٧].

د- المغاربة:

أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى المغرب، والتي كانت تضم عناصر من جميع أنحاء المغرب طرابلس، تونس، الجزائر، مراكش. وقد تواجدوا في بلاد الشام منذ العهد المملوكي، واشتركوا في النشاط العسكري لصد الجيوش الغازية. وعدُّو من العسكر النظاميين المحترفين[٨]، وقد استمر استخدامهم في بلاد الشام في العهد العثماني. ونلحظ ازدياد الاعتماد عليهم في القرن الثامن عشر من قبل ولاة دمشق نظراً لضعف انكشارية الدولة، وأسهم في ذلك ازدياد تدفقهم بأعداد كبيرة عن طريق صيدا، حيث قَدِموا إلى بلاد الشام على شكل هجرات متعددة[٩]. ووجدت لهم عدة

---

(١) نفسه، ص٣١، ٣٢، ٤٧.

(٢) نفسه، ص٩٦.

(٣) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٤٤.

(٤) يرجع أصل ظاهر العمر الزيداني إلى الزيادنة، وهم احدى قبائل الطائف بالحجاز الذين هاجروا إلى بلاد الشام في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، نال ولاية طبريا والتزم أموالها من باشا صيدا، فلما استقر بها حصنها، ودعا أهلها إليها، واستخدم الجند وكثر أتباعه، وتحالف مع أقوى القبائل العربية وهم بنو صخر، وضم إليه المناطق حول طبريا، وعكا، وبلاد نابلس، وحيفا، وصفد ودخل في صراع مع ولاة الشام. انظر ميخائيل الصباغ - تاريخ الشيخ ظاهر العمر، ص١٥. انظر أيضاً خالد صافي - ظاهر العمر الزيداني، رسالة ماجستير، ١٩٩٧م. يني جرجي - ظاهر العمر، المقتطف، م٢٨، ج٤-٥-٦، ص٣١٧-٣٢٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٤.

(٦) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٤٨.

(٧) البديري - حوادث، ص٩٢.

(٨) علي أحمد - الأندلسيون والمغاربة، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(٩) Rafeq, The Province of Damascus, P40-14

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زوايا مثل الزاوية التي وجدت في دمشق، عرفت بزاوية المغاربة، تقع شمالي جامع الجراح[١]، كما وجدت لهم زوايا في القدس[٢] وطرابلس[٣]، وعرفت هذه التجمعات باسم المجاورين[٤]، كما وجد هؤلاء بكثرة في فلسطين، وقد أشار إلى ذلك التاجر الإنجليزي Sandys بقوله: "إنه أثناء مروره بفلسطين وجد أن كثيراً من سكانها من المغاربة الذين كانوا يتكتلون فيها في سبع طوائف على رأس كل طائفة زعيم يعرف "بالشيخ" وهؤلاء بدورهم يخضعون إلى شيخ أعلى عرف بشيخ المشايخ[٥]. وكذلك وجد في دمشق في القرن الثامن عشر سبع طوائف من المغاربة على رأس كل منها شيخ مسؤول أمام شيخ المشايخ الذي اعتبر الرئيس الأعلى للمغاربة في دمشق[٦]، وقد تم تصنيف هذه الطوائف حسب أماكن قدومها، وهي: الفاسية، والجزائرية، والطرابلسية، والدراوية، والمراكشية، والسوسية، والتونسية. وعملت هذه الطوائف في الحراسة مثل حراسة الخانات والحارات والأسواق[٧]، وفي خدمة البيوت مثل سعد الدين المغربي الذي كان خداماً عند بنت سليمان باشا العظم[٨]، إضافة إلى عملهم كبوابين، فمنهم من عمل بواباً عند مصطفى بك العظم[٩]، ويبدو أن وجودهم العسكري في دمشق في القرن الثامن عشر كان واضحاً وكان يقودهم الآغا، ويقيمون في خان خاص عرف باسمهم[١٠]، مثل طائفة اللاوند وطائفة الدالاتية، وكان أغلبهم مشاة، استخدمهم ولاة دمشق في حملاتهم العسكرية في القضاء على المتمردين، وفي جباية الأموال، وفي حماية قافلة الحج الشامي[١١]، ولم يقتصر استخدامهم على ولاة دمشق، فقد استخدم قسماً كبيراً منهم أمراء جبل لبنان، وظاهر العمر، وأحمد باشا الجزار وعلي بك في مصر،

---

(١) ابن طولون - أعلام الورى، ص١٠٢. Rafeq , The Province of Damascus,P39.

(٢) حيث يشير عبد الغني النابلسي أثناء زيارته للقدس عام ١١٠٥هـ-١٦٩٣م إلى جامع المغاربة انظر عبد الغني النابلسي - الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، ص٣٤٨.

(٣) Rafeq, The Province of Damascus, P39.

(٤) الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٦٤.

(٥) المرجع نفسه، ص٦٤.

(٦) رافق - مظاهر من الحياة العسكرية، ص٧٨، ١٤٢.

(٧) س٥١، ص١٩٢، ١٠ شعبان ١١٤١هـ / ١٧٢٨م.

(٨) البديري - حوادث، ص١٨١.

(٩) المصدر نفسه، ص١١٤.

(١٠) ابن كنان، المواكب الإسلامية، ج١، ص٥٠.

(١١) رافق - مظاهر من الحياة العسكرية، ص٧٩، ١٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر المؤرخون أن أحد مشايخ الدروز استأجر جنداً مغاربة من والي دمشق[١]، ويظهر أن هذه الطائفة من الجند قد اشتبكت أيضاً مع غيرها من طوائف المرتزقة الأخرى، مثل اللاوند[٢]، كما اشتبكت مع القابي قول، وفي بعض الأحيان مع والي دمشق، كما حدث عام ١١٦٩هـ-١٧٥٥م، عندما "هجمت المغاربة على الباشا "حسين باشا بن مكي"، ثم قوسوا على العوام، فقتلوا مقدار عشرة رجال وحرقوا أيضاً محلات"[٣]، وتشير المصادر إلى أن هؤلاء كانوا يقاتلون بعضهم البعض حين يلتقون على الجبهات[٤]، وهذا دليل على أن قوات المغاربة حفل سجلها أيضاً إلى جانب القوات المرتزقة الأخرى بالمشاكل والصدامات العديدة في دمشق.

هـ- التفنكجية[٥]:

وشكل هؤلاء صنفاً من الجند المشاة وكان لهم أوجاق خاص في دمشق، وكان يرأسهم تفنكجي باشي الذي كانوا يأتمرون بأمره، والذي كان بدوره يأتمر بأوامر الوالي[٦]، وإشارات البديري العديدة توضح أن أغلبهم كانوا من عناصر عراقية (بغداد- الموصل-كركوك)[٧]، ووجدت فرق عسكرية منهم أيضاً في حلب وطرابلس[٨]، وعمل هؤلاء في دمشق كشرطة، حيث كلفوا بمهمة حفظ الأمن داخل المدينة، وفي بعض الأحيان كلفوا بمهام عسكرية خارج المدينة مثل محاربة عثمان باشا لظاهر العمر والمتاولة[٩]، تم استخدامهم إلى جانب اللاوند والمغاربة.

وقد عرف عن هذه الطائفة من الجند الانضباط وإطاعة القوانين، وكلف بعضهم بقيادة قوات القابي قول في أوائل القرن الثامن عشر لفترة مؤقتة حتى يتم تعيين آغا جديد من استانبول[١٠]، على سبيل المثال عندما خرج حسين باشا والي الشام عام ١١٦٨هـ-١٧٥٤م إلى

---

(١) جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق١، ص٢٦٥.

(٢) البديري - حوادث، ص١٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١٩٨.

(٤) أنظر ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٤٥. انظر أيضاً الفصل الرابع.

(٥) التفنكجية: مشتقة من كلمة "التفنك" أي البارود وتعني حملة البنادق انظر البديري - حوادث، ص٨٥.

(٦) Rafeq, The Province of Damascus, P42.

(٧) أنظر البديري - حوادث، ص٢٠، ٨٥، ١١٧، ١٢٩، ١٤٨، ١٩٩، ٢٠٠. أنظر أيضاً ابن كنان - المواكب الإسلامية، ج١، ص٥٠.

(٨) عبد الغني - السلطة في بلاد الشام، ص١١٧.

(٩) ابن الصديق - غرائب البدائع، ص٦٢-٦٣-٦٤.

(١٠) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدورة للتحضير لقافلة الحج، "أوقف مصطفى آغا الزعفرنجي اختيار وكبير القبيقول تفنكجي باشي بباب السرايا"[١]، ويشير آغا العبد إلى أن التفنكجية قد عملوا مراسلين عند القضاة والمتسلمين في دمشق، وكانوا يحصلون على نقود مقابل خدماتهم، وأطلق عليها اسم الخدمة، ونستدل على ذلك من قوله: "إن ابن خير[٢] أرسل وراء المتسلم بواسطة التفنكجي، فلحقه التفنكجي، وطلب منه خدمة"[٣].

وقد وصل عدد هؤلاء عند والي دمشق مئة وخمسين تفنكجياً. ولدى والي طرابلس مئة تفنكجي أما في حلب مئتين - ثلاثمائة تفنكجي، وكان راتب التفنكجي "خمسين خرجاً من القهوة"[٤]. وعندما يترك هؤلاء أوجاقهم كانوا يبقون في دمشق ويحتفظون بألقابهم السابقة[٥]، وقد دخل هؤلاء في صدامات مع الأصناف الأخرى من الجند شأنهم شأن القوى المرتزقة الأخرى في المدينة[٦].

و- قوات إضافية:

إضافة إلى القوات العسكرية المرتزقة الخمس السابقة كان ولاة دمشق يستعينون في أوقات الأزمات بجند من أهالي القرى والمدن والقبائل البدوية والفصائل المقاتلة، التي تتبع بعض الأمراء المحليين مثل "المعنيين والشهابيين وبني سيفا وآل عساف وحرفوش والزيادنة"، ويلحظ البديري هذه الظاهرة عندما يسجل أمر سليمان باشا العظم عام ١١٥٦هـ-١٧٤٣م إلى جميع القرى المجاورة لدمشق، بأن يقدم كل منها عشرة أنفار للمساهمة إلى جانب الانكشارية في حفظ الأمن والنظام بعد خروجه لمقاتلة الدروز [٧]، وبعد ذلك بعدة سنوات حوالي عام ١١٦٠هـ-١٧٤٧م أراد والي دمشق أسعد باشا العظم القيام بحملة على جبل لبنان، "فكتب إلى حمص والمعرة والشام، بأن يمدوه بالرجال، وطلب من القرى المجاورة أن يقدم كل منها خمسة عشر نفراً، مع التكفل بتموينهم"[٨]،

---

(١) البديري - حوادث، ص١٩٩. العبد، قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص٨٢.

(٢) أحد زعماء البرلية.

(٣) العبد - قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ص١٠٧.

(٥) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ص٢٥٢.

(٦) أنظر البديري - حوادث، ص٢٠، ١٤٨.

(٧) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٨) نفسه، ص٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي عام ١١٦٦هـ-١٧٥٢م عندما توجه أسعد باشا إلى غزو عرب البلقاء أخذ معه من رجال القرى الفلاحين (ألف ومائة فلاح)، كما جلب عساكر من حمص وحماة والمعرة، وجلب الدروز والمتاولة من نابلس والقدس وصفد[١]. وفي الحالات الطارئة حمل سكان المدن السلاح للدفاع عن أنفسهم أو مدينتهم أو عن قافلة الحج الشامي إذا ما تعرضت للهجوم من قبل البدو[٢]. كما كان لشباب الأحياء في مدينة دمشق والحرفيين دور مهم في الدفاع عن المدينة كما حدث عندما زحفت قوات محمد أبي الذهب إلى دمشق عام ١١٨٥هـ-١٧٧١م[٣] وفي أثناء حملة الأمير بشير الشهابي وإبراهيم باشا المصري في القرن التاسع عشر.

ونلحظ أيضاً من المصادر المعاصرة للقرن الثامن عشر وجود فرق أخرى من المرتزقة في دمشق مثل السركشدية[٤] التي تردد ذكرها عند ابن كنان وتدل على الجند المتطوعة الذين أدخلهم قادة الانكشارية بعد ضعف الوجاق، وربما تكون فرقة من القبيقول وكذلك الهنود الذين أشار إليهم أيضاً ابن كنان كفرقة عسكرية، وكفئة كان يجمع منها العسكر، كما أشار إلى تجمعاتهم في خلوة القيشاني وجامع السنانية، وكان لهم أيضاً "زاوية قائمة ظاهر دمشق، محلة السويقة، والتي تولى أمرها هنود، وذكرت زاوية السنود بمحلة الهنود بدمشق، وربما كانت "زاوية الهنود وزاوية السنود"[٥].

ونلحظ أيضاً تردد ذكر الأرناؤوط[٦] ، ومما يبدو أن هؤلاء كانوا يشكلون فرقة عسكرية في دمشق، وكانوا يلبسون القلابق (نوع من ألبسة الرأس مدبب أسطواني مصنوع من الصوف)، تم استخدامهم من قبل ولاة دمشق مثل سليمان باشا العظم والي دمشق عام ١١٥٦هـ-١٧٤٣م

---

(١) البديري - حوادث، ص١٧٦.

(٢) مثل الهجوم الذي حدث على القافلة في عهد حسين باشا بن مكي. أنظر البديري حوادث، ص٢٠٦.

(٣) ابن الصديق، غرائب البدائع، ص٤٦، ٤٧، ٤٨.

(٤) أو "السركندية" وهذه الكلمة مأخوذة عن سرد نجسي (Serdengecti). أنظر ابن كنان - المواكب الإسلامية، ج١، ص٥١.

(٥) ابن كنان - المواكب الإسلامية، ج١، ص٨٦.

(٦) وهو شعب من الجنس الآري يعرفه الأوربيون باسم الألبان، وأصل اللفظ يرجع إلى بلاد "آبري" والتي يعرفها أهلها باسم أربونة (Arben)، وقد حرف الترك هذا اللفظ وصار يكتب كما ينطقه أهل استانبول "أرنؤود" أو "أرناؤوط". انظر العبد - قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، ص٦٦. عبد الغني - السلطة في بلاد الشام، (هامش) ص١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي استخدم حوالي خمسمائة رجل منهم[١]، وعبد الله باشا الشتجي عام ١١٧١هـ-١٧٥٧م الذي جند منهم حوالي عشرين بيرقاً[٢] كما اعتمد عليهم والي طرابلس ومتسلمه إبراهيم آغا سلطان[٣]. ووجدت طائفة من المرتزقة أطلق عليها "يمق". ويظهر أن غالبية أفرادها كانوا من أصحاب الحرف، وكانوا يلتحقون بالجيش ويساعدون جند الانكشارية[٤] ، وكذلك وجدت فرقة أخرى سميت باسم "الأرطلية" الذين اعتبروا من الجند المنتمين إلى أرط[٥]، كما وجدت فرقة من الجنود المأمورين أطلق عليهم أصبهانية[٦]، إضافة إلى فرقة سميت باسم إجار ليلر[٧]. ويمكن أن نضيف إلى تلك القوات المرتزقة المماليك الذين لعبوا دوراً مهماً في بلاد الشام. فقد اعتمد عليهم أحمد باشا الجزار بأعداد كبيرة عندما جمع بين ولايتي صيدا ودمشق لدعم سلطته، وكانوا على شكل مجموعات كل واحدة مستقلة عن الأخرى[٨].

من خلال استعراض القوى العسكرية في دمشق نلحظ تنوعها الواضح، والذي يظهر لنا مدى التغير الذي طرأ على بنية القوى العسكرية، وبالتالي توزعها وانتشارها. إن هذا التنوع يساعد في بيان أهمية بعض الفئات وتضاءل أهمية البعض الآخر، وهذا الجدول المرفق يرسم مؤشراً مهماً في هذا المجال، وقد تم استخراجه من كتاب البديري (حوادث دمشق اليومية)[٩]:

١- الإنكشارية اليرلية ورد ذكرهم في	٥٢ موضعاً
٢- الانكشارية القبيقول ورد ذكرهم في	٣٣ موضعاً
٣- العسكر الدالاتية ورد ذكرهم في	٢١ موضعاً
٤- اللاوند الأكراد ورد ذكرهم في	١٣ موضعاً

(١) البديري - حوادث، ص٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٢.

(٣) عبد الغني - السلطة في بلاد الشام، ص١١٨.

(٤) البديري - حوادث، ص١٧٧.

(٥) المصدر نفسه، ص١٠٢، ١٧٧، ١٨٢.

(٦) الخطيب - معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص٣٢.

(٧) المرجع نفسه، ص١٨.

(٨) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٥٩.

(٩) هذا الجدول استخرجه عبد الغني عماد من كتاب البديري (حوادث دمشق اليومية) وقد قمت بإضافة نوع آخر من العسكر لم يذكرهم عبد الغني عماد. أنظر عبد الغني - السلطة في بلاد الشام، ص١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- التفنكجية ورد ذكرهم في	٩ مواضع
٦- البغادة والموصلية ورد ذكرهم في	٧ مواضع
٧- المغاربة ورد ذكرهم في	٧ مواضع
٨- السباهية ورد ذكرهم في	٦ مواضع
٩- الأرطلية ورد ذكرهم في	٣ مواضع
١٠- الأرناؤوط ورد ذكرهم في	موضع واحد
١١- اليمق ورد ذكرهم في	موضع واحد

يتضح من الجدول السابق أن اليرلية والقبيقول قد احتلوا نسبة (٦٠,٣٧٪) من الأحداث التي شارك فيها العسكر في دمشق، في حين أن اليرلية وحدهم احتلوا حوالي (٣٧٪) من هذه الأحداث، أما بقية أصناف العسكر فقد شاركوا بأقل من ذلك. نستنتج من ذلك أن الساحة العسكرية لم تقتصر على الانكشارية اليرلية والقبيقول، اذ كان لأصناف العسكر الأخرى ظهور واضح بالرغم من استمرار تفوق الانكشارية بنوعيها عليهم في الأحداث التي شاركوا فيها.

ب : الأعيان[١]

يعد الأعيان فئة اجتماعية مهمة في مدينة دمشق، وقد تضمنت ثلاثة أصناف :

أولاً : العلماء: إذ شكل هؤلاء فئة مميزة من أصحاب النفوذ الديني، والتأثير السياسي في مجتمع مدينة دمشق[٢]، وكان العلماء معفين من دفع الضرائب، و لم تصادر ممتلكاتهم من قبل الدولة العثمانية، إضافة إلى عدم تطبيق عقوبات صارمة عليهم باعتبارهم من رجال الدين[٣].

ويظهر أن العلماء كانوا يعدون من أعضاء المؤسسة الدينية التي كانت تتألف من المفتي، والقاضي، ونواب القاضي، والمدرسين، والقائمين على المساجد[٤] وقد كان المفتي الرسمي في مدينة دمشق حنفيا[٥]، وهو المفتي العام بدمشق، وكان يتم تعينيه من قبل مفتي استانبول الذي كان يعد

---

(١) ربما يقصد بمصطلح الأعيان كبار الزعماء المحليين (الوجهاء) الذين كانوا يتمتعون بنفوذ سياسي كبير في المدينة.

(٢) سميليا نسكايا - البنى الاقتصادية والإجتماعية ، ص ٢٩٥.

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٩٥.

(٤) ابن كنان - المواكب الاسلامية ، ج١ ، ص٥٨ .

(٥) رافق - بلاد الشام ، ص٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعلى الموظفين الدينين ورئيس العلماء، ولقب بشيخ الإسلام[١] ومن مهامه الافتاء وأن يبدي رأيه في بعض الأمور التي تتطلب توضيحا[٢] ، وقد ذكرت المصادر التاريخية أسماء عدد من المفتين في القرن الثامن عشر مثل حامد العمادي، الذي شغل منصب الإفتاء في دمشق مدة أربعة وثلاثين عاما، وكان " يهابه الحكام ويحترمون ذاته وتكاتبه أعيان الدولة العلية ... وقد عزل عن الإفتاء مدة عشرة أشهر وعادت إليه[٣] ". أما القضاة فكان يرأسهم قاضي القضاة في دمشق، إذ كان يحظى بأهمية كبيرة، كما كان هناك قضاة للمذاهب الأربعة يتقدمهم القاضي الحنفي، وهو من الاتراك، ويعين لمدة سنة واحدة[٤] ومن وظائفه : النظر في الدعاوي، والفصل بين الخصوم، والاستماع إلى الشهود ومناقشتهم، وكان يبت في القضية بسرعة وينفذ الحكم في جلسة واحدة[٥] ، إضافة إلى أنه كان يشرف على عمل دفتردار مدينة دمشق، ويصادق على حساباته، ومراقبة الأسعار، ومكافحة الغلاء،وكان له نواب ينوبون عنه إثناء تغيبه، وأغلبهم من أصل محلي[٦] وكان قاضي القضاة يجلس في المحكمة الرئيسية التي عرفته باسم محكمة الباب الواقعة مقابل المدرسة النورية الكبرى[٧] كما وجد قاض عرف باسم القسام العسكري، يتم تعيينه من قاضي عسكر الأناضول، ويجلس في محكمة عرفت باسم محكمة القسمة العسكرية، وقد اختص هذا القاضي بشؤون ومخلفات وتركات العسكريين، كما وجد قاض يختص بتركات الدمشقيين عرف باسم القسام المدني[٨].

ويبدو أن العلماء قد عمدوا إلى تثبيت علاقتهم بالدولة العثمانية، وذلك عن طريق تثبيت نفوذهم في إستانبول، ويظهر أن بعضهم قد نجح في ذلك فعلى سبيل المثال تمكن أحمد الصديقي البكري[٩] من تولي قضاء المدينة المنورة، ثم قضاء الشام وقضاء بروسة ثم قضاء مكة

---

(١)رافق – بلاد الشام ، ص٨٢ . خالد زيادة – السلطة المدنية من خلال وثائق المحكمة الشرعية، المجلة التاريخية المغربية، ص٥١٤.

(٢) المرادي – سلك الدرر، ج٢ . ص ١١-١٩ ، البديري ، حوادث ، ص ٢٩ – ٣٠ .

(٣) المرادي – سلك الدرر ، ج٢ ، ص ١١ .

(٤) رافق – بلاد الشام، ص ٨٣ .

(٥) عبد العزيز عوض – الادارة العثمانية في ولاية سوريا ، ص ١١١.

(٦) رافق – بلاد الشام، ص ٨٢ – ٨٣.

(٧) المرجع نفسه ، ص ٨٣.

(٨) للمزيد عن المفتين والقضاة ونوابهم أنظر Rafeq, The Province of Damascus, pp 42-51.

(٩) المرادي – سلك الدرر ، ج١ ،ص١٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكرمة[١]. وكذلك خليل الصديقي البكري[٢] ترقى بالمناصب وحصل على رتبة الصحن وتولى فتوى الشام ثم قضاء طرابلس ودمشق ومكة والأستانة مع قضاء عسكر أناضولي[٣]. وبعضهم اشتهروا عند السلاطين العثمانيين مثل السيد محمد أفندي المرادي[٤] ، وعلي المرادي[٥] الذي "كاتبته الأعيان من سائر البلاد، لا سيما قسطنطينية... حتى السلطان مصطفى خان كان يراجعه ويطلب دعاه...، وكان يردع الحكام الظلمة عن دمشق، ويتكلم معهم كلاماً قاطعاً ولايمشون إلا على رأيه ومراده[٦]"، كما أن بعض العلماء قد نجح في التقرب من الحكام، وتمكنوا من تحقيق مكانة مهابة مثل حامد العمادي[٧] الذي كان " يهابه الحكام ويحترمون ذاته وتكاتبه أعيان الدولة العلية ". وكذلك أحمد الغزي[٨] "كان مقبول الشفاعة عند الحكام، كثير الوعظ إليهم، محترماً لديهم"[٩].

ويبدو أن ما تقدم لا ينطبق على جميع علماء القرن الثامن عشر، فبعضهم ابتعد عن الحكام ووقف ضدهم، واعتقد أن ذلك يعد صفة حميدة بالنسبة لهم، فقد قام أسعد البكري الصديقي بثورة ضد والي الشام سليمان باشا، والسبب في ذلك أنه أراد أخذ قرض من التجار وإحداث بعض المظالم[١٠]" ، ووقف إلى جانبه أسعد البكري الصديقي وعبد الرحمن القاري وسليمان بن إسماعيل المحاسني .

ويظهر أن الوالي استطاع الحصول على فرمان سلطاني بنفي هؤلاء إلى صيدا، إلى أن

---

(١) المرادي – سلك الدرر، ج١ ، ص ١٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٣ – ٨٥ .

(٣) نفسه ، ج٢ ، ص ٨٣ –٨٥ .

(٤) وهو جد المؤرخ محمد خليل المرادي صاحب سلك الدرر ، وكان من كبار العلماء والمتصوفة ، واشتهر كثيراً ، حتى إن السلطان العثماني محمود أرسل في طلبه وأكرمه وأمره بالحج نيابة عنه. أنظر المرادي – سلك الدرر ، ج٤ ، ص ١١٤ .

(٥) وهو مفتي الشام ، انظر عنه المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٢٢٠ .

(٧) نفسه ، ج٢ ، ص ١١ .

(٨) نفسه ، ج٢ ، ص ١١ .

(٩) مفتي الشافعية بدمشق ، انظر عنه المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١١٧ .

(١٠) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صدر العفو عنهم بموجب أمر من السلطان العثماني " وعند وصولهم إلى مدينة دمشق خرجت الناس العامة والخاصة، كبار وصغار إلى ملاقاتهم وصار لهم الاكرام"[١]. ويلحظ من النص السابق مدى الالتفاف الشعبي الذي أحاط بالعلماء، وربما يعود ذلك إلى بعد هؤلاء العلماء وعدم مخالطتهم الحكام فحظيوا باحترام كبير بين السكان المحليين في المدينة .

لقد وقع على كاهل العلماء مهمة التوسط بين السكان المحليين والحكام، كما حدث عام ١١٨٥ هـ / ١٧٧١م عند ما حاول محمد أبو الذهب احتلال مدينة دمشق، فأدى ذلك إلى فرار الوالي عثمان باشا الكرجي والقاضي وأغوات الانكشارية والمفتي وبعض العلماء، فكان على من تبقى من العلماء في المدينة أن يقوموا بدور الوسطاء، ويشير المرادي إلى ذلك بقوله "هاج الضعفاء بدمشق وذهبوا إلى العلماء ... وتوسلوا بهم أن يواجهوا – أبا الذهب – ويسلموه الشام، فخرج لملاقاته علي الطاغستاني ومفتي الشافعية بدمشق محمد شريف العامري وخطيب الجامع الأموي سليمان المحاسني[٢]".

ويبدو أن هذا الدور الوسيط للعلماء لم يتطور، ولم يكن هناك اعتراف بشكل دائم به، على الرغم من نجاحه، وربما يعود ذلك إلى صراع القوى ذات الطابع العسكري، وفوضى القرن الثامن عشر[٣]، ويبدو أن العلماء بقوا بعيدين عن المشاركة في شؤون السلطة رغم تعرضهم إلى التنكيل، والنفي، وكان بينهم من يتقرب إلى الولاة ويقدم الطاعة لهم[٤]، والدليل على ذلك ما حدث عام ١١٦١ هـ / ١٧٤٨ م، حيث دعاهم أسعد باشا العظم ليتسلموا المدينة بسبب توجهه للحج، فأجابوه قائلين : " يا أفندينا ... نحن أناس منا علماء ومنا فقراء ومنا مدرسون، وصنعتنا مطالعة الكتب وقراءتها ؟ فقال لهم : هذا قراركم، كيف وأنتم الأعيان، فقالوا : حاشا لله إنما أعيان الشام القابي قول . فقال لهم : هذا إقراركم وقد تحققهم بأن أعيانها والمحافظون لها القابي قول"[٥].

ويظهر من المصادر أن كبار العلماء كانوا ينحدرون من عائلات محلية ثرية، فإسماعيل

---

(١) انظر أيضاً ابن الصديق ، غرائب البدائع، ص ٥٠ .

(٢) المرادي : سلك الدرر ، ج١ ، ص ٥٥-٥٦ .

(٣) انظر الفصل الثاني من هذا البحث والفصل الرابع عن صراع القوى العسكرية.

(٤) عبد الغني – السلطة في بلاد الشام ، ص ١٩٨ .

(٥) البديري – حوادث ، ص ١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحاسني[١]، " كان له ثروة ومال وفير وكان والداه من اعيان التجار " اما بنو السفر جلاني فقد اشتهروا كاسرة تجار مشهورة بثرائها، فقد كانوا " أخيار التجار ورزقوا " الحظوة التامة في المال والأولاد ... واشتهر منن أولاده عبد الرحمن وعبد العزيز، وقد بلغ كل منهم الرفعة والسيادة والثروة وصارت لهم رتبة السليمانية المتعارفة[٢]". أما أسعد البكري فقد " تملك الأملاك والعقارات الوافرة وبنى الدار والجنينة في قرية جرمانا خارج دمشق، وأتقن بناءها وصار يذهب إلى هناك ويدعو الأحباب والأصحاب والأعيان، وكانت وقتها أحسن مكان يوجد في القرى"[٣]... أما المفتي حامد العمادي فقد " تملك من التوالي والوظائف والعقارات شيئا كثيرا، وكلما وقعت وظيفة يتخذها لولديه حسن وعبد الحميد، مع كثرة الأموال واتساع الدائرة، وحين توفي ذهبت جميع متروكاته، وولداه المذكورين توفيا بعد قليل[٤]"....

ويبدو أن العلماء في مدينة دمشق خلال فترة الدراسة قد تمكنوا من جمع ثرواتهم بشكل أساسي عن طريق التعامل بشئون الوقف، بصفتهم متولين وناظرين على الوقف[٥].

وتشير المصادر إلى حدوث تداخل بين فئة الأعيان والإنكشارية اليرلية، فقد تحول العديد من أفراد بعض العائلات العسكرية إلى علماء وأدباء مثل محمد الدمشقي، " فقد كان جده من أجاد جند الشام، ثم تنقلت به الأحوال حتى ولي محافظة دمشق ... وأصبح من مشاهير أعيانها وبنى الخان المعروف بسوق جقمق"[٦]. أما محمد الجاويش "كان والده من سباهية دمشق المشروطة بتماراتهم بخدمة ديوان سراية الحكم بدمشق، باشر والده الخدمة المذكورة ثم تركها وتبع الكسب الحلال[٧]، أما ولده " فقد نشأ متعلقاً بطلب العلم ... تفوق واشتهر بالفقه للتدريس في الجامع الأموي مدة تزيد على خمسة وعشرين عاماً"[٨].

---

(١) المرادي – سلك الدرر ، ج١ ، ص ٢٥٣ ، عبد الغني– السلطة في بلاد الشام ، ص ٢٠٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٥ .

(٣) نفسه ، ج١ ، ص ٢٢٣ .

(٤) نفسه ، ج٢ ، ص ١١ .

(٥) أنظر النشاط الاقتصادي للعسكر .

(٦) المرادي – سلك الدرر ، ج٤ ، ص ٢٣ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ١٦ .

(٨) نفسه ، ج٤ ، ص ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن العائلات العسكرية التي اشتهرت بالعلم والأدب في دمشق عائلة التركمان، منهم حسين بن حسن التركمان[١] الذي كان ينظم الشعر، وكان بينه وبين الادباء مراسلات ومطارحات شعرية[٢] إضافة إلى عائلة الكيواني التي خرج منها أجناد وأمراء، من أشهرهم أحمد الكيواني " أحد أعيان جند أوجاق اليرلية بدمشق ... وهو أديب وشاعر وصاحب خط جميل ... وغالباً كان جلوسه في حانوت بسوق الدرويشية، تجتمع عنده زمرة الأدباء[٣]، ومن الشخصيات العسكرية التي اهتمت بالعلم درويش آغا أوجاق اليرلية ورئيسهم وأحد أعيان جند دمشق. فقد كان " أديبا بارعا في العلوم له حفظ وتقبل تام ... لا سيما بفنون الادب والشعر ... وجمع كتباً نفيسة وتملكها، وكان محلة يحتوي على الأفاضل والأدباء والمطالعة والمطارحة الأدبية... وكانت أعيان دمشق تحبه ... بسبب كماله وحسن أخلاقه"[٤]...

ثانياً: الأغوات[٥] والزعماء السباهية:

يعد الأغوات أو ضباط الجيش، مع زعماء السباهية جزءا من مجموعات شبه عسكرية في مدينة دمشق، واعتبروا جزءا من التركيب العسكري العثماني[٦] ، وكان قائدهم "الآغا " يعين من "السردار" الأعلى أو آغا الانكشارية في إستانبول[٧].

ويبدو أن خضوع هؤلاء لسلطة الوالي قد ارتبط بمدى إغداقه المكافآت عليهم، وبمدى نفوذه في استانبول، حيث أنه تمكن في بعض الاحيان من تعيين من يراه مناسباً منهم مثل محمد باشا العظم والي دمشق عام ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م، الذي قام بعزل آغا وتعيين آغا جديد ويشير ابن الصديق إلى ذلك بقوله : " قام محمد باشا العظم وعمل ابن شبيب عصمان (عثمان) آغا آغة الينكجرية واليرلية، على جميع الاياباشية والجوربجية والأنفار ... وأمر له بفروة سمور من فراه بكمام كبار ... طالع فرمان ثاني[٨].

---

(١) المرادي – سلك الدرر، ج٢ ، ص ٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٦٣-٦٥.

(٣) نفسه ، ج١ ، ص ٩٨ .

(٤) نفسه، ج ٢ ، ص ١٠٨ .

(٥) مفردها آغا ، انظر ص٢ من هذا الفصل .

(٦) شيلشر – بعض مظاهر أحوال الاعيان، ص ٣٢٤ .

(٧) رافق – بلاد الشام ، ص٧٢ .

(٨) ابن الصديق – غرائب البدائع ، ص ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلحظ أن الأغوات كانوا من أهم الفئات الاجتماعية التي تكونت منها فئة الأعيان، نظرا للدور الذي لعبوه في مدينة دمشق في القرن الثامن عشر من النواحي الادارية والعسكرية، إذ كانوا يتمتعون بإمتيازات سياسية واقتصادية في مدينة دمشق والسناجق التابعة لها، وشكل بعضهم حاشيةوالي دمشق وأعضاء في ديوان الولاية وفي المناصب المختلفة[١] وتمكن هؤلاء من زيادة نفوذهم بحصولهم على الاقطاعات العديدة في دمشق فعلى سبيل المثال تمكن حسين مصلى الذي كان متزينا بزي الاجناد من الحصول على الاقطاعات في القرى[٢] ودرويش آغا اليرلية وأحد أعيان جند دمشق تولى بطريق المالكانه قرية معلولة النصارى وقرية عيتا وقرية غزة وقرية قبر الياس وغير ذلك من العقارات[٣] .

ونلحظ أيضا انضمام الأغوات لطوائف الحرف المختلفة أو في التجارة، وبشكل خاص في تجارة الحبوب[٤]، وقام العديد منهم باستئجار الاراضي وامتلاكها، ويعزى إهتمام الأغوات بالأرض والتجارة والحرف إلى الظروف الصعبة للدولة العثمانية، التي تمثلت في تدني قيمة النقد وارتفاع الأسعار وعجز رواتب الجند عن مواكبه الأسعار[٥]، لذلك إلتفت الأغوات إلى الاهتمام بالأرض والتجارة لتأمين حياتهم وتحقيق مستوى مرتفع من المعيشة، ورافق ذلك هجرة الفلاحين والبدو القادمين من حوران، وقبائل الاكراد القادمين من شرق الاناضول، بسبب عدم الاستقرار في القرية نتيجة لأعمال السلب التي كان يقوم بها البدو واعتداءاتهم على فلاحي قرى دمشق، وفرضهم الخاوات الى جانب مال الميري على الفلاحين مما دفع بالفلاحين إلى هجر قراهم والتوجه الى دمشق لطلب الامان، وعمل بعضهم أعوان الأغوات اليرلية بحي الميدان[٦]. ويشير الرحالة بوركهارت إلى ذلك بقوله : "قليلا ما نرى الفلاحين الذين ولدوا في قرية من حوران، يموتون فيها لكثرة ترحالهم كالبدو تقريبا فلا يستقرون في قرية حتى يمارس عليهم نوع من الاضطهاد والعسف، فيدفعهم ذلك للهجرة إلى قرية أخرى، وكثيرا ما لعب اضطهاد شيخ القرية دورا في

---

(١) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق ، ج١ ، ص ٢٢٦ .

(٢) المرادي - سلك الدرر ، ج٢ ، ص ٤٢ .

(٣) المصدر نفسه - ج٢ ، ص ١٠٧-١٠٨ .

(٤) انظر الفصل الخامس حيث سنتناول هذا الموضوع بالتفصيل .

(٥) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق ،ج١ ، ص ٢٢٧ .

(٦) فيليب شكري - طبيعة السلطة السياسية وتوزعها في دمشق، ص ٤٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الهجرة"[١].

وقد كان على كل قرية شيخ، ويترأس شيوخ القرى شخص أطلق عليه اسم " شيخ مشايخ القرى " اعترفت الدولة العثمانية بسلطته، وغالبا ما يكون من الاقطاعيين أو من رؤساء القبائل أو من زعماء السباهية أو آغا الانكشارية، حددت مهمته بجمع الضرائب للدولة من مشايخ القرى التابعين له تسانده في ذلك قوات عسكرية خاصة به[٢].

ويبدو أن الدولة العثمانية كانت تعتمد على الأغوات والزعما في دمشق لحماية طريق قوافل الحج من مكة إلى المدينة، ومنذ الربع الثاني من القرن السابع عشر بدأت بتعيين رؤساء هذه المجموعات شبه العسكرية أمراء للحج، وبالرغم من انتقال إمارة الحاج الشامي إلى والي دمشق عام ١١١٩ هـ - ١٧٠٨ م، إلا أن الدولة احتفظت بعلاقاتها مع هذه المجموعات، التي بقيت عنصرا أساسيا للسيطرة العثمانية على المناطق الواقعة جنوب دمشق بالسيطرة على الأراضي والقرى التابعة لمدينة دمشق مقابل تنظيم الأمن، وجمع الضرائب، ومهام الحماية[٣]، كما منحوا التزام أراضي زراعة الحبوب في جوار حمص وحماة، وعلى منحدرات جبال لبنان الشرقية، وفي البقاع، والسهول الواقعة جنوب وجنوب شرق دمشق، التي تعرف عامة باسم حوران[٤]، وكانت الأراضي الممنوحة لهم معفاة من الضرائب، كما كان فائض مزروعاتها تقدم كمكافأة من قبل الدولة للأغوات مقابل خدماتهم. وبذلك تمكنوا من السيطرة على أراضي حوران وفلاحيها، وبالتالي السيطرة على المصدر الرئيسي لتموين دمشق بالقمح[٥].

ومنذ القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر انتظمت الحاميات العسكرية المحلية واليرلية، انتظاما كليا اقتصاديا وسياسيا في شبكة العلاقات الاجتماعية، وبرز من هؤلاء عائلات احتلت مواقع الأعيان في مدينة دمشق، ومن أبرز العائلات التي كان ينتمي لها الأغوات:

---

(١) نعيسة - أوضاع الفلاحين في دمشق وصناجقها ، مجلة دراسات تاريخية ، السنة السابعة ، العدد ٢١،٢٢،١٩٨٦، ص ٦٢.

(٢) المرجع نفسه - ص ٤٨ .

(٣) وجيه الكوثراني - السلطة و المجتمع ، ص ٥٨ .

(٤) شيلشر _ بعض مظاهر أحوال الأعيان ، ص ٣٢٥ .

(٥) المصدر نفسه، ص٣٢٥ - ٣٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عائلة التركماني[١]، والبارودي[٢]، والمهايني[٣]، وبنوالحسيبي[٤]، وبنو الحباب[٥]، وبنو الصباغ[٦]، وبنو البعلبكي[٧]، والشملي[٨]، و شمدين[٩]، واليوسف[١٠]، وآل الدالاتي[١١].

ويبدو أن جميع هذه العائلات كانت تقطن في مناطق خارج مركز المدينة، أما في الشمال الشرقي، أو في الجنوب الغربي من أسوار المدينة ومعظمها كانت من أصل سوري محلي[١٢]، وتشير المصادر إلى أن الأغوات أرادوا إعلاء شأنهم الاجتماعي، وذلك من خلال مصاهرة تجار المدن و الأسر البارزة في مدينة دمشق مثل عبد الله الجركسي كان أحد أغوات أوجاق اليرلية، وكان أيضا جدّا للمفتي العام بدمشق محمد خليل المرادي، وكانت عائلة المرادي من أبرز العائلات التي اشتهرت بنفوذها في دمشق في القرن الثامن عشر . وكانت وفاته سنة أربعين ومائة وألف[١٣]، ونجد أن أكثر هؤلاء الأغوات ارتباطا بالسلطة المركزية في استانبول أغوات "القابي قول "، الذين كان يتم إرسالهم على رأس فرقهم العسكرية إلى دمشق بين فترة وأخرى، و لم يكن هؤلاء مستقرين بمدينة دمشق بل عدوا غرباء عن المدينة، بعكس أغوات الانكشارية اليرلية الذين استقروا داخل المدينة، وانضموا إلى السكان المحليين، وأصبحوا منهم، وسعوا دائما لتدعيم نفوذهم المحلي . وكان الآغاوات يجندون أتباعهم من العناصر المحلية في دمشق، وأصبحت العضوية والرتبة العسكرية " الآغا " وراثية في الأوجاق[١٤].

---

(١) المرادي _ سلك الدرر ، ج٤ ، ص ٩٠ .

(٢) الحصني _ منتخبات التواريخ لدمشق ، ج ١-٣ ، ص ٨٦٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٨٦٣ -٨٦٤ .

(٤) نفسه ، ص ٨٢٨ .

(٥) نفسه ، ص ٨٦٤ .

(٦) نفسه ، ص ٨٦٤ .

(٧) نفسه ، ص ٨٦٤ .

(٨) نفسه ، ص ٨٨٤ .

(٩) نفسه ، ص ٨٩٩ .

(١٠) نفسه ، ص ٨٥١ .

(١١) نفسه ، ص ٨٦٢ .

(١٢) سميليا نسكايا - البنى الاقتصادية و الاجتماعية ، ص ٢٤٨ .

(١٣) المرادي _ سلك الدرر ، ج ٤ ، ص ٩٠ .

(١٤) فيليب _ طبيعة السلطة السياسية وتوزعها في دمشق، ص٤٤٨ . نعيسة مجتمع مدينة دمشق ، ص ٢٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلحظ ذلك من خلال الاطلاع على السجلات الشرعية لدمشق فمثلا محمد آغا بن مرتضى آغا دزدار قلعة دمشق[١] وأحمد آغا بن شاهين آغا[٢]، وأحمد آغا بن محمد آغا بن عمر الزعيم[٣]، وحسين آغا بن عمر آغا بن حسن آغا بن علي جلبي بن مصطفى كتخدا[٤].

وكان لأغوات الانكشارية بلاطهم الخاص بهم، فأحاطوا أنفسهم بالأنصار والمؤيدين، وفرضوا نفوذهم على سكان المدن، وبسطوا حمايتهم على فئات منهم لقاء مبالغ نقدية ويحدد بودمان المبالغ المذكورة ما بين عشرين قرشاً وألفي قرش سنويا[٥].

ولم يكن كل آغا انكشاري في القرن الثامن عشر يشغل منصب ضابط، فكثير من قادة الانكشارية المسجلين في الأوجاق كانوا زعماء أحياء أو أسواق تبعا لثرواتهم ومكانتهم، " فأحمد بشة بن القلطقجي " وأتباعه، مثل محمد آغا بن دالي، وبن بكماز، وكذلك " عبد الله بن حمزة " وجماعته، وكمال خليل وعنبر بشة، وأحمد بشة دقماق، وكذلك القادري الشوربجي، أما "مصطفى آغا خضري " فقد كان يتمتع بنفوذ كبير في حي الميدان، " حتى سمى نفسه سلطان الشام، وعنده زمرة من الأشقياء يتقوى بهم، وبها أيضا أولاد الدرزي أحمد آغا، وخليل آغا ولهم بها دولة وصوله"[٦].

يتضح مما سبق أن أغوات الانكشارية عند التحاقهم بالأوجاق، وبالإعتماد على قوتهم العسكرية وصلاحياتهم المكتسبة، كانوا يتمتعون بنفوذ واسع خارج إطار الوجاق، وحيث كان الانكشارية يجندون بعض السكان المحليين من هذه الزاوية، ارتبطت سلطة الانكشارية بالظروف السياسية[٧]. وقد بلغ من انخراطهم في حياة معظم فئات المدينة أن كثيراً من العائلات في مدينة دمشق، قد تشبهت بهؤلاء العسكر من حيث زيهم مثل حسين بن مصلى الدمشقي الذي كان جنديا متزينا بزي الأجناد، " وأقاربه كلهم أجناد وزعماء وسباهية في أوجاق السلطان ولهم

---

(١) س ٢٥ ، ص ٥٨ ، ٥ رجب ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م.

(٢) س ٢٨ ، ص ١٦٦ ، ١٢ صفر ١١١٨ هـ / ١٧٠٦ م.

(٣) س ١٠٥ ، ص ٥٠ ، ٣ ذو القعدة ١١٥٤ هـ / ١٧٤١ م.

(٤) س ١٤٣ ، ص ٢١١ ، ١٢ شعبان ١١٦٦ هـ / ١٧٥٢ م.

(٥) Bodman . Political Faction In Aleppo .P 59 .

(٦) البديري _ حوادث ، ص ٦٧ ، ١١٦ ، ٢٢٨ .

(٧) سميليا نسكايا _ البنى الاقتصادية و الاجتماعية ، ص ٢٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إقطاعا من القرى"[١]، وحسين بن موسى المشهور بابن حسن التركماني، كان من كبراء الجند وأعيان وجاق الانكشارية اليرلية وأسلافه ولواحقهم وأتباعهم يقاربون ربع العسكر[٢]، وكذلك عبد الله الجركسي الذي كان آغا اليرلية وابنه مصطفى الترزي كان في أول أمره باش جاوش في أوجاق اليرلية[٣]، ويبدو أن آغاوات الانكشارية لم يكونوا على درجة واحدة من الثقافة والعلم، فمثلا أحمد السلامي بن أغريبوزي الذي كان أحد أعيان جند دمشق كان " أديبا نحويا صوفيا بارعا له شرح على الشاهدي، أما أحمد الكيواني الشهير بالكيواني فقد كان أديبا شاعرا وكاتباً"[٤] له يد طولى في العلوم وفنون الأدب ومهارة تامة خصوصا بالإنشاء والنظم والنثر وبراعة في الكتابة"[٥]، وكذلك محمد الدمشقي " الأديب الكاتب البارع، كان له معرفة بالتركية والإنشاء والعربية"[٦]، ومن الواضح أن الآغاوات وزعما السباهية كانوا يسعون إلى جمع المال وتركيز الثروة والسلطة بأيديهم، وآثارهم تدل على المستوى المادي الذي تمكن هؤلاء من الوصول إليه كامتلاكهم القصور سواء في داخل المدينة أم خارجها[٧]، وكانت قصورهم بمثابة منازل للضيافة[٨].

ثالثاً: الأشراف[٩]:

وكان يشار للواحد منهم بلقب السيد، وميز بالعمامة الخضراء[١٠]، وقد تمتع هؤلاء بامتيازات قانونية واقتصادية خصتهم بها الدولة العثمانية، لكونهم يتمتعون بمكانة اجتماعية خاصة

---

(١) المرادي - سلك الدرر ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

(٢) المصدر نفسه، ج ٢ ، ص ٦٣ .

(٣) نفسه ، ج ٤ ، ص ١٦٦ .

(٤) نفسه ،ج ١ ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٥) نفسه، ج ١ ، ص ٩٧ .

(٦) نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٣ .

(٧) انظر الفصل الخامس .

(٨) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

(٩) الأشراف هي إحدى التسميات التي أطلقت اصطلاحا على أحفاد النبي محمد (ص) و لإن شرف هذه العلاقة تتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل ، لذلك فقد زاد عدد حاملي هذا اللقب في الامبراطورية العثمانية، انظر جب وبوون - المجتمع الاسلامي ، ج ١ ، ق ٢، ص ١١٠ .

(١٠) رافق - بلاد الشام ،ص ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المجتمع الدمشقي، كان من أهمها إستثنائهم من الخدمة العسكرية، وتمتعوا بريع ممتلكات خاصة أوقفت على شرفهم،كما خصتهم ببعض الإقطاعات،إضافة إلى تسلمهم منحا من السلطان العثماني في وقت الحج، كما أنهم لم يخضعوا لسلطة المحاكم العثمانية في دمشق فيما يختص بأمورهم الشخصية، بل إنهم أعفوا من ذلك، وكانوا يخضعون للمحاكمة من قبل نقيبهم[١].

وقد عد النقيب رئيسا للأشراف، يمثلهم لدى السلطان، وكان يعين في منصبه سنويا من قبل نقيب الأشراف في استانبول[٢]، وبلغ عدد العائلات الشريفة في مدينة دمشق أكثر من ست وعشرين عائلة، إضافة إلى عائلات شريفة وفدت إلى دمشق واستقرت فيها بعد أن ثبت انتماؤها الشريف، وكانت من المغرب العربي وبعض الاقطار الإسلامية الأخرى[٣].

ويبدو أن بعض هذه العائلات كانت تتمتع بحق في الشرافة أكثر من بعضها الآخر، فأفراد نصف هذه العائلات كانت تعرف " بالحسيني " نسبة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أو إلى " الحسني " نسبة إلى الحسن، أي أنهم أرادوا الانتساب إلى الرسول محمد عن طريق أحفاده من ناحية الأب، ومن تلك العائلات (الألفي، العجلاني، العاني، الحجار، الحصني، حمزة، زين العابدين، دقاق الدودة، دسوقي،كيلاني، مرادي، مرتضى، منير، السرميني، البهنسي، وموقع)[٤].

ويظهر أن بعض العائلات التي استقرت في دمشق، ادعت لنفسها الشرف المكتسب عن طريق الأم الشريفة، وتطالعنا سجلات محكمة دمشق بأسماء هذه العائلات، مثل عائلة الطيلوني، وقزيها، والدقر، والحمصي، والزلعة، والعلبي، والعطار، والأيوبي، والشاهين[٥].

أما سلطات نقيب الأشراف فقد كانت كالتالي : " حفظ أنسالهم وتمييز بطونهم ومعرفة من ولد منهم (ذكر أم أنثى)، وإجبارهم على السلوك الذي ينسجم مع سمو نسبهم وتنزيههم

---

(١) شيلشر - بعض مظاهر أحوال الاعيان ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٢) وكان شاغل منصب نقيب الأشراف يعين أو يعاد تعينيه من قبل النقيب في إستانبول وكان على من يعين أو يعاد تعينيه أن يدفع مبلغ من المال قدر بحوالي أربعين ألف بارة لهذا المنصب الكبير مضافا اليه هدايا سنوية. أنظر جب وبوون - المجتمع الاسلامي ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١١٨ . الصفصافي - الدولة العثمانية والولايات العربية، ص٣٢٥.

(٣) عبد الغني - السلطة في بلاد الشام ، ص ٢١٠ .

(٤) شليشر - بعض مظاهر أحوال الأعيان ، ص ٣٢٨ .

(٥) عبد الغني - السلطة في بلاد الشام ، ص ٢١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن المكاسب الدنيئة، ومنعهم من المطالب الخبيثة وكفهم عن ارتكاب المآثم وانتهاك الحرمات، ومنعهم من التسلط على العامة كي لا تكرههم .

واستعطافهم في استيفاء حقوقهم فيها،واستيفاء حقوقا منهم، وأن ينوب عنهم في استيفاء حقوقهم من بيت المال، ويراعي قسمها بينهم بحسب الشروط والأوصاف المرعية، وأن يمنع زواج نسائهم إلا من الأكفاء لشرفهن، وأن يقوم ذو الهفوات ويقوم بالفصل في منازعاتهم، ويتولى أوقافهم فيما ملكوه وإقامة الحدود عليهم فيما يرتكبون، وتزويج الأيامى اللواتي ليس لهن أولياء، ويوقع الحجر على من يصاب بالعته منهم" [١]. وقد يجمع النقيب أيضاً بين منصبه ومنصب مفتي الحنفية مثل آل حمزة في الشام والمؤرخ المرادي نفسه[٢].

ويبدو أن كثيرا من الأشراف قد انخرطوا مع الانكشارية اليرلية في مدينة دمشق، واكتسب الكثير منهم الأسماء العسكرية، وخاضوا الصراعات إلى جانب اليرلية ضد القابي قول[٣].

وتشير السجلات الشرعية في مدينة دمشق في القرن الثامن عشر إلى أن الأشراف قد تولوا المناصب الدينية، وتميزوا بملكيات واسعة وتولوا الأوقاف، فعلى سبيل المثال كان السيد محمد آغا ابن مصطفى أفندي وصياً على أوقاف السلطان سليمان خان[٤]، أما السيد محمد آغا عثمان كتخدا فقد كان متوليا على وقف راغب بيك الكائن ظاهر دمشق (خارج سور دمشق) بالقرب من باب السلام[٥].

واتجه بعضهم إلى استثمار الوقف، فقاموا باستئجاره، فقد استأجر السيد أحمد بن الحاج منصور الصغير وولده السيد منصور بن آغا بن عبد الله المتولي على وقف جده درويش باشا ما هو جار في الوقف بمبلغ قدره ألف قرش واحدة وسبعمائة وقرش فضة[٦].

ويظهر أيضا من خلال السجلات الشرعية أن الأشراف قد عمل بعضهم في التجارة وفي

---

(١) البيطار - حلية البشر ، ج ٢ ، ص ١٠٤٣ -١٠٤٤ .

(٢) جب وبوون - المجتمع الإسلامي، ج١، ق٢، ص١١٩ .

(٣) انظر الفصل الرابع من هذا البحث .

(٤) س ٢٥ ، ص ١٠٨ ، ٥ رمضان ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م .

(٥) س ٢٨ ، ص ١٧١ ، ١٠ ربيع الأول ١١١٨ هـ / ١٧٠٦ م .

(٦) س ١٧٥ ، ص ٩٧ ، ٢٠ ربيع الثاني ١١٧٩ هـ / ١٧٦٥ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المهن الأخرى[١]، وكان لهم تأثير واسع الإنتشار في مختلف انحاء مدينة دمشق، وأقاموا في جنوب وشمال دمشق، وفي داخل وخارج سور المدينة، وأصبح بعضهم علماء مثل (أسرة مرادي، عجلاني، السرميني، منير) وقد شغل هؤلاء منصب المفتي أو النائب، وبعضهم الآخر وصلوا إلى منصب الشيخ في المدارس الصوفية[٢].

نستنج مما تقدم أن أشراف دمشق قد تمتعوا بامتيازات دينية واجتماعية واقتصادية، إضافة إلى بروز دورهم السياسي في مدينة دمشق خاصة في فترات ضعف اليرلية[٣]، وغالبا ما كان هؤلاء انكشارية دمشقيون، أمام منافسة القابي قول والولاة في القرن الثامن عشر.

ومع ذلك لم يستطع الأشراف في دمشق أن يلعبوا الدور الذي لعبه أشراف حلب، ففي حلب شكل الاشراف الخط المدافع القوي عن المصالح المحلية للسكان اتجاه سلطة الانكشارية في القلعة، التي كانت تستمد قوتها من عاصمة الدولة العثمانية لقربها منها، ولكونها تقع على طريق الإمدادات العسكرية للجبهة الفارسية، وهذا ما يفسر لنا قوة السلطة المحلية، الأمر الذي دفع الأهالي إلى إيجاد من يدافع عنهم في وجه السلطة، تمثلت بالأشراف والتي كثر عددها في حلب[٤]، أما في مدينة دمشق فقد اختلف الوضع لأن دمشق أبعد عن السلطة المركزية في إستانبول، كما أنها ليست قريبة من أية جبهة حرب، إضافة إلى أن سكان دمشق وجدوا في طائفة الانكشارية اليرلية متنفسا لهم، لذلك يمكن القول إن دور الأشراف في مدينة دمشق كان ثانوياً. وقد حاول كل من الانكشارية في حلب، والقابي قول في مدينة دمشق التقليل من أهمية الأشراف، حتى إنهم كانوا في حلب " يدخلون رأس الكلب في بطيخة خضراء فارغة، ويرسلونه في الأسواق، والشوارع، ووراء واحد منهم ينادي بقوله تنحوا عن طريق السيد، وفي مدينة دمشق قالت القابي قول " إن قتلة الشريف قيمتها أخشاية (أقجة) ".[٥]

---

(١) وذلك من خلال انضمامهم إلى اليرلية ، فعملوا في مجال النشاط الاقتصادي للعسكر ، انظر جب وبوون - المجتمع الاسلامي ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١١٠ .

(٢) شليشر - بعض مظاهر أحوال الأعيان ، ص ٣٢٩ .

(٣) انظر رافق - بلاد الشام، ص ٢٢٠ .

(٤) للمزيد عن دور الأشراف في حلب انظر Bodman , Political Factions In Aleppo, PP .79 –102 .

(٥) البديري - حوادث، ص١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ- الأعراب في دمشق : [١]

كان للأوضاع الخارجية والداخلية للدولة العثمانية[٢] دور مهم في عجز ولاة دمشق الذين أعقبوا نصوح باشا في تحقيق الأمن والإستقرار، فانعدم الأمن وازداد تحرك القبائل البدوية، ومن أبرز القبائل البدوية التي أحاطت بدمشق والمناطق التابعة لها : الفحيلي، والسردية، وبنو صخر، والسرحان، وعرب اللجاة " السلوط"[٣]، ويبدو أن هذه القبائل كانت تعد من القبائل الصغيرة التي كانت تتجول في أراضي حوران واللجاة وشرقي الأردن، فبنو صخر كانوا يتجولون بالقرب من سفوح جبال البلقاء، أما السرحان فقد تجمعوا بالقرب من الفحيلي والسردية والعيسى. ووجد حلف فيما بعد بين هذه القبائل، وسميوا (بأهل الديار) لإنهم كانوا يدفعون الضريبة لوالي دمشق[٤]، كما وجدت قبائل الفضل في الجولان وهذه القبيلة تنسب إلى طي من كهلان القحطانية، وكان هؤلاء ثلاثة أفخاذ هي : آل فضل بن ربيعة، وآل مرة، وآل علي، ووجدت لهؤلاء منازل في مرج دمشق وغوطتها[٥].

وخلال القرن الثامن عشر شهدت بلاد الشام حدوث تطورات مهمة على صعيد تحرك القبائل البدوية وتنافسها على السلطة في الصحراء السورية (بادية الشام) . وبسبب تلك التطورات هاجرت قبيلة عنزة[٦] من موطنها الأصلي بين أواسط نجد وشمالي الحجاز إلى بلاد الشام خلال القرن السابع عشر والثامن عشر بسبب الجدب والضيق، ثم بسبب ضغط الحركة الوهابية التي اشتدت قوتها في الجزيرة العربية لاحقا، وتم ذلك على شكل هجرات متتابعة[٧].

---

(١) ابن كنان - المواكب الاسلامية ، ج ١ ، ص ٦٣ .

(٢) انظر الفصل الثالث من الرسالة .

(٣) زكريا - عشائر الشام ، ج ١- ٢ ، ص ٤٠٢ . نعيسة - مجتمع مدينة دمشق ، ج ١ ، ص ٣٢٧ .

(٤) زكريا - عشائر الشام ، ج ١ ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٥) المرجع نفسه ، ج ١-٢، ص ٣٩٢ .

(٦)" التي تنسب إلى عنز بن وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان " وهي من أعظم القبائل العدنانية و العربية عددا و أعلاها شأنا و أمتعها جانبا و أكثرها انتشارا ، و ألحق بهذه القبيلة عدد من العشائر العربية الصغيرة أطلق عليها اسم " المحلف " أو (الأمحلف) . أنظر زكريا - عشائر الشام ، ج٢ ، ص ١٢ ، نعيسة - مجتمع مدينة دمشق ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(٧) زكريا - عشائر الشام ، ج ١ - ٢ ، ص ٣٥٧ ، ج ٢ ، ص ١٦ . جب وبوون - المجتمع الاسلامي ، ج ٢ ، ص ٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد شكلت القبائل العربية المقيمة في بادية الشام حلفاً بدوياً مؤلفاً من عشائر تدعى (أهل الشمال) هي السردية، والسرحان، والعيسى، والفحيلية بزعامة السردية لمقاومة قبيلة عنزة[١]. فاصطدمت قبيلة عنزة بقبيلة السرحان في منطقة الجوف وتمكنت من هزيمتها وإرجاعها إلى حوران، وهزمت قبيلة بني صخر التي جاءت لنجدة السرحان، ونزحت قبيلة السرحان وبني صخر إلى البلقاء في شرقي الأردن وتبعهم العنزيون وتمكنوا من دحرهم، وبذلك تمكن العنزيون من إضعاف حلف " أهل الشمال " المكون من السردية والسرحان والعيسى والفحيلية، كما تمكنوا من السيطرة على زعامة المنطقة بين دمشق وحوران إلى وادي السرحان والجوف، وفي أواسط القرن الثامن عشر قطعت قبيلة عنزة الطريق بين الموالي والفرات واتجهت غربا نحو حمص وحماة، ونازعت الموالي ودحرتهم وأجبرتهم على التراجع نحو معرة النعمان . وفي تلك الفترة وجدت قبيلة شمر التي خرجت من نجد لنفس السبب الذي خرجت من أجله قبيلة عنزة وهو الجدب والضيق وضغط الحركة الوهابية، ووصلت إلى منطقة الوديان كوادي حوران وبدأ التزاحم بين قبيلة عنزة وقبيلة شمر على المراعي في أنحاء جبل بشرى والعمور، وإزاء ذلك اضطرت قبيلة شمر إلى عبور الفرات والانتقال للإستقرار في الجزيرة الفراتية، وهكذا تمكنت عنزة من أن تصبح سيدة بادية الشام بدون منازع حتى وادي الفرات[٢].

أما الدولة العثمانية فقد رأت أنه لا بد من إقرار الوضع وتحويله لصالحها، فخلعت على رؤساء قبيلة عنزة لقب بك، وكلفتهم بمهمة حراسة حدود الصحراء بين حلب ودمشق، ومقابل ذلك سمح لهم بفرض رسوم على القوافل، وفرض مغارم على حماة ومدن أخرى[٣].

ويبدوأن الدولة العثمانية لم تكتف بذلك بل أرادت إخضاع القبائل البدوية في ولاية دمشق، ولا سيما القائمين على طرق المواصلات الرئيسية إلى مصر، والديار المقدسة في الحجاز، إذ أن مهاجمتهم لقوافل المسافرين والتجار، ولقافلة الحج، كان يهز سمعة الدولة، ويثير الأهالي عليها، لا سيما أن تلك القبائل كانت تسيء أحياناً للحجاج إساءات بالغة، بأن تسمم برك الماء في طريق الحج[٤]، إضافة إلى سلبهم ونهبهم وقتل أفرادهم . ونجد أن هجوم البدو على قافلة الحج

---

(١) زكريا - عشائر الشام ، ج ٢ ، ص ١٧-١٨ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) جب وبوون - المجتمع الاسلامي ، ج ٢ ، ص ٥١ .

(٤) رافق - بلاد الشام ، ص ١٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد إزداد خاصة في النصف الأول من القرن الثامن عشر، إذ أن كارل بربير يقدرها بتسعة عشر هجوما في النصف الأول من القرن الثامن عشر، مقابل ثلاث هجومات فقط في القرن السابع عشر[١]، ويقدرها رافق بسبع مرات[٢]، ويمكن تعليل تلك الزيادة في الهجمات في النصف الأول من القرن الثامن عشر إلى أسباب اقتصادية وأسباب خارجية تتعلق بالدولة العثمانية إضافة إلى أن عرب ولاية الشام وقعوا بين تحرك القبائل العربية، والتركمانية، والكردية في الشمال باتجاه الجنوب. وحركة القبائل العربية (العنزة) من شمال شبه الجزيرة العربية (أي من جنوب بلاد الشام إلى شمالها) (وقد أشرت إلى سبب تحركها سابقا)، ففي عام ١٠٨١ هـ / ١٦٧٠-١٦٧١م تعرضت قافلة الحج الشامي إلى هجوم من قبل عرب ابن الرشيد في مدائن صالح، وسدوا على الحج الآبار[٣]، وفي عام ١٠٨٤ هـ / ١٦٧٣ -١٦٧٤ م تكرر الهجوم[٤]، وفي عام ١١٠٢هـ /١٦٩٠ م انتهب ثلث الحاج[٥]، وفي ١١١٠هـ /١٦٩٨ م -١٦٩٩ م" أخذ العرب الجردة كلها"[٦]، وأدى هجوم عام ١١١٢هـ / ١٧٠٠ - ١٧٠١ م إلى إبادة القافلة بكاملها تقريبا[٧]، وكذلك في عام ١١١٣هـ /١٧٠١-١٧٠٢ م، وكان سبب الهجوم عدم إعطاء الصدر لأحد الزعماء البدو، وقد نتج عن ذلك خسارة بشرية ومالية كبيرة[٨].

وفي عام ١١١٦ هـ / ١٧٠٤-١٧٠٥ م أراد الوالي حسين باشا الأشقر مقاتلة كليب شيخ عربان الشام وتأديبه، لأنه لم يحفظ العهد ويحافظ على القافلة، إلا أن كليباً قتل الوالي ونهب العسكر، ويقدر ابن كنان عدده بعشرة آلاف[٩]. فنودي بالنفير العام، وخرج أهل دمشق بعلمائهم وعوامهم للقتال لأنهم كانوا يشعرون بأنهم مسؤولون عن قافلة الحج، مثل مسؤولية السلطة، ويبدوأن ذلك لم يضع حدا لمنع الهجوم على قافلة الحج ففي عام ١١١٨ هـ / ١٧٠٦-

---

(١) Barbir - Karl, P .175

(٢) رافق - قافلة الحج الشامي ، ص ١٩٧ .

(٣) المقار - الباشاة و القضاة ، ص٤٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤١ .

(٥) نفسه ، ص ٤٧ .

(٦) ابن كنان - المواكب الاسلامية ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٧) ابن كنان - الحوادث اليومية ، ج ١ ، ص ١٩ ب ، ٢٠ أ ، ٢٠ ب .

(٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٣أ ، ٢٣ب ، ٢٦أ ، ٢٦ب .

(٩) ابن كنان _ المواكب الاسلامية ، ج ١ ، ص ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٧٠٧م، عادت القبائل البدوية ونهبت الجردة[١]، إلا أن سليمان باشا والي دمشق سعى إلى عقد صلات طيبة مع كليب، وصدر عفو من الدولة عنه، وعندما أصبح نصوح باشا واليا على دمشق عمل على قتله وحارب الأعراب في مراكزهم التي تحصنوا بها كعرابة والكرك، ومع ذلك بقي الأعراب يشكلوا عنصر مضايقة، فقد نهبوا جزءا من الحج عام ١١٢٢هـ / ١٧١٠-١٧١١م، وهدأت أحوالهم لفترة من الزمن إلا أنهم عادوا لنهب الجردة عام ١١٣٣ هـ / ١٧٢١م، وفي عام ١١٣٦هـ / ١٧٢٣م خرج الأعراب وهاجموا الجردة، إلا أن اسماعيل باشا تمكن من الانتصار عليهم[٢].

حاولت الدولة العثمانية اتباع سياسة لاحتواء القبائل البدوية وإخضاعها، كان أساسها مهادنتهم واسترضائهم، فعينت عليهم فردا منهم أطلقت عليه اسم " شيخ عربان الشام " حتى يكون صلة الوصل بينها وبين تلك القبائل المتعددة . كما أنها سجلت أسماء تلك القبائل وحددت أماكنها، وفرضت على بعضها مالا . وقامت الدولة بدفع مبالغ من المال كل عام لمشايخ البدو المسيطرين على طريق الحج، وتسمى هذه المبالغ بالصر (وأحيانا بالصرة) [٣]، والهدف من ذلك تأمين سلامة الحج، وضمان عدم هجوم البدو عليه، وتقديم المساعدة من قبل البدو للقافلة في معرفة الطريق في الصحراء (أي العمل كأدلاء)، وتعد كل قبيلة مسؤولة عن المنطقة التي تسيطر عليها، كما كان البدو يقدمون الجمال لنقل الحجاج لقاء مال معين[٤]، إضافة إلى ذلك فإن الدولة قامت ببناء قلاع على طريق قافلة الحج وقوافل المسافرين والتجار، ووضعت فيها حاميات الانكشارية لحراسة تلك الطرق ومراقبتها[٥].

يتضح مما سبق أن الدولة حاولت وضع الوسائل لضمان هدوء القبائل البدوية، ويبدو أن تلك الوسائل لم تمنع البدو عن مهاجمة القوافل، وخاصة قافلة الحج، ربما يعود ذلك إلى إمتناع أمراء الحج عن دفع الصر بأكمله للبدو[٦]، كما أن قوافل الحج أثناء عودتها من الحجاز كانت محملة ببضائع كثيرة، ويرافقها عدد من التجار، الأمر الذي دفع البدو إلى مهاجمة القافلة، إضافة

---

(١) المقار - الباشاة و القضاة ، ص ٥١ . ابن كنان - المواكب الاسلامية ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٢) ابن كنان - المواكب الاسلامية ، ج ١ ، ص ٦٧-٦٨ .

(٣) رافق - بلاد الشام ، ص ١٥٦ ، انظر الفصل الأول من هذا البحث .

(٤) زكريا - عشائر الشام ، ج ٢ ، ص ٧٠-٧١ .

(٥) رافق - بلاد الشام ، ص ١٦٥ . ابن كنان - المواكب الاسلامية ، ج ١ ، ص ٦٤ .

(٦) حيث كان الصر يدفع للبدو على قسطين : الأول في الطريق إلى الحجاز و الثاني في طريق العودة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى أن التنافس بين القبائل على الصر كان يدعو من لم يأخذ حصته منه للهجوم على القافلة[١]. في ظل هذه الأوضاع كانت الدولة تلجأ إلى محاربة البدو لتأديبهم أو تعود لمهادنتهم. وبذلك نستنتج أن سياسة الدولة العثمانية المتمثلة بولاتها في دمشق لم تكن ثابتة تجاه البدو، فعلى سبيل المثال استطاع أسعد باشا ١٧٤٣ -١٧٥٧ م أن يدخل في اتفاقات مع البدو، وأن يؤمن سلامة قافلة الحج الشامي، مما أدى إلى إطالة حكمه، أما خلفه حسين باشا بن مكي[٢]. يبدو أنه فشل في تأمين القافلة، فأصيبت القافلة في عهده بنكبة على يد البدو، في حين تمكن عبد الله باشا الشتجي من التصدي للبدو وتأمين طريق قافلة الحج الشامي، وزودته الدولة بقوات إضافية، ورغم أنه استطاع التغلب على البدو، إلا أن تأمين طريق الحج بشكل دائم في القرن الثامن عشر والتاسع عشر كانت مهمة صعبة، وربما يعود ذلك إلى أن ولاة دمشق لم يكونوا على علاقة جيدة مع القبائل البدوية التي تتواجد على طريق الحج[٣]، علما أن البدو كانوا يتعاملون مع العثمانين، كنقل قافلة الحج و القوافل التجارية، فمثلا قبيلة بني صخر كلفت بنقل قافلة الحج، وأستأجر حافظ باشا والي الشام من البدو عشرة آلاف جمل لصالح القافلة[٤].

ودخل ولاة دمشق في اتفاق مماثل مع قبيلة عنزة وكان على رأس عشائر هذه القبيلة ولد علي التي كان شيخها عطاير بن سماير، وكلف البدو أيضا بحمل البضائع للقوافل التجارية الخاصة بدمشق، كما حدث عام ١٢٥٦ هـ /١٨٣٢م عندما عقد سليمان باشا اتفاقا مع قبيلة عقيل (التي كانت تقيم في نجد) لحراسة قافلة دمشق التجارية ما بين بغداد وحلب ودمشق، إضافة إلى مصالح أخرى مشتركة بين الطرفين، وعلى الرغم من ذلك يبدو أن الدولة استمرت في سياستها العدائية ضد البدو، وقامت بتوجيه ضربات متتالية لهم كما حدث عام ١٢٣٥هـ /١٨٠٨م، عندما كان والي دمشق صالح باشا عائدا بقافلة الحج من الديار المقدسة فوجد مجموعة من البدو ضاربة خيامها بالقرب من قلعة المزيدين فأمر جنوده في نهب خيامهم، ومطاردة من فر منهم[٥].

---

(١) ابن كنان - المواكب الاسلامية ، ج ١ ، ص ٦٤-٦٥ .

(٢) انظر ص١٨٦ من الفصل الثالث .

(٣) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق ، ج ١ ، ص ٣٢٩ .

(٤) المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٣٣٠ .

(٥) نعيسة - مجتمع مدينة دمشق ، ج ١ ، ص ٣٣٠ . لمعرفة المزيد عن القبائل البدوية انظر حنى الشطي - توسع البدو في بلاد الشام وانحسارهم، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام، م١، ١٩٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

- تمرد القوى العسكرية في دمشق خلال القرن الثامن عشر

أ- العسكر والوالي.

ب- تحليل لعوامل الصراع بين العصبيات العسكرية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال إطلاعنا على مجريات الأحداث في مدينة دمشق، لاحظنا مدى الضعف والانحلال الذي أصاب القوات العسكرية المتواجدة في المدينة منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، وطول فترة القرن الثامن عشر، وسنتعرض إلى بعض حوادث الشغب التي قام بها العسكر من ناحيتين، الأولى من خلال علاقة العسكر بالوالي، والأخرى من خلال الصراع بين العصبيات العسكرية.

أ- العسكر والوالي:-

عملت الدولة العثمانية على إرسال فرق جديدة من الإنكشارية إلى دمشق كما أشرنا سابقاً، وعرفت باسم القابي قول، وكانت هذه الفرق تزود بين فترة وأخرى بفرق جديدة، وذلك للمحافظة على ارتباطها بالإدارة المركزية في استانبول،[١] وقد كانت هذه القوات بمثابة القوات الرسمية التي اعتمد عليها الولاة لمواجهة الإنكشارية اليرلية مما أدى إلى إيجاد العداء بين الطائفتين.

ومن العوامل التي ساعدت أيضاً على إذكاء التنافس بين الطائفتين، العامل الاقتصادي: إذ أن الإنكشارية اليرلية كانت تسيطر على التجارة المحلية في مدينة دمشق، طوال القرن الثامن عشر، فحاول بعض ضباط القابي قول دخول ميدان التجارة المحلية، فاعتبرت اليرلية هذه المحاولة تهديداً لمصالحها الاقتصادية، وهذا ما يفسر لنا اتسام التاريخ السياسي لمدينة دمشق طوال القرن الثامن عشر بالصراع بين الطائفتين.[٢] وقد استغل ولاة دمشق هذا الصراع، عن طريق التدخل في شؤون العسكر الداخلية، والتحالف مع هذا الطرف أو ذاك، معتمدين على قواتهم الخاصة التي عرفت باسم (المرتزقة) لضرب الطرفين بعضهما ببعض، لذلك اتسمت العلاقة بين العسكر والوالي بالتعاون حيناً، والصراع حيناً آخر، حسب المصلحة الخاصة التي يريد الوالي تحقيقها.[٣]

وقد ارتبطت تلك العلاقات بالسلطة المركزية في استانبول، فعندما كانت السلطة المركزية قوية، كان ذلك ينعكس على سلطة الوالي في ولايته فيتمكن من القضاء على تمرد الإنكشارية، كما حدث في عهد مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م)، حيث تم القضاء على زعماء الإنكشارية المتمردين، وبالرغم من ذلك إلا أن الدولة العثمانية اضطرت إلى الاعتماد عليهم في تولي قيادة

---

(١) المحبي- خلاصة الأثر، ج٤، ص ٣٠٩-٣١١.

(٢) عبد الغني - السلطة في بلاد الشام، ص ١٢٣. انظر أيضاً الفصل الخامس.

(٣) المحبي- خلاصة الأثر، ص ٤١٧-٤١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قافلة الحج الشامي، علاوة علىتعيينهم حكـام علـى واحـد أو أكـثر مـن السـناجق التابعـة لولايـة الشام، واحتفظوا بالقوات التي وضعت تحت تصرفهم لحماية قافلة الحج الشـامي وجمـع الضرائـب لتأمينها.(١)

وبعد ازدياد نفوذ الإنكشارية، على إثر تأييدهم والي حلب "إباظـة حسـن باشـا" في ثورتـه على الدولة العثمانية عام ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م، المعروفة "بالحسينية" اتخذت الدولة موقفاً معادياً من الإنكشارية وبطشت بزعمائهم عام ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م.(٢)

ومن الملاحظ أن ضعف الدولة العثمانية، وتفكك المؤسسة العسـكرية خـلال القـرن الثـامن عشر، قد انعكس على ولاياتها، فكما أن نظـام (التيمـار) بـدأ بالانـهيار، فـإن الإنكشاريـة، الـتي تميزت بداية بأنها كانت مغلقة على المجتمع المحلي، ومرتبطـة بالسـلطان العثمـاني، تطـورت باتجـاه الانفتاح على المجتمع والانخراط فيه وذلك عبر طريقين: الأول تمثل في خروج العسكر من الثكنات و السماح لهم بالزواج، والاستقرار خارج معسكراتهم، والثاني تمثل في الانخراط بالعمل التجاري والحرفي (٣) وعلى ما يبدو فإن هذين العاملين سـاهما في تفكيـك النظـام الإنكشـاري العسـكري، وتحولت الفرق الإنكشارية اليرليـة إلى فـرق محليـة مرتبطـة بـالمجتمع المحلـي بمجموعـة مـن المصـالح والعلاقات التي ارتبط نفوذهم ومصيرهم فيها، وأصبحت اليرلية قوة فاعلة بـين السـكان المحليـين، كما أصبح كبار الجند جزءاً من فعاليات المجتمع الاجتماعية والاقتصادية.(٤)

لذلك كان من الطبيعي أن يتسم تاريخ دمشق ما قبـل، وأثنـاء فـترة الدراسـة، بالصراعـات المتنوعة الإتجاهات والخلفيات بين العسكر، دفاعاً عـن نفوذهـم ومصالحـهم الخاصـة، وأن يتدخـل الولاة في الوقوف إلى جانب أحد أطراف العسكر الذي تميل كفته إلى تحقيق النصر.

أما الدولة العثمانية فقد حاولت منذ النصف الثـاني مـن القـرن السـابع عشـر الميـلادي، أن تحتوي تلك القوى العسكرية وتحافظ على التوازن بينـها، واتبعـت لتحقيـق ذلـك الهـدف بـالأمور التالية:- أولها دعم قوات القابي قول بين آونة وأخـرى، بقـوات إضافيـة جديـدة. وثانيـها محاولـة

---

(١) المحبي- خلاصة الأثر، ج ٢، ص٧٨-٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٨-٧٩.

(٣) عبد الغني- السلطة ، ص ١١٩-١٢٠. انظر الفصل الثاني

(٤) المرجع نفسه، ص ١٢٠، أنظر الفصل الخامس من هذا البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدولة العثمانية إبعاد اليرلية إلى خارج دمشق، عن طريق تسليمها مهمات عسكرية خارج دمشق كحراسة القلاع على طريق الحج الشامي لتأمين سلامة القافلة[١] أو الاشتراك في حملات الجبهة الأوروبية[٢] مما كان يبعثرهم ويقلل من وجودهم في دمشق ويعرض زعمائهم للقتل.[٣] وثالثها القضاء على كبار آغاوات أو زرباوات أو زعماء اليرلية[٤] بالقتل ، وقد قام بهذه المهمة إما قوات القابي قول، أوالوالي نفسه، بأمر من السلطان العثماني كمحاولة لحفظ الأمن والاستقرار.

ومن الملاحظ أن الحادث الأول من هذا القبيل، هو إقدام القابي قول على قتل زعيمهم وهو صالح آغا بن صدقة[٥] خنقاً عام ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨-١٦٨٩م وربما يكون مقتله رداً على ثورة اليرلية على والي دمشق حمزة باشا [٦] الذي كان ظالماً ومتعسفاً، فهاجمته اليرلية (أبناء دمشق) وقتلت جماعته، عام ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧-١٦٨٨م. وفي عام ١١٠٣هـ/ ١٦٩١-١٦٩٢م، أعدم والي دمشق محمد كرجي باشا تسعة منهم بناءً على فرمان من السلطان العثماني، بقتل (زرباوات الشام، ويسميهم ابن كنان آغاوات الشام، والعام الذي قتلوا فيه "عام قتل الآغاوات" ويعلل قتلهم، "بازدياد غرورهم وقوتهم وشأنهم".[٧] وربما يكون قتلهم خوفاً من انتقامهم لمقتل أحد رؤسائهم صالح آغا ابن صدقة، وفي الوقت نفسه أرادت الدولة العثمانية أن تثأر منهم لثورتهم

---

(١) المقار- الوزراء الذين حكموا دمشق، ص ٤٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٤. المحبي- خلاصة الأثر، ج ٢، ص ١٢٤.

(٣) كما حدث لموسى التركماني عام ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠-١٦٧١م عندما قتل، أثناء تولية إمارة الحج أنظر المحبي- خلاصة الأثر، ج٤،ص ٤٣٤-٤٣٥.

(٤) ابن كنان- الحوادث اليومية، ج ١، ص ١٥أ.

(٥) صالح آغا بن صدقة كان من متقاعدي الجيش في دمشق، وأمواله لا تعد ولا تحصى، وكان له خيرات كثيرة منها تعميره لمسجد الخطبة، وجسر تورا، وعرف عنه أنه صاحب رأي حسن، وكلمة نافذة، ويعلل ابن كنان مقتله بأنه كان ظلماً له أنظر ابن كنان- الحوادث اليومية، ص ١٥ ب. المواكب الإسلامية-ج ١، ص ٥٢. المقار- الباشاه والقضاة، ص ٦.

(٦) أنظر عنه المقار- الباشاة والقضاة، ص ٤٥-٤٦.

(٧) وذكر ابن كنان الأسماء التالية من بين آغاوات الشام الذين تم قتلهم: يحيى آغا بن خليل آغا بن طالو، كور إبراهيم آغا، ومصطفى آغا بن كيوان، وإسماعيل آغا بن كيوان، وقاسم آغا بن كيوان، وسليمان آغا، ومحمد آغا أغة اليرلية، وعمر آغا الرومي الكيخية. انظر ابن كنان - الحوادث اليومية، ج١، ص١٥ب - ١٦أ. المواكب الإسلامية، ج١، ص٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضد والي دمشق حمزة باشا، وأن تعمل على كسر شوكتهم وإضعافها. ويبدو أن مقتل عدد من رؤوساء اليرلية، لم يضعفها، بل إنها عادت للتحرك في بداية القرن الثامن عشر، كما في عهد الوالي سليمان باشا [١] ١١١٨هـ/ ١٧٠٦-١٧٠٧م، وقد يكون السبب في هذا التحرك لليرلية هو المطالبة بعلوفتها [٢] كما أنها دخلت للتوسط بالصلح بين والي دمشق وشيخ الأعراب كليب، مقابل حصولها على المال.[٣]

وتفيد المصادر أن شوكة اليرلية قد بقيت قوية، خاصة التركمان والأكراد منهم، المقيمين في (الحقلة) في الميدان، الذين شكلوا فئة ذات شوكة قوية [٤] واصطدموا مع القابي قول.[٥] بسبب دعم قوات القابي قول بفرق جديدة بلغ عددها ثماني فرق عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٦-١٧٠٧م،ونتج عن الصدام بين الطرفين مقتل عشرة أنفار من اليرلية، إلا أن اليرلية ردوا على ذلك بمحاصرة القلعة وأخذ دية المقتولين.[٦] وتعاظم نفوذ اليرلية بعد ذلك حتى مجيء نصوح باشا.[٧]

وقد كان حمزة باشا قوياً، شديد البأس فخافته الإنكشارية خاصة اليرلية منهم، وتكتلت ضده، وكون التركمان منهم جيشاً عظيماً. لملاقاة الوالي الجديد، وذلك خوفاً من غدره بهم، وربما يعود ذلك لانتشار الزرباوية بينهم، كما أنهم تحالفوا مع كليب زعيم قبيلة السردية الذي أهمل في واجباته في مساعدة أمير الحج، ونقل المؤن إلى قلاع طريق الحج، إضافة إلى مهاجمته قافلة الحج التي كان أميرها نصوح باشا لأول مرة.[٨] وهو الذي كان مسؤولاً عن موت فيراري حسين

---

(١) سليمان باشا ولي دمشق، وقبلها كان والياً على جدة انفصل عنها، وأثناء ولايته على دمشق غضب على آغا القابي قول ونفاه إلى أرواد، وحج بالركب الشامي، فخرجت عليه الأعراب، فقاتلهم وانتصر عليهم، وكان هو وأتباعه ظلمة. أنظر المقار- الباشاة والقضاة، ص ٥١- ٥٢.

(٢) ابن كنان- الحوادث اليومية، ج١، ص ٥٧أ-٥٧ب.

(٣) ابن كنان- المواكب الإسلامية، ج١، ص ٤٢، وعن كليب أنظر الفصل الثاني من هذا البحث.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٨.

(٥) ولي على دمشق في هذه الفترة يوسف باشا قبطان، الذي وصف بانه كان صالحاً وعادلاً. أنظر المقار- الباشاة والقضاة، ص ٥٢.

(٦) ابن كنان- الحوادث اليومية، ج١، ص ٩٧ب، المقار الباشاة والقضاة-ص ٥٢.

(٧) استمر حكمه لدمشق ست سنوات من عام ١١٢٠هـ/١٧٠٨-١٧٠٩ إلى ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م . أنظر الفصل الأول من هذا البحث.

(٨) أنظر الفصل الثاني من هذا البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باشا"[١] منذ ثلاثة أعوام. ويظهر أنه كان قد اتصل بكبير التركمان "قاسم آغا" وتحالف معه ضد الوالي الجديد، وقال للتركمان عندما أبدو تخوفهم من نصوح باشا "أضع رمحي في سراياه".[٢]

إلا أن الوالي الجديد نصوح باشا تمكن من الدخول إلى دمشق بموجب فرمان من السلطان العثماني وبفضل قوة شخصيته العسكرية فقد دخل المدينة بلباسه العسكري وبكامل عدته الحربية، وهذا ما ميزه عن غيره من الولاة السابقين [٣] لذا أضاف القاري عنه بقوله "ويوم دخوله كان يوماً مشهوداً" [٤] أما ابن كنان يبدو أنه كان معجباً به، فقد ترجم لأعماله في كتابه بالتفصيل، وقد وصف دخوله إلى دمشق بقوله "دخل ناصيف باشا (نصوح باشا) بالدرع من على برج الروس، وعليه السلاح، ومغرق بآلة الحرب، ومعه نحو ألفي خيال، وأربعين حملاً (كيساً) من المال ما عدا الجمال والبغال والخيول، ولقاة الأعيان، ومشى قاضي الشام مراد أفندي أمامه لأنه مقرب منه وهو يلبس الدرع، وعلى رأسه الطاسة (الخوذة)"[٥]

وقد تمكن نصوح باشا بعد دخوله مدينة دمشق من ضبط أمورها ويبدو أنه هيأ للأمر قبل دخوله المدينة، حيث انه أرسل إلى صيدا نحو ثلاثة آلاف من الحنطة من بلاده، للقضاء على نقص الغلال والمجاعة [٦] كما أنه قام بحبس شيخ التركمان من "دولة التركمان الزربا"، وعزل آغا آغة اليرلية [٧] وربما يعود هذه التصرف من قبل نصوح باشا إلى تمرد هؤلاء الزرب وتحالفهم مع كليب رئيس القبائل العربية في بادية الشام. لذلك اتجه نصوح باشا إلى تحقيق خطوته التالية وهي التخلص من كليب السردي. وتم ذلك حسب رواية المقار أنه بعد قدوم نصوح باشا من الحج وتجمعه مع الحجاج في المزيريب، قدم إليه شيخ العربان كليب هو وجماعته ليسلم عليه في الخيمة بعيداً عن الحج، لأن شيخ العربان لا يستطيع أن يدخل خيام الدولة خوفاً من البطش به، فقام نصوح باشا بقتله وسلخ رأسه وأرسله إلى الباب العالي. وقد تم ذلك في صفر من عام

---

(١) ابن كنان- المواكب الإسلامية، ج ١، ص ٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٤١.

(٤) القاري- الوزراء الذين حكموا دمشق، ص ٧٦.

(٥) ابن كنان- الحوادث اليومية، ج١، ص ٧٧أ-٧٧ب.

(٦) المقار- الباشاة والقضاة، ص ٥٢.

(٧) ابن كنان- المواكب الإسلامية، ج١، ص ٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١٢١هـ/١٧٠٩م. أما جماعته فمنهم من قبض عليه، وبعضهم تمكن من الفرار.[١] وعندما علم التركمان من اليرلية بمقتل كليب فروا من دمشق ونهب عساكر الوالي بيوتهم في الميدان، وهدموها، أما كبار التركمان في الحقلة في الميدان فقدتم حبسهم [٢] ويلحظ أن الوالي نصوح باشا قد عفا عنهم، لأنهم عادوا بعد ذلك إلى مدينة دمشق، وخضعوا لحكمه [٣]. كما أن نصوح باشا قد استطاع أن يؤدب المتمردين من العسكر وأن سياسته اتسمت تارة بالعنف، وتارة أخرى بالسياسة لمواجهة جميع القوى العسكرية التي عرفت بالتمرد والعصيان.

وقد ذكر ابن كنان أن بيوت هؤلاء التركمان عندما حررت كانت ثمانية عشر ألفاً، ولا بد أنه دخل في إحصاء ابن كنان الأطفال والنساء، لأن (كارل باربر Karl Barbir) يشير إلى أن إحصاء نصوح باشا أثبت وجود (١٢٣١) عضواً، معظمهم غير صالح للخدمة العسكرية، وذلك لأنهم من كبار السن أو صغاره، أو ضعفاء، أو لإنهم ورثوا امتياز عدم دفع الضرائب واتضح أيضاً أن ثلثي العدد، من التركمان، والأكراد، والسكان العرب المحليين، قد قام نصوح باشا بتنظيمهم، فأنقص عددهم إلى ٩١٣ ووزعهم على ثماني وحدات من الفرسان، و (٤٢) بلوكاً من المشاة.[٤]

وإذا استطاع نصوح باشا أن يضبط اليرلية وخاصة التركمان منهم، فإنه ضبط القابي قول أيضاً.[٥] وأقدم على قتل أحد زعماء السركشدية، موسى آغا، فإنه لم يكن راضياً عنه، أثناء محاصرته لقلعة الكرك، التي استولى عليها بالقوة.[٦]

ولعل نصوح باشا عندما أقدم على هذه الخطوة، أراد أن يضع حداً لتمرد هذه الفرقة، لأنها كانت قد طغت قبل عهده "وحاشرت الناس على حرفهم، وأخذت حوانيتهم حتى أن الناس رجموا القاضي لإنه لم يستطع إيقاف تجاوزاتهم" [٧] وأغلقت مدينة دمشق عندما قتل بعض أفراد

---

(١) المقار – الباشاة والقضاة، ص٥٢.

(٢) ابن كنان– المواكب الإسلامية، ج١، ص ٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٣.

(٤) نفسه، ج١، ص ٥٤.

(٥) نفسه، ج١، ص ٥٥.

(٦) المقار–الباشاة والقضاة، ص ٥٢.

(٧) ابن كنان– المواكب الإسلامية، ص ٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الفرقة رجلاً، وتدخلت قوات الوالي المرتزقة وخاصة السكبان وخرجوا من خاناتهم لقتالهم، ففر السركشدية والقابي قول إلى القلعة، وطلب الوالي آغاهم بتسليم الغريم فلم يرض، وعم الإضراب في دمشق لمدة يومين، وبالرغم من ذلك لم ينفذ آغا السركشدية طلب الوالي.[١]

ويظهر أن نصوح باشا لم يؤدب المتمردين فحسب، بل سعى لتخفيف عبء الضرائب عن الأهالي فمنع عدداً منها، وألغى حجج الديون عن الفلاحين وضبط قمح البلاد ليتأكد من وجوده ووفرته، حتى أيام البيادر، فتمتنع المجاعة، كما تقرب إلى العلماء بتوزيع المال والهدايا على الفقهاء والمدارس وطلبة العلم ولم ينس الفقراء [٢] وبذلك يكون نصوح باشا قد رسخ النظام والأمن في داخل المدينة ودعم الحكم العثماني في ولاية دمشق.

ولم تطل مدة ولايته على دمشق أكثر من ست سنوات، حيث أن الدولة العثمانية أخذت تشعر شيئاً فشيئاً بخطره ومطامحه، إذ كان في عام ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م والياً لدمشق وأميراً للحج ووالياً لجدة، ويشرف مباشرة عن طريق حاشيته على مناطق القدس وعجلون وغزة ونابلس وصفد وبعلبك (وباياس) قرب إسكندرون، فعملت الدولة على تصفيته عندما أوعزت إلى (طوبال يوسف) وإلى حلب والرقة بجيشه الكشف لملاقاته قبل دخوله إلى دمشق أثناء عودته .

وخلال فترة حكم السلطان أحمد الثالث ١١١٥هـ/ ١١٤٣هـ، ١٧٠٣-١٧٣٠م، تسببت الإنكشارية في دمشق بحوادث شغب، مستغلين ثورة الإنكشارية على السلطان أحمد الثالث في العاصمة استانبول، وثورة الأهالي الذين أعلنوا العصيان، بالإضافة إلى التحديات الخارجية للدولة العثمانية، وسوء الأوضاع الاقتصادية[٣]، فرأت السلطة المركزية ضرورة جباية الضرائب من أهالي دمشق وذلك في عام ١١٢٨هـ/١٧١٦م بوجه غير شرعي، ويفسر ذلك بأن يوسف باشا والي دمشق سابقاً، كان قد فرض بأمر من السلطان العثماني في النصف الأول من القرن الثامن عشر ضرائب مجحفة على الدمشقيين[٤] وكان نصوح باشا قد تغاضى

---

(١) ابن كنان- المواكب الإسلامية.ص ٥٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) محمد فريد-تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٤٢-١٤٦، دائرة المعارف القرن العشرين، ج٢، ص ٦٠٩-٦١٣.

(٤) رافق- العرب والعثمانيون، ص ١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنها، وقد اشترك بعض القابي قول مع الأهالي [١] في مهاجمة سراي الوالي فقتل أحد أفرادها[٢] ولم تستطع إحداث أي تغيير.

ومما يلفت النظر في هذه الحادثة، هو ثورة القابي قول ووقوفهم إلى جانب أهالي دمشق ضد فرض الضرائب من قبل الإدارة المركزية في استانبول، فقد مضى على وجودهم في مدينة دمشق أكثر من خمسين عاماً، فأصبحت لهم مصالح فيها، ورغم تمركزهم في قلعة دمشق، إلا أنهم بدأوا يمتزجون بالدمشقيين بالتدريج، كما حدث لليرلية، وبدل أن يزيد ذلك من التقارب بين اليرلية والقابي قول نجد أن العداء قد ازداد بين الطائفتين، ويعلل ذلك أن اليرلية وجدت في توسيع نفوذ ومصالح القابي قول في داخل المدينة، خطراً على مصالحهم ونفوذهم.

وهكذا أضيفت المنافسة على المصالح إلى الصراع على النفوذ بين دمشق وبلاد الشام بشكل عام في القرن الثامن عشر.[٣] واستغل ذلك الصراع ولاة دمشق الذين حاولوا استخدام جنودهم المرتزقة لضرب كل فريق بالآخر، للعمل على إضعافهما.

ويبدو أنه في عام ١١٢٩هـ/١٧١٧م عاد الصدام من جديد بين اليرلية والسركشدية من القابي قول، والسبب في هذا الصدام أن السركشدية عادوا إلى طغيانهم السابق، فرأت اليرلية أنه لا بد من تأديبهم، فحرضت أهالي دمشق على الوقوف ضدهم، وإغلاق المدينة، إلا أن والي دمشق في تلك الفترة عبد الله باشا كوبريلي[٤] تدخل في الأمر وقتل جماعة من اليرلية وحبس أخرى، ويبدو أن الوالي رأى أن اليرلية يحاولون إثارة الفتنة في المدينة، فأراد أن يضع حداً لتجاوزاته، حتى أنه أراد أن يزيل أوجاق اليرلية، ويطلب من السلطان العثماني إخراجهم جميعاً من دمشق.[٥]

ويبدو أن تهديد الوالي وقوة القابي قول قد ساهما في هدوء اليرلية لبعض الوقت إلى أن

---

(١) ونلاحظ هنا قيام أهالي بالثورة، وهذا أمر لم تعهده فترة القوى العثمانية، وسنلاحظ أن ثورات الأهالي تزداد في فترة القرن الثامن عشر جنباً إلى جنب مع الجند، وهذا يدل على اتساع قاعدة التحدي للعثمانيين، وشمولها سكان المدن ثم الريف. أنظر رافق - العرب والعثمانيون، من ١٩٦.

(٢) ابن كنان-الحوادث اليومية- ج٢،ص ١٣٨. المقار - الباشاة والقضاة، ص٥٦.

(٣) رافق-بلاد الشام ، ص ٢٢٢.

(٤) القاري-الباشاة والقضاة، ص ٥٧-٧٧.

(٥) ابن كنان- المواكب الإسلامية، ج١، ص ٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عزل عبد الله باشا كوبريلي في عام ١١٣٠هـ/ ١٧١٨م. فعاد اليرلية للتحرك في عهد رجب باشا[١] واصطدموا مع القابي قول، ولعل السبب في تحركهم هو إنقاص رجب باشا أعداد اليرلية إلى (٧٥٠) فرداً فقط، فاحتج بعضهم على أنهم كانوا غير موجودين في المدينة عند قيامه بالإحصاء، مما اضطره إلى إضافة (٨٣) إلى العدد السابق، وكلفهم بحراسة حصن الصنمين قرب دمشق.[٢]

وهكذا فإن ضعف اليرلية أدى إلى ازدياد قوة القابي قول، وبروز تمردها ضد ولاة دمشق الذين تلو رجب باشا خاصة في عهد والي دمشق عثمان باشا أبو طوق[٣] عام ١١٣٢هـ/١٧٢٠م، حيث لم يتورع القابي قول عن الاشتباك مع والي دمشق وإطلاق المدافع على سراياه من القلعة [٤] وبعد فترة هدأت الأوضاع.[٥] وسبب هذه الفتنة بين الوالي والعساكر غير معروف على وجه الدقة، وربما يكون من أجل مطالبة القابي قول بعلوفتهم ومماطلة الوالي في صرفها لهم، أو لأمر له علاقة بسياسة عثمان باشا أبي طوق في المدينة، فقد حكم عثمان باشا دمشق مرتين الأولى بين ١٧١٩-١٧٢٠، والثانية بين ١٧٢٣-١٧٢٥، وقد وصفت سياسته بدمشق بالظلم وابتزاز المال من الأهالي [٦] بواسطة أعوانه الذين يدعون باسم العوانية [٧] ولمن ينفذ الفرمان الذي ورد من السلطان العثماني، والذي ينص على رفع الضرائب التي كانت تؤخذ على وجه غير شرعي من قبل الوالي، وعلى ما يبدو أن هذا الفرمان قد أرسل ضد عهد رجب باشا ١١٣٠هـ/١٧١٨م ولكنه لم يطبق.[٨]

ولعل القابي قول، قد أصبحت لهم مصالح من رفع هذه الضرائب، كأهالي مدينة دمشق

---

(١) رجب باشا دخل الشام، ولا يذكر المقار سنة دخوله، وكان رجلاً مسلماً، فتش عن المكايين والميازين (الموازين) والأواق وعزل في عام ١١٣٣هـ/١٧٢١م. أنظر المقار- الباشاة والقضاة، ص ٧٧.

(٢) ابن كنان-المواكب الإسلامية، ج١، ص ٥٦.

(٣) وكانت سيرته غير حسنة للمزيد أنظر المقار الباشاة والقضاة، ص ٧٧.

(٤) ابن كنان-الحوادث اليومية، ج١، ص ١٦٩ب.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٦٩ب.

(٦) بريك- تاريخ الشام، ص ١٩.

(٧) ابن كنان- المواكب الإسلامية، ص ٥٦-٥٧، Rafeq, The Province of Damascus, p 79.

(٨)ابن كنان- المواكب الإسلامية، ص ٥٦-٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذلك كان لا بد لهم من الضغط على الوالي لإجباره على تنفيذ الفرمان.[١]

وبعودة عثمان باشا أبو طوق لولاية دمشق مرة ثانية بين عامي ١٧٢٣-١٧٢٥، واتباعه نفس سياسته السابقة في ولايته الأولى، وإكثاره من العوانيةحوله، الذين كانوا يبتزون أموال أهالي دمشق ويسيئون إليهم بدعم من الصدر الأعظم والسلطان العثماني، وعدم تحرك القابي قول هذه المرة ولا اليرلية، ولا الفرق العسكرية الأخرى يبعد هذه الفرضية، ويؤشر إلى وجود سبب آخر، وقد يكون ذلك التصرف من القابي قول، مجرد عدم رضا عن تشديد الوالي لقبضته عليهم، أو لإساءة بدرت منه تجاه بعض أفرادهم[٢] .

ويبدو أن عثمان باشا أبو طوق قد شدد قبضته على الفرق العسكرية، حتى أن واحدة من هذه الفرق العسكرية لم تتحرك، حسب ما يذكر المؤرخون المعاصرون (مثل ابن كنان والمقار) لرد مظالمه، فالمغاربة مثلاً، في ولايته الأولى كان قد وقع أمر من أحد فجارهم، فأخافهم عندما طلب منهم مغادرة دمشق، لكنه لم يلبث إلا أن أعادهم [٣] كما أن غالب الدالاتية الذين رافقوا عثمان في طريقة إلى الحجاز لقيادة قافلة الحج قد قتلوا على يد العرب لأجل الماء. [٤]

أما اليرلية فقد أصابها الضعف منذ عام ١١٢٩هـ/١٧١٧م، نتيجة لتهديد الوالي لها، ولقوة القابي قول، لذلك فعندما ساءت أحوال مدينة دمشق عام ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م، خاصة في ولاية عثمان باشا أبي طوق الثانية، حيث يصف المقار الوضع بقوله "وكان الظلم شديدالزايد، وكثرت العوانية، حتى صارت أرض الشام مشغولة بالظلم في شرورها، وعقول أهل الشام حيارى، وكانت أفعال وأمور تنشق منها القلوب والنفوس،وصارت دمشق مفتونة بالظلم مشحونة".[٥]

ووقف إلى جانب أهالي دمشق فئة الأعيان وهي القوة المحلية الثانية، وعلى رأسها المفتي بدمشق محمد خليل البكري الصديقي.[٦] الذي قاد الأهالي في ثورة ضد عثمان باشا أبي طوق، منتهزاً فرصة غيابه عند ابنه الذي كان والياً على صيدا، وقتل وصلب الثائرون بعض العوانية من

---

(١) ابن كنان-المواكب الإسلامية، ص ٥٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٧.

(٣) ابن كنان -الحوادث اليومية، ج١، ص ١٦٣أ.

(٤) المقار-الباشاة والقضاة ، ص٥٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٠-٦١.

(٦) أنظر عنه المرادي- عرف البشام فيمن تولى فتوى دمشق الشام، ص ٦٤-٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أتباع أبي طوق[١] وأودعوا في الحبس جماعة منهم، وخربوا دار الصير في اليهودي، المقرب من الوالي، وأخبروا الدولة العليا بما وقع، و لم يستطع السلطان العثماني تجاهل ما حدث وعزل عثمان باشا أبا طوق.[٢]

مما تقدم نلاحظ أن الجناح العسكري من الإنكشارية المتمثل في اليرلية قد أصابه الضعف في الربع الأول من القرن الثامن عشر، بسبب قوة الجناح العسكري الآخر من الإنكشارية المتمثل بالقابي قول لتحريضهم الولاة ضدهم في الوقت نفسه اعتماد الولاة على القابي قول والقوات المرتزقة في إضعافهم.

ويبدو أن اليرلية قد استعادت بعض قوتها في عهد الوالي الجديد إسماعيل باشا العظم [٣] عام ١١٣٨هـ/١٧٢٥م، وفي نفس العام تعرضت حرمة منزل عبد الله صدقة وهو من أعيان اليرلية في حي الميدان إلى هجوم من قبل أحد الصوباشية ومساعديه التفنكجية، فاستثار ذلك اليرلية ووقف إلى جانبهم العلماء والأشراف،وقتلوا الصوباشي، وتدخل المفتي والقاضي للنظر في سبب النزاع[٤] أعقب ذلك حدوث فتنة بين القابي قول واليرلية، لم تذكر المصادر سببها، وأغلقت دمشق لمدة ثلاثة أيام، وقتل فيها جماعة من القابي قول والأهالي[٥]

ويلاحظ من هذه الأحداث أن الأشراف والعلماء قد تعاونوا مع اليرلية، التي أصبحت من ضمن السكان المحليين، ضد القابي قول والسلطة العثمانية، وهذا يؤكد على المصلحة المشتركة لكلا الطرفين، وازدياد قوة اليرلية.[٦]

وخلال فترة حكم السلطان أحمد الثالث ١٧٠٣-١٧٣٠م، تمكن الإنكشارية في استانبول

---

(١) وقد بلغت هذه الفتنة درجة لم تصلها من قبل، مما أدى إلىتدخل الباب العالي الذي كان يولي الوضع في مدينة دمشق أهمية كبيرة بسبب دورها في قافلة الحج الشامي. أنظرجب ويووون. المجتمع الإسلامي، ج٢- ص ٣١.

(٢) بريك-تاريخ الشام، ص ٢١. ابن كنان- الحوادث اليومية، ج٢، ص ١٦٤ب. المقار- الباشاة والقضاة، ص٦١.

(٣) كان أول ولاة آل العظم في بلاد الشام، وكان فلاحاً من المعرة، ثم عين حاكماً على حماه وحمص، وكانتا سنجقين تابعين للشام ودمشق، وحصل على لقب باشا بطوخين، ثم رُفع إلى باشا بثلاثة أطواخ وعين على ولاية طرابلس، ثم انتقل إلى ولاية دمشق وعين والياً عليها. انظر بريك - تاريخ الشام، ص٢١، ٤٩. القاري - الوزراء، ص٧٧. رأفت الشيخ - تاريخ العرب الحديث، ص١١٨.

(٤) رافق-عرب و عثمانيون، ص ٢٤٦.

(٥) المقار-الباشاة والقضاة، ص ٦٢-٦٣.

(٦) رافق-عرب وعثمانيون، ص ٢٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الثامن والعشرين من أيلول ١٧٣٠م، من فرض سيطرتهم التامة على العاصمة،[١] واستمروا مدة ثلاثة أيام يطالبون برأس الصدر العظم وعدد من كبار رجال الدولة العثمانية، وذلك على أثر الانتصارات الهامة التي حققها الفرس بقيادة نادر شاه ضد القوات العثمانية المحتلة لأراضيهم،[٢] واحتج الإنكشارية كذلك بأن الأموال المجموعة بحجة حرب نادر شاه كانت تصرف على الصدر الأعظم وغيره بدل أن تصرف للحرب.[٣]

ويبدو أن السلطان العثماني قد رضخ لمطالب الإنكشارية، وأعدم الصدر العظم واثنين من كبار رجال الدولة العثمانية، خوفاً من الإحاطة به [٤] وبالرغم من ذلك إلا أن الإنكشارية عادوا للتمرد عليه، وخلعوه عن عرشه.[٥]

استغل هذا الوضع الحرج الذي كانت تمر به الدولة، الجناحان المتصارعان داخل عسكر دمشق اليرلية والقابي قول للقتال فيما بينهم، وأغلقت دمشق مدة أربعة أيام، نتج عن ذلك قتل وإصابة مجموعة من كلا الطرفين.[٦]

يلاحظ من هذه الاصطدامات المتعددة بين الجناحين العسكريين في مدينة دمشق، شدة العداء بينهما، ومدى الضعف الذي وصلت إليه السلطة العثمانية في دمشق.

أعقب ذلك فترة من الهدوء بين اليرلية والقابي قول، خاصة في عهد والي الشام عبد الله الأضنلي ١٧٣٠-١٧٣٤، ويبدو أن ذلك الهدوء الذي اتسعت به اليرلية طيلة عهد هذا الوالي يعود لعدة أسباب، أهمها قوة الوالي الجديد التي تمثلت في كثرة وشجاعة القوات المرتزقة المرافقة له [٧] وانتشار الطاعون بأرض الشام ونواحيها، استمر لمدة عام، من ١٧٣١-١٧٣٢م[٨] وانتعاش الأوضاع الاقتصادية في دمشق في عهده، واهتمامه بالعلماء [٩] علاوة على عدم اتباعه سياسة

---

(١)محمد فريد-تاريخ الدولة العلية، ص١٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٦.

(٣) رافق-بلاد الشام ، ص ٣٠٠. فريد- تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٤٦.

(٤) سبق وأن تمرد الإنكشارية في عهد السلطان العثماني مصطفى الثاني (١٦٩٥-١٧٠٢م) وأجبروه على التنازل عن العرش أنظر إسماعيل سرهنك- حقائق الأخبار عن دول البحار، ج١، ص ١١٣.

(٥) المرجع نفسه، ج١، ص ١١٣-١٦٤.

(٦) المقار-الباشاة والقضاة، ص٦٤.

(٧) رافق- العرب والعثمانيون، ص ٢٤٧. المقار-الباشاة والقضاة، ص ٦٤.

(٨) المقار-الباشاة والقضاة، ص ٦٥.

(٩) المقار-الباشاة والقضاة، ص ٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابتزاز الأموال من الأهالي، حتى أن بريك المؤرخ المعاصر للحدث يصف بأنه كان في عهده "حركة بيع وشراء وسبب للجميع".[١]

استمر الهدوء بين عسكر دمشق في ولاية سليمان باشا العظم[٢] الأولى ١٧٣٣-١٧٣٨م الذي اتسم أيضاً بقوة شخصيته، واتباع سياسة الموازنة بين الطوائف العسكرية المتواجدة في المدينة[٣] و لم يتعرض للقوى العسكرية إلا عندما ثار القابي قول على آغا طائفتهم وقتلوه عام ١١٤٨هـ/١٧٣٥-١٧٣٦م، عندئذ أقدم سليمان باشا على مسك اثني عشر نفراً منهم وقتلوه [٤] كما أنه قبض على ثمانية أفراد من اليرلية في نفس العام من دون سبب.[٥] وربما يكون ذلك التصرف من قبل والي دمشق تنفيذاً لسياسة الدولة للقضاء على المنازعات بين الطوائف العسكرية. ويبدو أن قوة الوالي كانت سبباً في إضعاف اليرلية وخضوعهم التام لهذا الوالي وعدم اصطدامهم بالقابي قول، أما في حالة كون الوالي ضعيف وظالم فإن قوة اليرلية تزداد كما في عهد والي دمشق حسين باشا البستنجي [٦] و غالباً ما كان اليرلية يستغلون الفترة التي يعزل فيها الوالي القديم، للثورة على الوالي الجديد ويمكننا ملاحظة ذلك في الفترة التي عزل فيها سليمان باشا العظم، وتولى فيها حسين باشا البستنجي ما بين ١٧٣٩-١٧٤١م، حيث شهدت دمشق في هذه الفترة اضطرابات واسعة، وبلغ نفوذ اليرلية درجة كبيرة من القوة، وقادوا الدمشقيين سواء (العلماء أو الأكابر أو الفقراء) منهم في ثورة ضد والي الشام حسين باشا البستنجي [٧] وتزعم الثورة ضد حسن باشا اليرلية ومؤيدوهم من الدمشقيين، ووقعت عدة إصابات في الاصطدامات التي حدثت

---

(١) بريك- تاريخ الشام، ص ٢٤.

(٢) من ولاة أسرة آل العظم وقد تولى دمشق مرتين، المرة الأولى استمرت خمس سنوات تمكن خلالها من توفير الهدوء والأمن في دمشق، وأزال بعض المظالم في بداية ولايته، حتى أن بريك المؤرخ المعاصر لآل العظم وصفه بأنه "كان حاكماً عادلاً ورفع المظالم عن دمشق". انظر بريك - تاريخ الشام، ص٢٤.

(٣) رافق-بلاد الشام ، ص ٣٢٣.

(٤) بريك-تاريخ الشام، ص ٢٤. المقار-الباشاة والقضاة، ص ٦.

(٥) رافق-العرب والعثمانيون، ص ٢٤٨.

(٦) حسين باشا البستنجي حكم في ولاية طرابلس، ثم نقل منها إلى ولاية الشام في جمادى الأول ١١٥١هـ/آب ١٧٣٨، وقد كان ظالماً حيث أنه بدأ حكمه في دمشق بشنق شخصين وتركهما معلقين لفترة من الزمن، واتبع سياسة ابتزاز الأموال من الرعية. أنظر بريك - تاريخ الشام، ص٩. المقار- الباشاة والقضاة، ص ٦٦. رافق-بلاد الشام ، ص ٣٢٤.

(٧) بريك-تاريخ الشام، ص ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين الفريقين في ١٢ جمادى الثاني ١١٥١هـ/ ٢٧ أيلول ١٧٣٨م،[١] وكان حسين باشا يعتمد على قواته المرتزقة من المغاربة والدالاتية، ودعم القابي قول الثائرين، ونلاحظ انضمام بعض القابي قول إلى الثائرين، وربما يعود ذلك أن هؤلاء قد تضرروا من مظالم حسين باشا البستنجي عندما أصبحوا من أصحاب المصالح الاقتصادية في دمشق، إضافة إلى أنهم رأوا إجماع المعارضة ضد حسين باشا، وأنه سوف يهزم أمام هذه المعارضة الكبيرة ضده.[٢]

وكان السبب المباشر لهذه الثورة، إلغاء حسين باشا البستنجي لبعض الاحتفالات الصوفية كتهليلة الأموي الشريف، والمولد النبوي الشريف وغير ذلك من الأمور التي تقشعر لها الأبدان.[٣]

ويبدو ان اعتماد الوالي على العسكر "الدالاتية" وحدهم أدى إلى تحالف جميع القوى المحلية الأخرى ضده.[٤]

أعقب ذلك فترة من الهدوء بسبب خروج الوالي من المدينة لأجل قيادة قافلة الحج الشامي، وقد حاول العسكر والدمشقيون الاتصال مع السلطان العثماني، وتقديم الشكوى ضد حسين باشا، ويبدو أنهم فشلوا في ذلك ربما بسبب حماية الصدر الأعظم لحسين باشا البستنجي.[٥] وما أن عاد حسين باشا إلى مدينة دمشق، حتى وجد أن القوى المحلية قد تقوت ضده، حتى أن اليرلية والقابي ثاروا ضده، وطرد من المدينة "بذل عظيم" وهرب هو وأتباعه بعد نهب أرزاقه.[٦]

ونلاحظ التعاون بين اليرلية والقابي، الجناحين المتصارعين في المدينة، في القيام بثورة ضد والي دمشق، ويبدو أن عداءهما المشترك لوالي دمشق هو الذي حقق هذا التعاون بين الطرفين.

ويشير بريك المؤرخ المعاصر للحدث أن قوات الوالي من المغاربة والدالاتية، بعد طردها من دمشق بموجب فرمان من الدولة العثمانية، اتجهت إلى القرى المجاورة للمدينة، وعاثوا فساداً فيها،

---

(١) رافق-بلاد الشام ، ص ٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٤.

(٣) المقار-الباشاة والقضاة، ص ٦٦-٦٧، ويصف المقار ما حدث "سكرت دمشق وما قام فيها صلاة جمعة وصار أهل دمشق بلجية (أي بالسلاح) في المحلات بالعدد الكاملة ووقع الجنك (الرصاص) بين جماعته وأولاد الشام.. وسكرت دمشق ووقع الحصار... فمن خوفه خرج ليلاً هو وحريمه وجماعته وعساكره".

(٤) المقار-الباشاة والقضاة، ص ٦٨.

(٥)المقار-الباشاة والقضاة، ص ١٨. رافق- العرب والعثمانيون، ص٢٤٩.

(٦) بريك- تاريخ الشام، ص ٩. المقار- الباشاة والقضاة، ص ٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى أن أهالي القرى تركوها والتجأوا إلى مدينة دمشق، مما زاد في نقمة أهالي دمشق على قوات الوالي، فطردوا قوات الوالي من المدينة[١] ومما يلفت الانتباه في هذه الحادثة أن الطرد لم يقتصر على قوات الوالي من المغاربة، بل شمل أيضاً المغاربة المقيمين في المدينة، ويمكن تفسير ذلك بأن بعض المغاربة المستقرين في دمشق كمجاورين، قد بدأوا يمتزجون بالجند المرتزقة، والانضمام إليهم حتى ازدادت أعداد هؤلاء في دمشق، وأصبحو يهددون المصالح الاقتصادية لليرلية والدمشقيين، والأهم من ذلك موقف أهالي دمشق من هذه القوات المرتزقة القابي قول كالمغاربة، إذ لم يتقبل وجودهم في دمشق منذ البداية، وحصلت النفرة بينهم وبين الدمشقيين وخاصة اليرلية الذين كانوا ينظرون إليهم على أنهم قوات غريبة استخدمها الولاة لإذلالهم. وعلى إثر نجاحهم في طرد المغاربة، ازدادت قوة اليرلية، لا سيما أن السلطان العثماني محمود الأول [٢] ١١٤٣-١١٦٨هـ/١٧٣٠-١٧٥٤م، اضطر للتغاضي عن اشتعال الثورة في دمشق، التي كانت بمثابة المركز الرئيسي لتجمع الحجاج، لأن الدولة العثمانية في هذه الفترة كانت مشغولة بحربها مع نادر شاه من جهة بلاد فارس كما ذكرت ذلك سابقاً، فأيد الدمشقيين في موقفهم، وأصدر أمر بعزل حسين باشا في ١ جمادى الثاني ١١٥٢هـ/ أيلول ١٧٣٩م.[٣]

وبعد خروج الوالي من المدينة، ما لبث أن عاد الصدام بين الجناحين العسكريين المتصارعين في دمشق، واشتعلت المعارك بين الطرفين في الشوارع، في محرم ١١٥٣هـ/ آذار-نيسان ١١٥٣هـ/١٧٤٠م، في ولاية عثمان باشا المحصل [٤] على الشام في جمادى الثاني ١١٢٥-١١٥٣هـ/ أيلول ١٧٣٩-تشرين الأول ١٧٤٠م، وقد علق ابن جمعة على ما حدث قائلاً: "وسكرت دمشق، وتفرق القابي قول في الحارات، وعملوا المتاريس، وسكروا البوابات لئلا يهجم

---

(١) بريك-تاريخ الشام، ص ٢٥، المقار-الباشاة والقضاة، ص٦٧.

(٢) محمود الأول ابن السلطان مصطفى الثاني، عرف بالحلم والعدل، وفي أيامه توسعت الإمبراطورية في آسيا وأوروبا، توفي عام ١١٦٨هـ/١٧٥٤م عن عمر يناهز الستين عاماً، واستمر في الحكم مدة خمسة وعشرين عاماً أنظر عنه محمد فريد-تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٤٧-١٥١، دائرة المعارف القرن العشرين، ج٢، ص ٦١٠-٦١٣. وانظر أيضاً ملحق بأسماء سلاطين آل عثمان في القرن الثامن عشر ملحق رقم (١).

(٣) المقار-الباشاة والقضاة،ص ٦٧.

(٤) أنظر المقار- الباشاة والقضاة، ص ٦٧. الشهابي- تاريخ لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ج١، ص٣١-٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحد عليهم"[١] . ومما زاد في إشعال الفتنة بين الطرفين وصول فرقتين جديدتين من القابي قول من استانبول إلى دمشق، وسرعان ما انتسب هؤلاء إلى أصحاب الحرف، ووقع منهم التعدي والفساد،[٢] وعد اليرلية تقوية القابي قول تهديداً لنفوذهم ومصالحهم في المدينة، فطالبوا السلطان العثماني بإخراج القابي قول من دمشق نظراً لفسادهم وأيدهم في ذلك العلماء ووالي دمشق، والسلطان العثماني الذي أصدر فرمان إلى عثمان باشا المحصل، ينص على إخراج القابي قول من مدينة دمشق في ربيع الثاني ١١٥٣هـ/ تموز ١٧٤٠م، ويصف ابن جمعة ذلك بقوله: "فوقع رأي سادتنا والعلماء والأكابر وحاكم دمشق بإخراجهم، إلى جهنم وبئس المصير"[٣] ويعلل سبب إخراجهم من المدينة بأن "غالبهم كانوا حوش،[٤] ووقع منهم مفاسد تقشعر منها الأبدان"،[٥] وفي الحقيقة فإن اليرلية كان لهم الدور الأكبر في إخراجهم من دمشق، إذ أن اليرلية منذ أن تمكنوا من طرد المغاربة، بعد عزل حسين باشا البستنجي، تقووا وتشجعوا، حتى أنهم استطاعوا إقناع والي دمشق الجديد عثمان باشا المحصل بطرد أعدائهم من القابي قول الأغراب عن دمشق بحجة فسادهم.

وعند النظر في الروايات التي تناولت هذه الحادثة، نلحظ أن رواية البديري عن حادث تشتيت القابي قول تتفق مع رواية ابن جمعة المقار، فقد ذكر البديري عندما تعرض للحديث عن مصير القابي قول بعد الفتنة قائلاً "منهم من نفي، ومنهم من قتل، والذي بقي كرله كور عمامته"،[٦] وجاء في رواية المقار عبارة تتوافق مع عبارة البديري بقوله "والذي استقام في دمشق غير زيّه وصار من جملة الرعايا".[٧] ومن خلال الإطلاع على رواية البديري نلاحظ أيضاً أنه يصف إخراج القابي قول من دمشق بالإصلاح [٨] وهذه دلالة على أن البديري لفت انتباهه ظاهرة تستحق التسجيل، وهذا الإصلاح معناه أنه بخروج القابي قول قل الفساد من دمشق واصطلحت أحوال أهالي دمشق، وهو بذلك يقف إلى جانب اليرلية. ويبدو أن هذه العملية تمت

---

(١) المقار-الباشاة والقضاة، ص ٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٨، أنظر الفصل الخامس من هذا البحث.

(٣) المقار-الباشاة والقضاة، ص ٦٨.

(٤) حوش: أي أراذل الناس وأسافلهم.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(٦) أي حل له عمامته، علاقة على أنه أصبح لا ينتمي لهذا الأوجاق. ومنهم من قتل مثل كور إسماعيل وهو قائد القابي قول الذي قتل في الفتنة التي أسفرت عن طرد القابي قول من دمشق. البديري-حوادث، الهامش، ص ١٣.

(٧) المقار-الباشاة والقضاة، ص ٦٨.

(٨) البديري-حوادث، ص٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالتحالف مع الدفتردار فتحي أفندي الفلاقي الذي كان يتمتع بنفوذ واسع في أوساط العسكر اليرلية الدمشقية [١] . وعلى إثر طرد القابي قول من مدينة دمشق، خلا الميدان لليرلية وازداد نفوذها، وعادت للتمركز في القلعة وحماية أسوار وأبواب المدينة، ونتيجة لذلك، تمرد بعض أفراد اليرلية وتحدوا آغاواتهم والوالي، وعرف هؤلاء اليرلية الخارجون على القانون باسم الزرب.[٢]

وقد كان هؤلاء الزرب مصدر قلق لولاة دمشق، ففي ولاية سليمان باشا العظم الثانية على دمشق في ربيع الثاني ١١٥٤هـ/ ١٧٤١-١٧٤٣م، تعرض إلى تحدي اليرلية لسلطته، على الرغم من قيامه عند دخوله لدمشق بقتل ثلاثة أشقياء من عصاة البدو [٣] واستغل الزرب تأخر وصول فرمان من السلطان العثماني بشأن استمرار سليمان باشا العظم في حكم دمشق لعام آخر "وأظهروا قبح على الرعايا"[٤] إلى أن وصل الفرمان في ٤ جمادى الثاني ١١٥٥هـ/٦ آب ١٧٤٢م.[٥] بتعيين سليمان باشا العظم والياً على دمشق.

وحاول سليمان باشا العظم إصلاح هذه الحالة، فعزم على القبض على رؤسائهم الذين ازدادوا طغياناً، وأعلن أن دماءهم مهدرة "وأعطى أسماءهم للدلال"[٦] وتشعرنا المصادر بعجز سليمان باشا عن تنفيذ هذا القرار، بالرغم من وصول فرمان سلطاني بالقضاء على الزرب. [٧] ويدل هذا على مدى النفوذ الواسع الذي وصل إليه اليرلية، وأن سليمان باشا لم يكن جاداً في القضاء على المتمردين بينهم، ربما بسبب عجزه عن تحقيق ذلك. ويمكن تفسير عدم جدية سليمان

---

(١) بريك-تاريخ الشام، ص ٢٦.

(٢) الزرب مفردها زربة، وهي كلمةيونانية الأصل، بمعنى شقاوة، أطلقت على أشقياء الجند حيث شكل زعماء اليرلية الذين تمردوا على السلطة في دمشق، عصابات مسلحة عرفت باسم الزرب، وعن طريق هؤلاء الأشقياء استطاع زعماء اليرلية توجيه الأمور لصالحهم، فوجدت في حي الميدان عصابة منهم بزعامة مصطفى آغا بن جوربجي، الذي لقب نفسه سلطان الشام، وعصابة لدى أحمد آغا وخليل آغا أولاد الدرزي، وفي سوق ساروجا وجدت عصابات مسلحة زعامة أحمد بن القلطقجي وعبد الله بن حمزة. أنظر البديري-حوادث، ص ٥، ١٨، ٦٧، انظر ص ٢٣-٢٤ من هذا الفصل.

(٣) المقار- الباشاة والقضاة، ص٦٩. رافق-العرب والعثمانيون، ص ٢٥٣.

(٤) بريك-تاريخ الشام، ص ٢٨.

(٥) رافق- العرب والعثمانيون، ص ٢٥٣.

(٦) البديري-حوادث، ص ١٨-١٩، ويذكر البديري أن الوالي طلب ستة عشر رجلاً من الأشقياء.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٩-٢٠، رافق-العرب والعثمانيون، ص ٢٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باشا في القضاء على المتمردين من اليرلية، بأن سليمان باشا العظم عمل على السيطرة على مصادر إنتاج الحبوب، فاستأجر قوى كاملة في ولاية دمشق اشتهرت بإنتاج الحبوب، فكان يهمه كل من يعمل بهذه التجارة، لذلك نرى أنه اتبع سياسة المصالحة مع مختلف فئات القوة في المدينة، حتى أنه تغاضى عن استغلال تجار الحبوب وأصحاب المطاحن والمخابز حاجة أهالي دمشق لهذه الخدمات وتحكمه بالأسعار ورفعها حسب مصلحته، والسبب في تغاضيه عنهم هو استفادته من هذه الأوضاع، وانتساب كثير من تجار الحبوب وأصحاب المصالح إلى طائفة اليرلية.[١]

تنامي نفوذ اليرلية في عهد أسعد باشا العظم[٢] وقضائه عليهم:-

بعد وفاة سليمان باشا العظم في ٤ رجب ١١٥٦هـ/٢٥آب ١٧٤٣م، أثارت وفاته كثيراً من الاضطرابات في دمشق، فقام اليرلية وقتلوا جماعة من الجند الدالاتية، وهذه دلالة على قوة اليرلية، وضعف القوات العسكرية الأخرى المتواجدة في المدينة، وتسلم السلطة الفعلية في المدينة فتحي الدفتري[٣] إلى أن دخل الوالي الجديد إلى دمشق أسعد باشا العظم في ٢٤ شعبان ١١٥٦هـ/١٧٤٣م [٤]، ويلاحظ أن أسعد باشا من خلال محاولته السيطرة على اليرلية مر بمرحلتين: المرحلة الأولى ١١٥٦هـ/١٧٤٣-١١٥٨هـ/١٧٤٥ كانت فيها السيطرة كاملة لفتحي الدفتري واليرلية، والمرحلة الثانية ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م، انتصر فيها أسعد باشا على فتحي واليرلية.

واجه أسعد باشا في المرحلة الأولى ١١٥٦-١١٥٨هـ/ ١٧٤٣-١٧٤٥ ازدياد سلطة اليرلية وفتحي الدفتري في دمشق، وربما يكون تسامح سليمان باشا العظم مع اليرلية وفتحي الدفتري قد ساهم في ازدياد قوة اليرلية، فاضطر أسعد باشا في هذه المرحلة إلى مسايرة الوضع السائد، فكانت القوى اليرلية الدمشقية في المدينة تتصرف وفق مصالحها.[٥]

---

(١) رافق-العرب والعثمانيون، ص ٢٥٤. عن اليرلية وسيطرتها على تجارة الحبوب في دمشق انظر الفصل الخامس.

(٢) من ولاة آل العظم، وكان قبل ذلك والياً على حماة، أقام والياً على دمشق مدة أربعة عشر عاماً متوالية، وكان أطولهم حكماً وقد شغلت أنباء حكمه الجانب الأكبر من كتاب البديري. انظر البديري - حوادث، (مقدمة)، ص٣٤.

(٣) وقد أشار البديري إلى أن فتحي أفندي كان منتمياً إلى أوجاق اليرلية وأصبح راعياً لمصالحهم ، البديري- حوادث، ص ٤٥، ٧٧.

(٤) وقد وصفه القاري بأنه كان رجلاً ذو عقل وتدبير، ولم يتعرض لأحد بظلم، ولم يقتل أحداً، وهذا ماطمع فيه وجاق الإنكشارية اليرلية، أنظر القاري-الوزراء، ص ٧٩.

(٥) البديري-حوادث، ص ٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي ٢٥ رمضان ١١٥٦هـ/١٧٤٣م، أثناء غياب أسعد باشا العظم في الدورة [١] حدث صدام بين الأشراف، وأتباع فتحي الدفتري، ويعود ذلك بسبب تعدي أتباع فتحي ويدعى العفصة على اثنين من الأشراف هما السيد علي أفندي العجلاني نقيب الأسراف[٢] والسيد علي المرادي.[٣] وعلى أثر هذا الاعتداء عقد اجتماع عند القاضي في المحكمة، وكتب المجتمعون ضد فتحي عريضة وصفوة فيها بأنه "من أعظم المفسدين"، وأرادوا إرسالها إلى السلطان العثماني، إلا أنهم تراجعوا عن هذا القرار[٤] بسبب قوة نفوذ فتحي الدفتري، وتخوف أعيان دمشق منه.

ويبدو أن تكتل أعيان دمشق وإعلانهم أن فتحي الدفتري رئيس المفسدين، كان لصالح أسعد باشا العظم، إذ أنه بذلك كسب إلى جانبه الأشراف والعلماء ضد فتحي واليرلية. وفي أثناء غياب أسعد باشا في الحج، ورد فرمان من قبل السلطان العثماني إلى دمشق بتاريخ ٢٣ شوال ١١٥٦هـ/١٧٤٣م، بضبط أموال سليمان باشا العظم، الذي قدرت ثروته بحوالي ستة ملايين قرش[٥] وبلغ مجموع ما تم مصادرته مليوناً وربع قرش، وقام فتحي الدفتري بشراء غالب غلال ومتاع سليمان باشا العظم.[٦]

تمثل موقف الدمشقيين بالدهشة من كثرة الأموال المصادرة، وكانوا في أيام شدة وغلاء، مع سوء الحال، قالوا: قد جوع الناس والرجال والبهائم حتى جمع هذا المال من أصحاب العيال[٧]". وبعد عودة أسعد باشا وعلمه بمصادرة أموال عمه، ومساعدة فتحي الدفتري في ذلك، اتخذ موقف اللامبالاة ضد فتحي فلقبه الناس سعدية كاضن Kadin[٨] . وفي هذه الأثناء تمكن فتحي الدفتري

---

(١) أنظر الفصل الأول من هذا البحث.

(٢) علي أفندي العجلاني هو نقيب الأشراف في دمشق (١١٢٧هـ-١١٨٣هـ/١٧١٥-١٧٦٩م) أنظر المرادي-سلك الدرر، ج٣، ٢٠٦-٢٠٨.

(٣) علي المرادي مفتي دمشق (١١٣٢-١١٨٣هـ/١٧٢٠-١٧٦٩م) أنظر المرادي-عرف البشام فيمن تولى الفتوى بدمشق الشام، ص ١٢٦-١٣٥. المرادي- سلك الدرر ، ج٣، ص ٢١٩-٢٢٨.

(٤) البديري-حوادث، ص ٥٠-٥١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٦) نفسه، ص ٥٥.

(٧)نفسه، ص ٥٥.

(٨) والأصح قادين وهي السيدة، وأحياناً سعدية خاتم. أنظر المصدر نفسه، ص ٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من السفر إلى استنبول، بناءً على دعوى وجهت إليه، وعاد إلى دمشق مدعوماً من الكزلار آغا والسلطان العثماني محمود الأول. فازدادت قوة اليرلية تبعاً لذلك، وكثرت تمرداتها ضد أسعد باشا العظم.

وقد أشار القاري إلى هذا الوضع،[١] فقال عن أسعد باشا في بداية حكمه: "وما تعرض لأحد بظلم ولا قتل أحداً"، وهذا شجع أوجاق اليرلية على "احتقاره والطمع فيه"، ويوضح المرادي هذه الصورة بقوله "لإن الشقي منهم كان إذ ذاك يجئ إلى حبس السرايا ويخرج من أراد من المحبوسين من غير إذن أحد علناً وقهراً، وإذا مر الوزير بهم وهم جالسون لا يلتفتون إليه ولا يقومون له من مجالسهم، بل يتكلمون في حقه بما لايليق بمسمع منه، فيحتمل مكارههم ولا يسعه إلا السكوت".[٢]

رافق هذا الوضع تزايد ارتفاع الأسعار، فارتفع سعر غرارة القمح من خمسة وعشرين قرشاً إلى أربعين قرشاً، إزاء هذا الوضع توجهت العامة بأنظارها تجاه أسعد باشا العظم، إلا أن أسعد باشا كان قادراً على التخلص من مسؤولية غلاء الأسعار وقلة الخبز، فحولهم إلى القاضي، واصطدموا مع أتباع القاضي، وهاجموا المحكمة[٣] .

يلاحظ مما سبق أن أسعد باشا استطاع أن يكسب العامة والأشراف، ضد تسلط اليرلية وتحكمهم بأسعار القمح، ولما عاد من الحج عام ١١٥٩هـ/١٧٤٧م، أرسل في طلب الدالاتية لتجنيد قوات جديدة منهم، ولما علمت الناس بذلك قالوا: "الست سعدية تريد أن تغدر بنا، وهذا الأمر لا يخوفنا".[٤]

مهدت هذه الأوضاع لأسعد باشا، للبدء في خطوته التالية وهي التخلص من اليرلية، فبدأ في ٢٢ صفر ١١٥٩هـ/١٧ آذار ١٧٤٦م، باحتلال قلعة دمشق من اليرلية، وقد كانت قوة اليرلية الرئيسية في حي الميدان، وبعضها في حي سوق ساروجا، ولما بلغ اليرلية أن قوات الوالي الدالاتية احتلت قلعة دمشق، تمركزوا في باب الجابية لحماية حي الميدان،[٥] ويبدو أن أسعد باشا قد

---

(١) القاري-الوزراء ، ص ٧٩.

(٢) المرادي سلك الدرر، ج٣-ص ٢٨٧.

(٣) البديري-حوادث، ص ٦٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٦.

(٥) نفسه، ص ٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خدعهم لأنه توجه إلى سوق ساروجا وضربه بالمدافع، فتهدمت وأحرقت الدور، حتى صارت محله سوق ساروجا قاعاً صفصفاً.[١]

بعدها توجه إلى حي الميدان و لم يجد فيه أحد،[٢] فنهب أتباعه خمسمائة دار في ذلك الحي، وهدموها، ووقف إلى جانب أسعد باشا كلاً من مشايخ الحارات وأئمتها، وساعدوه في القبض على الأشقياء في المدينة، ويصف البديري حالة التوتر والاضطراب التي عانى منها أهالي دمشق أثناء سحق أسعد باشا الإنكشارية في حي الميدان "تشددت الأمور على أهل الشام وصاروا يسهرون بالليل والنهار، والناس في هم وغلاء، وفي كل وقت يقولون جاءت الدروز، فتهرب الناس. وتخلي الدكاكين ... حتى انتقلت غالب التي كانت خارج المدينة إلى داخلها وإلى القلعة".[٣] أما نتائج الصدام فيعلق البديري عليها بقوله "فسكنت الشام، وصارت كقدح لبن، وصارت الناس في أمن وأمان"[٤] وبذلك استطاع أسعد باشا أن يسيطر على المدينة بنحو من أربعمائة من العسكر الدالاتية، وأصبحت اليرلية "أذل من الذباب، وطعماً لأخس الكلاب".[٥] وكانت أعظم آثار هذه الفتنة مصيبة وخذلان لعائلة حسن التركمان حيث قتل منهم خمسة رجال منهم: حمزة بيك ومحمد آغا وحسن آغا وخليل آغا وكان هؤلاء من أعظم المفسدين[٦] سر الدمشقيين من حركة أسعد باشا اليرلية، فأقيمت الاحتفالات بدمشق لهذا النصر، وأضيف إلى

---

(١) وكان من آغاوات سوق ساروجا أحمد آغا بن القلطقجي وعبدالله بن حمزة، وبعد أن هاجمهم أسعد باشا وحرق بيوتهم، هرب هؤلاء، فتوجه أحمد آغا بن القلطقجي وأتباعه إلى جبل لبنان ولجأوا إلى الدروز محتمين ببني يزبك وتقووا بهم، أما عبد الله بن حمزة وأتباعه فقد توجهوا نحو طبريا والتجأوا إلى ظاهر العمر. أنظر الشهابي- تاريخ الأمير حيدر الشهابي ج٤، ص ١٠٧٦.

(٢) لإن آغاوات حي الميدان عندما علموا بأن أسعد باشا وجه عليهم المدافع بالعساكر،ركنوا للهرب وكان من زعمائهم مصطفى آغا بن خضري جريجي الذي كان يعد على رأس المفسدين، حتى سمى نفسه سلطان الشام (وقد أشرت إلى ذلك سابقاً)، وكان معه زمرة من الأشقياء يتقوى بهم، إضافة إلى أولاد الدرزي أحمد آغا وخليل آغا، وقد فر هؤلاء إلى عرب ابن كليب أنظر المصدر نفسه، ص٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٦.

(٤) نفسه، ص ٦٩،

(٥) نفسه، ص ٦٩.

(٦) وقد كان هؤلاء مع توابعهم ولاحقهم وأقاربهم يقاربون ربع العسكر، أنظر المرادي-سلك الدرر- ج٢، ص ٦٢-٦٣. البديري-حوادث- ص ٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اسم أسعد باشا لقب الحاج، فأصبح يدعى الحاج أسعد باشا[١] وفي هذه المناسبة، قال المؤرخ البديري الموال التالي:

أين الزلاقة[٢] التي كانت شبيه السيف

جزمات لا يشلحوها[٣] بالشتا والصيف.

إن شاف واحد صديقه لا يقله [٤] كيف

ديك الزلاقة مضت يا حيفها يا حيف[٥]

ثم التفت أسعد باشا إلى فتحي الدفتري، فقتله في ١٥ جمادى الآخر ١١٥٩هـ/١٧٤٦.[٦] ويبين البديري ردود الفعل لدى أهالي دمشق على مقتل فتحي الدفتري، فيقول: طذلك بما كسبت يداه، فقد كان ظلوماً غشوماً بغيضاً لأهل الشام، يريد لهم الجور والظلم، لا يراعي الكبار ولا الصغار، إلا ناس من الأشرار، وهم حزب الشيطان، قد اتخذهم عدة لكل عدوان".[٧]

وقد صور البديري وقعة فتحي بمواويل رغبة في تقديم النصح للأجيال، حيث ذكر في تلك المناسبة قوله:

يا ما فعل فتحي لما صار دفتردار عزه زمانه وسعده حول داره دار

دولاب عزه رقص يا ناس لما دار لم يعتبر أن هذا الدهر به غدار[٨]

ويظهر أن والي دمشق سعى لإقامة التوازن بين القوى العسكرية المرابطة في المدينة فطلب من السلطان العثماني إعادة فرقة القابي قول التي توقفت استانبول عن إرسالها إلى دمشق بدءاً من عهد الوالي عثمان باشا المحصل عام ١١٥٩هـ/١٧٤٦-١٧٤٧م، فأرسلت الدولة العثمانية له

---

(١) البديري-حوادث-ص ٧١.

(٢) الزلاقة في عرف الشاميين هي العتو والتظاهر بالرجولية.

(٣) أي أحذية لا يخلعونها في الشتاء ولا في الصيف.

(٤) أي لا يقول له.

(٥) البديري-حوادث، ص ٧٠-٧١.

(٦) المرادي-سلك الدرر، ص ٢٨٧.

(٧) البديري-حوادث، ص ٧٦.

(٨) المصدر نفسه، ص٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرطة أون طقز (أي الأرطة التاسعة عشرة)، ودخلت هذه الأرطة بموكب عظيم "سرت أناساً وأكمدت أناساً"[١] ويبدو أن أسعد باشا كان حريصاً على منع السكان المحليين من الانضمام لهذه القوات، فأرسل إلى آغا هذه القوات وقال له: "كل من أدخلته من أولاد الشام من غير جنسك لا يرجع اللوم إلا على نفسك".[٢] ولعل أسعد باشا أراد بذلك أن يتفادى ما حدث للقوات الإنكشارية بدمشق، وأن يبقى أوجاق القابي قول تركيا خالصاً وقوياً.

ونتيجة لاتخاذ هذه الخطوة من قبل أسعد باشا "قويت دولة القابي قول في دمشق الشام، وبرموا اللفات،[٣] ورجعت دولتهم أحسن مما كانت"[٤] لقد أتقن أسعد باشا لعبة توازن القوى فأعاد بعض زعماء اليرلية بعد أن أصبح الاعتماد الرئيسي عليهم لازماً، للوقوف ضد إمكانية تمرد أو عصيان من قبل القوى العسكرية الأخرى، وحتى لا يكون تابعاً لفئة واحدة منهم.

وعلى أثر موازنة أسعد باشا قوة اليرلية بإعادة القابي قول إلى دمشق، واجه أسعد باشا تمرد الدالاتية الذين ازدادوا غروراً إثر انتصارهم على اليرلية، خاصة وأنهم بعد ذلك استطاعوا حماية دمشق من هجوم الزرب الفارين من دمشق، وتمكنوا من السيطرة على المدينة، كما أنهم ساعدوا أسعد باشا في القبض على من تبقى من الزرب في المدينة مثل ابن الحديد(الحداد) وعبده بن حمزة عنبر، الذين تم قتلهم [٥] وازداد عدهم، وقويت شوكتهم، ودب الفساد بين صفوفهم، ودخلوا في صدامات مع القوى العسكرية الأخرى في المدينة وينفرد البديري بذكر فساد الدالاتية فهم فساق ويعاشرون الخاطئات [٦] وزادوا في الاعتداء والجور، وخربوا البلاد والقرى، [٧] وقام أهل القرى أنفسهم للدفاع عنها، وكثرت الشكوى ضدهم، فكتب أسعد باشا للدولة العثمانية بشأنهم، وجاء فرمان من الدولة بإبادتهم "فأمر أسعد باشا منادياً أن ينادي كل من أقام من

---

(١) البديري-حوادث، ص ٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٢.

(٣) أي وضعوا على رؤوسهم عمائم (لفات) كان تبرم حول الرأس، وكان هذا يمثل لباس رأس خاص للجند القابي قول.

(٤) البديري-حوادث، ص ٧٢-٧٣.

(٥) المصدر نفسه،ص ٨٧.

(٦) نفسه، ص ٩٢.

(٧) نفسه، ص ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدالاتية أكثر من ثلاثة أيام فدمه مهدور".[١] ويبدو أن الفرمان لم يطبق بسبب ظهور الدالاتية بعد عدة أيام من صدور الفرمان.[٢]

ونلاحظ أن أسعد باشا عندما فشل في إخراج الدالاتية، أعاد عسكر المغاربة إلى دمشق، بعد إخراجهم منها عام ١١٢٥هـ-١٧٣٩م[٣] وذلك لاستخدامهم في موازنة قوة الدالاتية [٤] وفي ظل هذه الأوضاع لم يكن اليرلية في وضع قوي للوقوف في وجه القوى العسكرية الأخرى، بسبب قوة أسعد باشا العظم الذي استطاع إخضاعهم وكسر شوكتهم في موقعة الزلاقة،[٥] وازدياد سلطة آغا اليرلية على أفراد طائفته بعد القضاء على الزرب، علاوة على ازدياد قوة القابي قول، أعداء اليرلية، بسبب دعم أسعد باشا العظم لهم، ودخول القوات المرتزقة في حلف معها، وضعف منافسة اليرلية لهم.[٦] لقد جمع بين القوات المرتزقة والقابي قول عداؤهما المشترك ضد اليرلية الضعفاء وأهالي دمشق، ويمكن إرجاع ذلك التحالف إلى تبجح الدالاتية بقضائها على اليرلية، وإعادة القابي قول إلى القلعة وممارسة نفوذهم، وإعادة المغاربة إلى دمشق بعد أن طردوا منها، وكثرة تعدياتهم فازداد الفسق والفجور في دمشق تبعاً لازدياد فوضى هذه القوات، وكانت نتيجة الصراع بين هذه القوات وبالاً على اقتصاد مدينة دمشق وعندما قاد أسعد باشا حملته على جبل الدروز عام ١١٦٠هـ-١٧٤٧م، اشترك معه في القتال كلاً من الدالاتية، وانكشارية الشام، وكان زعيمهم محمد آغا بين عبد الله آغا، فتقاعس الدالاتية عن قتال الدروز، وكان أول من انهزم عسكر الدالاتية "اهل الكبر والجبروتية"[٧] بينما صمد الإنكشارية اليرلية في القتال، وقد أغضب ذلك أسعد باشا فأنب عسكر الدالاتية وقال لهم معبراً عن غضبه "تباً لكم من أعوان ولمن اتخذكم من أنصار. تأخذون العلايف والمال وتهربون من الحرب والقتال، والمتطوعون[٨] يقاتلون

---

(١) البديري-حوادث، ص ٨٧-٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٧-٨٨.

(٣) أنظر عن إخراج المغاربة على يد حسين باشا البستنجي ص ١٧ من هذا الفصل .

(٤) رافق-بلاد الشام ، ص ٣٣٥.

(٥) بريك-تاريخ الشام، ص ٦٢-٦٣. القاري- الوزراء، ص ٨٠-٨١.

(٦) البديري-حوادث، ص ١٥٩.

(٧) الشهابي- لبنان ، ج١، ص ٣٨-٣٩. البديري-حوادث، ص ٩٦.

(٨) يقصد بهم جند الشام من الإنكشارية اليرلية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لله ورسوله، مع ما قد فعلت بهم من الفعال من قتل وسلب وخراب ديار".[١]

ونلاحظ هنا أن أسعد باشا قد اضطر بداية إلى غض النظر عن فساد الدالاتية واعتداءاتهم على أرزاق أهالي دمشق نتيجة لتفاخرهم بتشتيهم زعماء اليرلية، إلى أن تقاعسوا عن حرب الدروز، وهزيمتهم وصعود الإنكشارية اليرلية، وربما أن أسعد باشا رأى أن الفرصة مناسبة للتخلص منهم، لذلك فقد دعا جند الشام "وأوعدهم الإحسان والإكرام".[٢] وتشعرنا المصادر أن والي دمشق لم يف بوعده لليرلية، خاصة وأنهم شاركوا تخوفه من عودة هؤلاء إلى شعبهم وطغيانهم السابق، خاصة وأنهم شاركوا أسعد باشا في جميع حملاته على الدروز، وكانوا يقومون بالسلب والنهب والقتل[٣] ونتيجة لذلك رأى أسعد باشا أنه لا بد من طلب فرق من القابي قول من العاصمة استنبول، وهكذا عادت لدمشق بعض فرق القابي قول عام ١١٦٤هـ-١٧٥٠م، وقد أشار البديري إلى دخولها بقوله "دخلت بعراضة ولا موكب الحج الشريف، وزينوا لها حارة العمارة بالقناديل والمشاعل ودخلوا بكبر وجبر وعتو"[٤] وهذه الفرقة هي الفرقة الثانية والسبعون.[٥]

ويبدو أن القابي قول لم يكونوا أفضل من الدالاتية واليرلية، حيث اعتزوا بأنفسهم وتطاولوا على أهالي دمشق، وعاثوا فساداً في دمشق [٦] ودخلوا في صراعات مع اليرلية.

وقد حاول أسعد باشا الإصلاح والتقريب بين الجناحين المتصارعين داخل عسكر دمشق قبل نقله من دمشق، حيث طلب من كلا الجناحين وضع مجموعة من كليهما في مركز عسكري في المدينة تحت إمرة أنباشي[٧] ومن الملاحظ أن أسعد باشا لم ينجح في ذلك بدليل أن اليرلية لم يتغير موقفهم من القابي قول، فقد اتجهوا بعد عزل أسعد باشا في آخر ربيع الثاني ١١٧٠هـ/ ٢١ كانون الثاني ١٧٥٧، إلى تنظيم صفوفهم لاستعادة نفوذهم من القابي قول للدفاع عن أنفسهم،

---

(١) البديري-حوادث، ص ٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٦.

(٣) ويمكن تفسير ذلك بأن وجاق اليرلية قد قوي شأنهم في هذه الفترة، لإن أسعد باشا أحسن إلى رؤسائهم وقربهم إليه عندما رأى شجاعتهم وحسن بلائهم في قتال الدروز/ أنظر المصدر نفسه، ص ٩٨، ٩٩، ١٠٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٥٩.

(٦) المقار-الباشاة والقضاة، ص ٦٠-٦١، البديري-حوادث، ص ١١٢-١١٧.

(٧) البديري- حوادث، ص ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فانتشرت الفوضى في داخل المدينة.[١]

وتشعرنا المصادر أن مدينة دمشق قد شهدت في الفترة ما بين ١٧٥٦-١٧٧١، أحداثاً أمنية كثيرة، نتيجة لاختلال ميزان القوى العسكرية بين الجناحين المتصارعين اليرلية والقابي قول، وعاد القتال في الشوارع بين الطرفين، خاصة في عهد حسين باشا بن مكي[٢] عام ١١٧٠هـ/ شباط ١٧٥٧م، الذي حصل للجند اليرلية في عهده "كمال الحظ الوفير والانبساط، وظهر ابتداء شوكتهم من ذلك العهد وقوياً، وكان ابتداء ظهورهم ثانية وتطاولهم" [٣] ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى أن حسين باشا كان "بطئ الحركة عن شهامة الوزراء". [٤] كما أن الوالي الجديد أراد عن طريق تأييده لليرلية وتقويتهم أن يحد من هيمنة الأصناف العسكرية الأخرى إلا أننا نلاحظ أن الفتن والحروب بين اليرلية والقابي قول وغيرهم من طوائف قد ازدادت، بل أنها تطورت لتتخذ شكلاً جديداً في الأحياء الموجودة في المدينة، وحصل انقسام واضح بين القوات المحلية الدمشقية، كما حدث في الثاني عشر من رمضان عام ١١٦٩هـ/١٧٥٥م، عندما وقعت فتنة عظيمة بين اليرلية والقابي قول، وربما يكون السبب في هذه الفتنة الغلاء الأكبر في الشام في جميع الأصناف [٥] وكادت الفتنة أن تستمر، لولا تدخل نقيب الأشراف حمزة أفندي [٦] والعلماء وإصلاحهم بين الطرفين [٧] وفي هذه الأثناء كان حسين باشا في الحج، وبعد عودته، لم يهتم بالتحقيق حول أسباب تلك الفتنة، أو معاقبة المشتركين فيها.

---

(١) رافق-بلاد الشام ، ص ٣٥١.

(٢) اشتهر نسبه بالغزي، كان جده أحد تجار غزة الأثرياء، واتصل والده بخدمة وزراء الشام، ثم توجه إلى استانبول وأخذ بلاد غزة إقطاعاً (بطريق المالكانة) وأقام فيها، حتى أصبح كتخدا لأسعد باشا العظم والي دمشق، وعين ابنه حاكماً على غزة والرملة، ثم على القدس، التي كانت تابعة لولاة الشام، وفي عام ١١٦٩هـ/١٧٥٥-١٧٥٦م عينته الدولة والياً على القدس برتبة باشا بطوخين، ثم أعادت الدولة القدس لأسعد باشا، ورقي حسين باشا إلى رتبة الوزارة (باشا بثلاثة أطواخ)، وولي على صيدا ثم على دمشق. انظر المرادي- سلك الدرر، ج٢، ص٦٠-٦٢. بريك-تاريخ الشام، ص٣٦. البديري-حوادث، ص١٩٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٦١.

(٤) المرادي-سلك الدرر، ج٢، ص ٦١.

(٥) البديري-حوادث، ص ١٩٩- رافق-بلاد الشام ، ص ٣٥١.

(٦) حمزة أفندي حمزة وهو السيد حمزة ابن السيد يحيى ابن السيد حسن بن السيد عبدالكريم الشهير بابن حمزة الدمشقي الحنفي أحد علماء المشهورين ونقيب الأشراف بدمشق الشام. وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائتين وألف. أنظر الشطي- أعيان دمشق في القرن ٢٠٠-٣٠٠هـ،ص ٧٨-٧٩.

(٧) البديري-حوادث، ص ٢٠٠-٢٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن الانقسام في الولاء بين مختلف القوات في دمشق، يؤيده قيام أهل الشام بصوت واحد[١] ومطالبتهم حسين باشا بإخراج الغرباء من المدينة، وقد زاد في كره الدمشقيين لهذه القوات الغريبة، ليس فقط لاستخدامها في قمعهم، بل لمنافستها لهم في المجال الاقتصادي.[٢] وفي التاسع عشر شهر شوال من عام ١١٦٩هـ/١٧٥٥م توجه حسين باشا بن مكي إلى الحجاز لقيادة قافلة الحج الشامي، وقبل خروجه سعى في محاولة منه للإصلاح بين أوجاق اليرلية وأوجاق القابي قول وساعده في ذلك نقيب الأشراف والعلماء، وكتبوا عليهم "حجة بحضور القاضي والمفتي وأعيان البلدة، أن كل من تعدى يكون عنده مائة كيس لمطبخ السلطان، ودمه مهدور".[٣]

ويبدو أن محاولة الوالي للإصلاح بين الأوجاقين لم تجد، إذ سرعان ما عاد القتال بين الطرفين، بعد خروج الوالي للحج، ونشبت حرب بين الأحياء في المدينة، ونلحظ تعصب أحياء المدينة بعضها على بعض واستعانة كل منها بفريق من الأجناد، فقد وقفت العامة والأشراف مع اليرلية،[٤] أما الدالاتية والأكراد والعنابتية [٥] فقد وقفوا إلى جانب القابي قول وقام معها أهل العمارة، وأغاروا على الدرويشة فنهضت القابي قول وحرقت حواصل الإنكشارية اليرلية المليئة بالخشب في حي الدرويشية على يد أهل العمارة والقابي قول، وكانت تساوي عدة أكياس من المال[٦] وقد رد اليرلية من أهل الدرويشية على ذلك بالهجوم على أهل حي العمارة "وشردت أهلها ونساءها وأولادها إلى الجامع الأموي"، وفي الجولة الثانية من المعركة التي وقعت بعد أيام بين الطرفين انقلب كل من المواصلة والأكراد والدالاتية وساندوا اليرلية، ونتيجة لذلك وقع . القتال بينهم وبين القابي قول.

---

(١) البديري-حوادث، ص ٢٠١.

(٢) رافق-بلاد الشام ، ص ٣٥٢.

(٣) البديري-حوادث، ص ٢٠١.

(٤) من خلال تتبع البديري المعارك التي كانت تحدث في الأحياء، يظهر تعضيد العامة لليرلية في أكثر من موضع، ونستطيع أن نلمس ميل البديري لجهة اليرلية من خلال وصفه لقسوة القابي قول وعسكر الوالي الغرباء، فذكره لليرلية يرتبط بعبارة: "ومعهم العامة"، ونستطيع أن نلمس ذلك في عهد كلاً من حسين باشا بن مكي وعبد الله باشا الشتجي الذي سيأتي ذكره. أنظر البديري-حوادث، ص ٢٠١-٢٠٢-٢٠٣، عبد الغني - السلطة، ص ١٣١.

(٥) البديري-حوادث، ص ٢٠٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن سبب الفتنة هو قدوم رجل كردي اسمه ولي من جماعة أسعد باشا العظم، وكان معروف عنه الظلم والعدوان على أهالي دمشق، لذلك فقد قامت عليه الإنكشارية اليرلية والعامة وطالبوا بقتله، إلا أنه التجأ إلى القابي قول في قلعة دمشق، وطالب أهل الشام والي دمشق بصوت واحد "بأننا لا نريد غريب في بلدتنا، فأخرج لهم الباشا بيردي"[١] إلا أن الرجل أبى الخروج ويبدو أنه طمع لكونه احتمى عند القابي قول بالقلعة.[٢]

في هذه الأجواء انتهز البدو الفرصة ونهبوا قافلة الحج الشامي، فلما وصلت أخبار نهب قافلة الحج وإبادتها ما بين معان والقطرانة عام (١١٧١هـ-١٧٥٧م، "ضجت العالم وتباكت الخلق وأظلمت الشام"،[٣] وبقيت دمشق في حالة من الفوضى، وتجدد القتال بين عسكر دمشق اليرلية والقابي قول[٤] إلى أن عزل حسين باشا بن مكي، وتولى دمشق عبد الله باشا الشتحي[٥] وقد تميز عن غيره من ولاة دمشق بأنه قبل تعيينه على دمشق كان أحد القادة العسكريين المشهورين، لذلك تم اختياره من قبل الدولة العثمانية لولاية الشام للقضاء على الفوضى فيها، فدخل دمشق في ٢٧ ربيع الثاني ١١٧١هـ/٨ كانون الثاني ١٧٥٨م، ويوم دخوله كان يوماً مشهوداً[٦] وقد دخل الوالي الجديد دمشق ومعه قوة عسكرية ضخمة متنوعة الجنود ليواجه بها الجناحين المتصارعين في دمشق اليرلية والقابي قول. وقد أشارت المصادر إلى حجم تلك القوى العسكرية الضخمة ،فقد قدر القاري القوة العسكرية التي دخلت دمشق بنحو خمسة آلاف جندي،[٧] وأشار المرادي إلى أن عبد الله باشا "جاء بعسكر غزير إلى دمشق مختلف الأجناس"[٨]. وذكر ميخائيل الدمشقي أنه كان معه عساكر كثيرون مثل جراد زحاف أشكال وألوان".[٩] أما

---

(١) أي أمر عال بأن لا يبقى في الشام هذا الغريب.

(٢) البديري-حوادث، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

(٤) نفسه، ص٢١٠.

(٥) أو الجنه جي تعني قاطع الطريق، واستخدمت أيضاً بمعنى الغازي أو المغوار - المغير، ووصف بأنه كان "رجلاً داهية، وكان عالماً فاضلاً وأديباً. للمزيد حول ترجمته انظر المرادي- سلك الدرر، ج١، ص٩٨، ج٣، ص٨١-٨٢. القاري - الوزراء الذين حكموا دمشق، ص٨١..Volney. Travels, pp.317-319

(٦) القاري-الوزراء ، ص ٨١.

(٧) المصدر نفسه، ص ٨١.

(٨) المرادي-سلك الدرر، ج١، ص ٩٨، ج٣، ص ٨١-٨٢.

(٩) بريك-تاريخ الشام، ص ٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البديري فقد ذكر أن دخوله لم يعهد لغيره ودخل معه "عسكر جرار، فكان معه أربعون بيرقاً من الدالاتية وخمسون بيرقاً من اللاوند وعشرين بيرقاً من الأرنؤوط".[١] وهذه دلالة على زيادة اعتماد الوالي على القوات المرتزقة بشكل ملحوظ، ويبدو أن دخوله كان بمثابة إعلان عن قوته العسكرية، بسبب كثرة وتنوع الجنود لمرافقة له، وما إن وصل دمشق حتى بدأ بالبحث عن المشاغبين من اليرلية.[٢] وتمثل موقف هؤلاء في الرد عليه بإظهار الشجاعة وقلة الخوف منه، حتى أنهم قالوا حسب رواية البديري عن هذه الحادثة "نحن لا نحسب حسابه، ولو كان عسكره أضعافنا".[٣] وقام هؤلاء باستنفار أفرادهم وكان عددهم حسب ما يشير البديري نحو عشرين ألفاً وأكثر،[٤] واجتمعوا في حي الميدان، وبدأوا بإطلاق النار اتجاه باب السرايا.[٥] ولإعطاء صفة الشرعية لرد عبدالله باشا ضد اليرلية، دعا إلى ديوان حضرة الأعيان وكبار العلماء،[٦] وحدث كثير من القتل والعنف، وقد خاض عبد الله باشا حرباً شرسة ضد اليرلية في الشوارع والأحياء ليكسر شوكتهم[٧] وخاصة في حي الميدان حيث تجمع اليرلية، وقتل فيه ما ينيف عن (٥٠٠) فرد.[٨]

ويصف المؤرخ المعاصر البديري أثر هذه الحادثة على دمشق وأحيائها "وانتكبت أهل الشام نكبة في ذلك العام، ما عهدت من أيام تيمور".[٩] أما بقية العسكر التابعين للوالي فإنهم "لم يتركوا بيتاً ولا دكاناً ولا امرأة ولا طفلاً إلا استعملوا النهب والسبي وهتك الأعراض من سلب النساء الحلي وسلب البنات الأبكار...ويقولون عن أهل الشام كلكم كفار ونصارى وأشرار ... وأرادت

---

(١) البديري-حوادث، ص ٢١٢.

(٢) رافق- بلاد الشام ، ص ٣٥٢-٣٥٣.

(٣) هذه رواية البديري أما رواية كل من القاري وبريك فتشيران إلى أن وصول الوالي الجديد بهذه الجموع الضخمة قد ألقى الرعب في قلوب الإنكشارية. أنظر القاري- الوزراء، ص ٨١. بريك-تاريخ الشام، ص ٦٢.

(٤) البديري-حوادث، ص ٢١٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢١٣-٢١٤، رافق- بلاد الشام، ص ٢٥٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢١٣-٢١٤، رافق- بلاد الشام، ص ٢٥٣.

(٧) القاري- الوزراء، ص ٨١، عبد الغني -السلطة، ص ٨٦.

(٨) بريك-تاريخ الشام، ص ٦٢-٦٣، البديري-حوادث، ص ٢١٥-٢١٦.

(٩) وقد كانت هذه آخر فتنة بين طوائف الجند يتحدث عنها البديري، أنظر البديري-حوادث، ص ٢١٤-٢١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهل الشام أن تقاتلهم ولكن لم يجدوا أحداً يأخذ بيدهم".[١] وقد ذكر حيدر الشهابي هذه الحادثة، ولكنه أشار إلى انتصار الإنكشارية اليرلية، وعلل ذلك بسبب مساعدة الدروز لهم،[٢] وهذا يتنافى مع ما ذكره البديري في روايته السابقة، ويبدو أن الأدق والأرجح هي رواية البديري، لأنه عاصر تلك الأحداث ودونها، والقاري بدوره يؤيد البديري في هزيمة الإنكشارية اليرلية، ويضيف إلى ذلك أن عبد الله باشا فتح قلعة الكرك، وبعث إليها اليرلية حتى يبعدهم عن دمشق.[٣]

وتدل إقامة اليرلية في الكرك على خضوعهم للأوامر وانتظامهم بمهامه الرئيسية في حماية القلاع وتأمين طريق الحاج، وعودة القابي قول إلى حماية قلعة دمشق وأبواب وأسوار المدينة.

وهكذا يتضح مما سبق أن انتصار عبد الله باشا على اليرلية، قد أثر على وضعهم في المدينة، بحيث قضى على نفوذهم فيها قضاءً حاسماً، وأضعف منافستهم للقابي قول والولاة، وقويت السلطة العثمانية في المدينة، وعبر المؤرخ المعاصر ميخائيل بريك، عن ذلك بقوله أن عبد الله باشا "فتح الشام".[٤] فكافأته الدولة العثمانية بكميات من النقود الذهبية نحو مائتي ألف قرش، وهذه دلالة على أن دمشق كان لها أهمية كبرى بالنسبة للدول العثمانية، بسبب دورها في قيادة الحج الشامي.[٥] أما أهل الشام فقد رفضوا التعامل مع عبدالله باشا الجتجي لأنه من وجهة نظرهم قد مزق الإنكشارية المحلية التي كانوا يحتمون بها،[٦] وعبروا عن موقفهم عن طريق عدم فتح محلاتهم، واختفوا في بيوتهم، إلى مزج الوالي لقيادة قافلة الحج. وعلق ميخائيل بريك على هذا لوضع بقوله "وهذا الذل كله من سماح الله".[٧]

ويبدو أن عسكر الوالي قد تبجحوا نتيجة لنجاحهم في القضاء على اليرلية، واتجهوا إلى النهب والسلب، خاصة عندما قطع الوالي عنهم علوفتهم، فصاروا يغيرون على القرى وينهبون

---

(١) البديري-حوادث، ص ٢١٥-٢١٧.

(٢) الشهابي- لبنان ، ج١، ص ٤٥.

(٣) القاري-الوزراء، ص ٨٢، رافق-بلاد الشام، ص ٣٥٤.

(٤) وقد وصف بريك نكبة الشام بقوله "ابتدأ أول المخاض للعوان والظلم والمظالم والبلص، ووقع الخوف والرجفة على جميع أهالي البلد، وتفرعن العسكر (المرتزقة) وتمردوا كالأسود كأنهم فتحوا قلعة بير الأغراض (بلغراد). أنظر بريك-تاريخ الشام، ص ٦٢-٦٣-٦٤، القاري-الوزراء، ص ٨١-٨٢.

(٥) جب ويوون-المجتمع الإسلامي، ج٢-ص ٣١.

(٦) البديري-حوادث، ص ١٥-٢١٧.

(٧) بريك-تاريخ الشام، ص ٦٤-٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأموال والأعراض والأولاد،وكسروا الشجر وشلحوا البشر[١] ويذكر البديري أن والي دمشق عبد الله باشا الجتجي لم يكن راضياً عن سلوكهم، بدليل أنه كان يحاول تأديبهم [٢] ونلحظ هنا أن البديري قد أنصف عبدالله باشا، أما بريك فقد ذكر أن عبد الله باشا شارك عساكره في ظلم ونهب أهالي دمشق،وقد عبر عن ذلك بقوله "بأن دخل على الوزير في مدة سبعين يوماً نحو أربعة آلاف كيس من ظلم أهالي دمشق من الموالي والرعية والحرف ومن النصارى والإفرنج واليهود ومن البستانية ومن أهالي الأراضي، ومن أهالي القرايا التي حول الشام... وطافت عساكر الوالي على القرى والضيع التي حوالي (حول) الشام ونهبوها، ورحلوا الفلاحين".[٣]

وفي عام ١١٧٢هـ-١٧٥٨م، أصدر والي دمشق أمراً برحيل هذه القوات من الشام "وأن لا يبقى من لا شغل له ولا صنعة"،[٤] وفي هذه الأثناء وصل فرمان من الدولة العثمانية بعزل عبد الله باشا الجتجي.[٥]

وخلال الفترة التي تلت عزل عبد الله باشا الشتجي لم يقم اليرلية بأي تمرد يذكر بسبب النكبة التي لحقت بهم على يد عبد الله باشا الشتجي، بالإضافة إلى أخطار الزلازل التي تكرر حدوثها[٦] واستمرت حالة الهدوء بين العسكر في عهد الولاة الذين تلوا عبد الله باشا الشتجي.[٧] وبلغت أوجها في عهد محمد باشا العظم[٨] في عام ١١٨٥هـ/٢٢ تشرين الأول ١٧٧١م، وتشير المصادر أن من الأسباب التي ساهمت في هذا الهدوء، شعور المهانة الذي ما زال مسيطراً على

---

(١) البديري-حوادث، ص ٢١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٤.

(٣) بريك-تاريخ الشام، ص ٦٤.

(٤) القاري-الوزراء، ص ٨٣.

(٥) تم عزله في جمادى الثاني ١١٧٢هـ/ شباط ١٧٦٠م/ . انظر البديري-حوادث، ٢٢٢.

(٦) وكان أقوى تلك الزلازل زلزلتان حدثت الأولى منهما في ٨ ربيع الأول ١١٧٣هـ/ تشرين الأول ١٧٥٩، والثانية في تشرين الثاني من السنة نفسها، وأعقب ذلك طاعون شديد نتج عن الدمار الذي أحدثته الزلازل أنظر البديري-حوادث، ص ٢٢٢-٢٢٦، رافق-بلاد الشام ، ص ٣٥٥.

(٧) القاري-الوزراء، ص ٨٢، المرادي-سلك الدرر، ج٣، ص ٨٢. البديري-حوادث، ص ٢١٢.

(٨) محمد باشا العظم هو حفيد اسماعيل باشا العظم، من كبراء آل العظم ومشاهيرهم لازم خاله سعد الدين باشا في حلب وطرابلس، وبعد وفاة خاله أنعمت عليه الدولة رتبة أمير أمراء (باشا بطوخين) ثم رتبة الوزارة (باشا بثلاثة أطواخ)، وولي على صيدا عام ١١٧٦هـ/١٧٦٢م، ثم نقل إلى حلب، وبعدها إلى أورفة، وتمكن من العودة إلى صيدا، ثم نقل إلى دمشق عام ١١٨٥هـ/١٧٧١م فكان أول من وليها من آل العظم بعد نقل أسعد باشا العظم منها منذ خمسة عشر عاماً. انظر المرادي-سلك الدرر، ج ٤- ص٩٧- ١٠٢، الدمشقي-تاريخ حوادث الشام ولبنان، ص ١١. Rafeq, The Province of Damascus, pp.281-288 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطوائف العسكرية في المدينة وخاصة اليرلية، والأخطار التي أحدقت بمدينة دمشق في أول ولايته[١] إضافة إلى تجمع القوات العثمانية في المدينة لغرض الهيبة في نفوس الأهالي، وسياسة التقريب التي اتبعها الوالي الجديد من وجاق اليرلية ووجاق القابي قول.

وفي عام ١١٨٧هـ/١٧٧٣م قام بالقبض على آغا الإنكشارية عثمان بن شبيب وخنقه وضبط ماله لأنه كان ظالماً وسيفه[٢] ولم يثر اليرلية لذلك، ربما لإن الاغا لم يعد يمثل مصالح اليرلية المختلفة، ومما يؤيد هذا القول أن يوسف آغا بن جبري قد قتل ولم يثأرله. ويبدو أن الذي ساعد محمد باشا في السيطرة على اليرلية، ومنحه دعماً كبيراً في مدينة دمشق، إشغال أفراد كثر من آل العظم المناصب العليا في الطائفة اليرلية.[٣]

ويصف المرادي حالة الهدوء في دمشق في عهد محمد باشا العظم بقوله وراقت دمشق وما والاها في أيامه، وصفا لأهلها العيش الفتن وسلم الناس من الأحن".[٤] وكانت أيامه مواسم أفراح.[٥] ويبدو أن المرادي كان معجباً بسيرة محمد باشا العظم ، خاصة عندما يذكر عنه "أنه أحسن من أدركناه من ولاة دمشق وأكملهم رأياً وتدبيراً".[٦] وهذا ما يفسر عدم ذكر المرادي في كتابه "سلك الدرر" ترجمة أحد ن آل العظم باستثناء محمد باشا العظم.[٧]

ويذكر ابن الصديق أن محمد باشا عين بعض العسكر، المقربين منه في الوظائف الهامة "وأحضر فروة سمور لبسها إلى مصطفى آغا آغات القابي قول، عملوا متسلم في أثناء غيبته إلى الحج في الشام، وعزل سليمان آغا آغات اليرلية، وعمل ابن شبيب عصمان (عثمان) آغا آغة اليرلية على جميع الأياباشية [٨] والجوربجية[٩] والأنفار".[١٠] كما أن السلطان العثماني أصدر فرمان

---

(١) رافق-بلاد الشام ، ص ٣٨٦.

(٢) وعثمان باشا بن شبيب كان قد أتى به إلى هذا المنصب من قبل محمد باشا العظم أنظر بريك-تاريخ الشام، ص ١١٠، ابن الصديق-غرائب البدائع، ص ٩١.

(٣) ابن الصديق- غرائب البديع ، ص ١٤.

(٤) المرادي-سلك الدرر، ج٤، ص ١٠١، الطباخ- أعلام النبلاء، ج٣، ص ٢٧٧.

(٥) المرادي-سلك الدرر، ج٤، ص ١٠١، الطباخ- أعلام النبلاء ، ج٣، ص ٢٧٧.

(٦) المرادي-سلك الدرر، ج٤،ص ١٠٢،الطباخ-أعلام النبلاء، ج٣، ص ١٧٨.

(٧)رافق-بلاد الشام ، ص ٣٧٨. Rareq, The province of Damascus, P 329-330

(٨) شوكت محمود- التشكيلات والأزياء، ص ٤٣، نعيسة-مجتمع مدينة دمشق،ج٢، ص ٦٨٩.

(٩)كرد علي-خطط الشام، ج٥،ص ٢٨. جب ويوون- المجتمع الإسلامي ، ج١، ص٩٠،

(١٠) ابن الصديق-غرائب بالبدائع ، ص ٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مضمونه تخصيص اعتمادات لإدخال أناس جدد من أوجاق الإنكشارية، أطلق عليها اسم "أسامة"،[١] وبلغ عددها ١٢٠ أسامة، [٢] انعام من السلطان إلى أوجاق اليرلية، وبذلك يكون مجموع الأسامي ألفين وسبعين أسامة بالشام.[٣]

وأعطيت نيابة القدس إلى حسين أفندي بن الشيخ مراد.[٤] وعين يحيى آغا "آلاي بيك" "ضابط على الزعما وأرباب التيمار".[٥]

واستمر حكم محمد باشا لدمشق، و لم يكن فيه معارضة أو تمرد يذكر من قبل العسكر أو الأهالي، مع أن دمشق كانت تفقد سيطرتها على المنطقة بسبب ظهور الجزار في عكا، على الرغم من ذلك إلا أن دمشق استمرت بالتمتع بازدهار اقتصادي[٦]

ويبدوا أن الفوضى عادت لدمشق بعد وفاة محمد باشا العظم، حيث شهدت المدينة في عهد إبراهيم باشا الدالاتي ١٧٨٦-١٧٩٠ مواجهة بين وجاق اليرلية ووجاق القابي قول، بقيادة أحمد آغا الزعفرنجي،[٧] والأهالي وبين عسكر الوالي، بعد أن وجهوا مدافعهم من القلعة على السراي مقر إقامة الوالي. [٨] وقد أدى القتال إلى خروج الوالي "بحال مقهر"[٩] إلا أن توسط الشيخ أحمد العطار وبعض العلماء أدى إلى تجنب المدينة حرب شديدة. [١٠] وبعد ذلك بتسع سنوات تمرد القابي قول على عبد الله باشا العظم عام ١٧٩٩-١٨٠٠ وتحصنوا في القلعة، وتمكن من إعدام

---

(١) رافق-بلاد الشام ، ص ٨٤.

(٢) ابن الصديق-غرائب البدائع، ص ٩١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩١.

(٤) نفسه، ص ٩١.

(٥) نفسه، ص ٩١.

(٦) شيشلر-مظاهر من الحياة العسكرية، ص ٣٣٩.

(٧) ونلاحظ هنا الاتفاق بين وجاق اليرلية ووجاق القابي قول ضد الوالي، وربما يكون ذلك ناتج عن السياسة التي اتبعها والي دمشق السابق محمد باشا العظم في التوحيد بين الوجاقين بتقريبهما له . أنظر القاري-الوزراء، ص ٨٦-٨٧.

(٨) المصدر نفسه، ص ٨٦-٨٧.

(٩) واستعان عليهم بعشرة آلاف درزي من جبل الدروز أنظر المصدر نفسه، ص ٨٦-٨٧.

(١٠) الدمشقي-حوادث الشام ولبنان، ص ١٤-١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زعيمهم مصطفى أرفلي أوكركتلي بعد حصار القلعة.[١] واستمر القتال يهدأ ويتجدد في دمشق حتى استنفذت الأطراف المتصارعة كل إمكانياتها، لقد كانت المشكلة التي يعاني منها الولاة هي عدم امتلاكهم "الإمرة" المباشرة على القوات النظامية الرسمية.[٢] ويبدو أن الوالي كان ملزماً بالحصول على "فرمان" سلطاني إذا أراد استخدام القوات النظامية في مهمات غير محددة لهم من قبل الدولة العثمانية.[٣] فعلى سبيل المثال عندما كانت قوات أبي الذهب في طريقها لاحتلال دمشق، طلب والي الشام قوات إضافية لحماية الجردة المرسلة إلى قافلة الحج الشامي وكان عددها خمسة آلاف عسكري، رتبها على الشكل الآتي "ألف من أوجاق الينكرجية، والزعما، وألفين من أوجاق القابي قول، وألفين من أهالي البر واتفق الجميع معه على هذا الأمر، وذهبوا من عنده حتى يجمعوا أنفارهم، وجمع اختيارية الأوجاق المتكلمين في الأوجاقات".[٤]

وجمع آغا القابي قول أنفاره، فرددوا له الجواب "هذا الأمر ليس مطلوباً منا، ونحن السلطان أمرنا بمحافظة قلعة الشام، فإن كان معه (الوالي) فرمان من السلطان أو من الآغا (في العاصمة) مكتوب يظهره معنا حتى أنروح معه إلى الجردة، وسابقاً طلعنا مع أبوه ونفقنا أموال لها جانب غيره على حجاج المسلمين، والآن نحن من غير أمر السلطان إلى الجردة، لا نذهب معه، وخرجوا من عند الآغا مظهرين الغيظ".[٥]

ويظهر أن ولاة دمشق تجنبوا الاعتماد على هذه القوات النظامية، وسعوا إلى تعزيز قواتهم (غير النظامية) المرتزقة، التي تحقق لهم أكبر قدر من النفوذ والسيطرة، بسبب ارتباط آغاوات العسكر بالإدارة المركزية في استانبول، وكونهم يشكلوا عقبة أمام الولاة الراغبين في ترسيخ مركز القوة داخل المدينة.[٦]

ومن خلال النظر إلى حوادث شغب العسكر في دمشق، نلحظ أن النزاع كان يتجدد كلما

---

(١)الدمشقي-حوادث الشام ولبنان، ص ٢٤.

(٢) عبد الغني - السلطة ، ص ١٢٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٥.

(٤) أي كبراء الجند وأصحاب المناصب وكبراء أهل الشام المتنفذين أنظر ابن الصديق-غرائب البدائع، ص٣٣-٣٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٦) نفسه، ص ١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اهتزت العلاقات بين الولاية والعاصمة، وهذا دليل على أن محاولات التحجيم والإبعاد قد تركزت على الإنكشارية اليرلية، وذلك لارتباطها الدقيق والعميق مع المجتمع المحلي، وشكلوا محور لا بد من التعامل معه من قبل الولاة، إما بالتحجيم والابعاد ، التحالف أو التعاون.

ومن هذه الشواهد نلاحظ أن القرن الثامن عشر اتسم لدى القوات العسكرية بجناحيها اليرلية والقابي قول، بالشغب وعدم الانضباط.

٢- تحليل لعوامل الصراع العصبيات بين العسكرية :

شهدت مدينة دمشق صراعاً حاداً، وتنافساً شديداً بين الطوائف العسكرية المتنوعة المتواجدة في المدينة، وقد ساهم في إذكاء هذا الصراع والتنافس عوامل متداخلة ومتنوعة.

١- كان الحفاظ على سمعة الفرقة العسكرية وهيبتها، يقف وراء بعض المنازعات الدموية التي وقعت بين الفرق العسكرية المتعددة، وبالتالي إلى تعزيز أواصر التضامن بينها إلى حد يمكننا من وصفه "العصبية العسكرية"،[١]ففي عام ١١٥٥هـ/١٧٤٢ نشب قتال بين الدالاتية والإنكشارية القابي قول[٢] وتبين أن سبب القتال هو أن "بعض الموصلية والبغادة، الذين كانوا قابي قول وطردوا في زمن عثمان باشا المحصل،[٣] حين قتلوا بعض الإنكشارية مرادهم الان يعملوا فتن".[٤] وهذا يدل على أن رد الاعتبار والثأر لا بد منه للحفاظ على السمعة والهيبة للفرق العسكرية.

٢- ونلاحظ من خلال تتبع الصدامات بين الطوائف العسكرية أن أكثرها كان يحدث أثناء غياب الوالي عن دمشق، بسبب تكليفه بقيادة قافلة الحج الشامي،ففي عام ١١٥٥هـ-١٧٤٢م، وقعت فتنة بين الدالاتية واللاوند والأكراد "حتى توقفت صلاة الجمعة في كثير من الجوامع"[٥] وفي هذه الأثناء كان الوالي سليمان باشا العظم غائباً عن دمشق لقيادة قافلة الحج الشامي، فاستغلت الطوائف العسكرية عدم وجود رقيب عليها لإثارة الفتن في المدينة.

٣- وقد كان التضامن في إطار العصبية العسكرية، يتم إلحاقه في بعض الأحيان، بنوع من

---

(١)عبد الغني - السلطة، ص ١٢٧.

(٢) المرجع نفسه، ص١٢٧.

(٣) أي تشتيت القابي قول على يد عثمان باشا المحصل في المنازعات الدموية التي حدثت عام ١٧٤٠م، أنظر البديري-حوادث، ص ٢٥، بريك-تاريخ الشام، ص ٢٧.

(٤) البديري حوادث، ص ١٩-٢٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣١-٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحماية للأفراد من قبل عصبيتهم، التي ينتمون إليها، والتي كلما قويت، زاد ذلك من نفوذهم، ويشير البديري إلى العديد من الحوادث التي تدل على ذلك.ففي عام ١١٦٣هـ-١٧٤٩م "قتل رجل كردي،[١] ولم يعلم غريمه فاتهموا فيه رجلاً بغدادياً، فتسلحت الأكراد، ونزلت حتى وصلت إلى الدرويشية وباب الحابية لعلهم يصادفون أحداً من البغادة ليقتلوه فلم يجدوا".[٢] ويبدو أن الأكراد كانوا مصممين على أخذ ثأر القتيل، لذلك بعد أيام "قتل الأكراد اثنين من البغادة".[٣]

ويلاحظ من هذه الحادثة أن التفنكجية والموصلية (جند من الموصل) والقابي قول قد ساندوا البغادة بالإضافة إلى وقوف الدالاتية إلى جانبهم سابقاً[٤] وفي هذا المجال يقول البديري "فتسلحت البغادة والموصلية وساعدته التفنكجية والقابي قول، وطلبوا خان الأكراد، فرمى الأكراد عليهم طلقاً من الرصاص، فقتلوا جماعة وجرحوا، فرجعوا على الأكراد ونهبوا بعض قهواتهم".[٥] ونستدل من مساندة القابي قول والتفنكجية والدالاتية للبغادة، أن هؤلاء كانوا موزعين في أكثر من فرقة عسكرية مما كان يوفر لهم دعماً كبيراً. أما الأكراد فقد تجمع معظمهم في طائفة خاصة بهم وهي طائفة اللاوند.[٦]

ويشير البديري إلى أن أفراد هذه الطائفة قد ازداد نفوذهم وقوتهم، حتى أنهم اعتمدوا على أنفسهم، لرد اعتبارهم ولم يعودوا للوالي والقاضي "فقد ظهر خبر بأن امرأة قتلت زوجها مع جماعة من الأشقياء، بدعوى أنه ينام مع مملوكه ولا ينام معها، وبعد قتله دفنوه في دهليز البيت، والقتيل ينتسب إلى الأكراد، وله قهوة سوق الخيل، واسمه درويش آغا، فقامت الأكراد على ساقها في سوق الخيل...وألقوا القبض على الجميع، وجاءوا إلى الطبجي وقطعوه قطعاً وقتلوا الرجل وأخا الزوجة، أما المرأة فإنهم أخذوها وأغرقوها في مغرق البحصافي نهر بردى، ولم يسألوا عن الحاكم، والحاكم لم يتعرض لهم".[٧]

---

(١) يقال له قرده مصطفى في الحداد.

(٢) البديري-حوادث، ص ١٤٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٤) نفسه، ص ١٤٨.

(٥) نفسه، ص ١٤٨.

(٦) نفسه، ص ٣١-٣٢.

(٧) نفسه، ص ١٨٥-١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- ومن خلال تتبع الصراع بين الفرق العسكرية المتنوعة، نلحظ أن العلاقة التي كانت سائدة بينها، كانت علاقة سيئة تتسم بالعداء الشديد، الأمر الذي يجعل عملية تكوين تحالفات لمدة طويلة بين أقسام منها، أمراً مشكوكاً فيه[١]

ففي المنازعات الدموية التي وقعت في دمشق عام ١١٧٠هـ-١٧٥٦ وقف كل من فرق الأكراد الدالاتية والمواصلة القابي قول، واشتركوا معهم في محاصرة الحارات التي يقطن فيها اليرلية، وبعد عدة أيام، نشبت معركة بين الطرفين، وساند الأكراد والدالاتية والمواصلة اليرلية، لذلك عاد القابي قول "كارين على المواصلة والبغادة والدالاتية وحاصروهم، ووقع القتال بين الطائفتين".[٢]

٥- لقد كان التنافس بين أهل الحرفة الواحدة، سبباً في حدوث الصدامات والتحديات بين الفرق العسكرية، لم يوقفها المخاطر الخارجية التي كانت تهدد مدينة دمشق، فابن الصديق يذكر أنه بعد انتهاء القوات العسكرية العثمانية من مواجهة القوات المملوكية بقيادة أبي الذهب وهي في طريق عودتها إلى دمشق، كاد أن يحدث نزاع بين اللاوند واليرلية، لولا أن تدخل الوالي وكبار الضباط، ويشير ابن الصديق إلى ذلك فيقول "صار عسكر اللاوند يستهزي على الينكجرية (اليرلية)، صار عسكر اللاوند يستهزئ على الينكرجية، وكذلك الينكرجية يستهزؤا على اللوند، فأخبروا يوسف آغا، فأخذ الينكرجية والزعماء، وأخذ إذن من الباشا أن يفرق على درب إربد،[٣] فسأله الباشا عن سبب ذلك وقال له صاير بين الينكجرية واللاوند نزاع، فإذا مشوا سوا يقع بيناتهم، فأعطى إذن، ففرق من المخاضة وطلب إربد، فوصل إلى إربد ومن إربد إلى المزيريب، ومن مزيريب إلى الشام".[٤]

٦- ويبدو أن هذه المحاولات للقضاء على النزاع لم تكن حاسمة، إذ سرعان ما عاد وتجدد القتال بشكل عنيف، بعد عدة أيام في مدينة دمشق "وقعت فتنة شديدة ما بين طائفة المغاربة وأوجاق القابي قول، وكان سبب ذلك لعب الحكم من تحت رأس ملس،[٥] فقتل من الطائفتين

---

(١) عبد الغني -السلطة، ص ١٢٦.

(٢) البديري-حوادث، ص ٢٠٠-٢٠١-٢٠٢.

(٣)أي يذهب كل فريق من جهة.

(٤) ابن الصديق-غرائب البدائع، ص ٢٧.

(٥) أي أنه أوقع بينهما دون علمهما.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- ومن خلال تتبع الصراع بين الفرق العسكرية المتنوعة، نلحظ أن العلاقة التي كانت سائدة بينها، كانت علاقة سيئة تتسم بالعداء الشديد، الأمر الذي يجعل عملية تكوين تحالفات لمدة طويلة بين أقسام منها، أمراً مشكوكاً فيه[١]

ففي المنازعات الدموية التي وقعت في دمشق عام ١١٧٠هـ-١٧٥٦ وقف كل من فرق الأكراد الدالاتية والمواصلة القابي قول، واشتركوا معهم في محاصرة الحارات التي يقطن فيها اليرلية، وبعد عدة أيام، نشبت معركة بين الطرفين، وساند الأكراد والدالاتية والمواصلة اليرلية، لذلك عاد القابي قول "كارين على المواصلة والبغادة والدالاتية وحاصروهم، ووقع القتال بين الطائفتين".[٢]

٥- لقد كان التنافس بين أهل الحرفة الواحدة، سبباً في حدوث الصدامات والتحديات بين الفرق العسكرية، لم يوقفها المخاطر الخارجية التي كانت تهدد مدينة دمشق، فابن الصديق يذكر أنه بعد انتهاء القوات العسكرية العثمانية من مواجهة القوات المملوكية بقيادة أبي الذهب وهي في طريق عودتها إلى دمشق، كاد أن يحدث نزاع بين اللاوند واليرلية، لولا أن تدخل الوالي وكبار الضباط، ويشير ابن الصديق إلى ذلك فيقول "صار عسكر اللاوند يستهزي على الينكجرية (اليرلية)، صار عسكر اللاوند يستهزئ على الينكجرية، وكذلك الينكجرية يستهزؤا على اللوند، فأخبروا يوسف آغا، فأخذ الينكجرية والزعماء، وأخذ إذن من الباشا أن يفرق على درب إربد،[٣] فسأله الباشا عن سبب ذلك وقال له صاير بين الينكجرية واللاوند نزاع، فإذا مشوا سوا يقع بيناتهم، فأعطى إذن، ففرق من المخاضة وطلب إربد، فوصل إلى إربد ومن إربد إلى المزيريب، ومن مزيريب إلى الشام".[٤]

٦- ويبدو أن هذه المحاولات للقضاء على النزاع لم تكن حاسمة، إذ سرعان ما عاد وتجدد القتال بشكل عنيف، بعد عدة أيام في مدينة دمشق "وقعت فتنة شديدة ما بين طائفة المغاربة وأوجاق القابي قول، وكان سبب ذلك لعب الحكم من تحت رأس ملس،[٥] فقتل من الطائفتين

---

(١) عبد الغني -السلطة، ص ١٢٦.

(٢) البديري-حوادث، ص ٢٠٠-٢٠١-٢٠٢.

(٣)أي يذهب كل فريق من جهة.

(٤) ابن الصديق-غرائب البدائع، ص ٢٧.

(٥) أي أنه أوقع بينهما دون علمهما.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدار خمسة عشر رجلاً، والمجاريح أكثر من ثلاثين رجل، وصار الحرب بينهم مقدار ثلاثة أيام بلياليها".[١]

٧- ويظهر أن طائفة المغاربة قد تمتعت بسمعة عسكرية حسنة، في مجال إحداث المشاكل والصدامات العديدة، ففي عام ١١٦٤هـ-١٧٥١م حدثت فتنة بين المغاربة وأولاد حي الشاغور[٢] وبعد أربع سنوات "هاجمت المغاربة الباشا (حسين باشا بن مكي).. ثم قوسوا على العوام، فقتلوا مقدار عشر رجال، وحرقوا أيضاً محلات"،[٣] وبعد عدة أسابيع "وقعت فتنة بين المغاربة واللاوند والأكراد وقتل من الفريقين مقدار خمسة عشر رجلاً وسكرت الشام".[٤]

٨- ولم تقتصر الفتن بين الطوائف العسكرية المتنوعة، بل نلحظ في بعض الأحيان حدوث الفتن بين أفراد الطائفة نفسها، كما حدث عام ١١٦٣هـ-١٧٥٠م عندما قتل آغا القابي قول في القلعة، من قبل أحد أتباعه بتدبير من أحد الآغتين المعزولين قبله.[٥] وقد يتطور الأمر إلى حدوث قتال بينهم عندما يلتقون على جبهات القتال ففي عام ١١٨٥هـ-١٧٧١م عندما هاجمت قوات علي بك الكبير دمشق بقيادة محمد بك "أبي الذهب" كان في صفوفها مغرابة، كما وجد مغاربة في صفوف القوات المدافعة عن دمشق، ويشير ابن الصديق إلى تلك الحادثة بقوله "أمر أبو الذهب أن ينزلوا المغاربة إلى القتال، فنزلوا مقدار ثمانية ألف مغربي شقي، وانعقد الكون (دارت المعركة) بين المغاربة الأشقياء، فوقفوا الحرب مقدار مئة مغربي من مغاربةالشام، ومن أهل البلد مقدار مائتين رجل، وصار ضرب بارود بين الطائفتين".[٦]

٩- ويظهر أن حدوث الصراع بين مختلف الطوائف والفرق العسكرية المقيمة في مدينة دمشق، لم يكن سببه الطوائف والفرق العسكرية فقط، وما كان يستمر ويزداد لولا وجود عناصر

---

(١) ابن الصديق-غرائب البدائع، ص ٢٩ ويضيف ابن الصديق انه قد تم الإصلاح بين هذين الفريقين من الجند "وأشرطوا عليهم أن كل طائفة يقع منها الفساد فيكون جميع أهل البلد وعسكر الباشا قائم عليهم من كل طائفة وقع منها الفساد... وخروجهم من الشام".

(٢) ولم يذكر البديري الأسباب التي أدت إليها أنظر البديري-حوادث، ص ١٧١.

(٣) البديري-حوادث، ص ١٩٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٩٨.

(٥) لإن بدمشق ثلاثة آغاوات للقابي قول، وربما قتله بدافع. الحسد-أنظر البديري-حوادث، ص ١٦١.

(٦) ابن الصديق-غرائب البدائع،ص ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخرى على مستوى الدولة العثمانية الحاكمة، التي اتسمت في القرن الثامن عشر بتفكك المؤسسة العسكرية العثمانية، وأثر ذلك على الولايات التابعة لها، بالإضافة إلى سياسة الولاة في إضعاف جميع القوى المحلية من خلال توظيف صراعاتهم، بهدف توطيد نفوذهم وامتلاكهم السلطة.

ومن خلال تتبعنا لتمرد القوى العسكرية من خلال علاقتها بالوالي، وصراع العصبيات العسكرية في مدينة دمشق طوال فترة الدارسة، نلحظ أن الحلقة المركزية في صراعات العسكر، التي برزت بشكل واضح، حدثت بين العسكر الإنكشارية اليرلية والقابي قول. ويبدوا أن الفريقين قد فشلا في الانفراد بالساحة مدة طويلة، وبالتالي لم تسجل عمليات إلغاء في معادلة القوى العسكرية.[١]

ولكن من الملاحظ أنها حققت بعض الانتصارات، فخرجت القابي قول من دمشق وتم تشتيتها على يد عثمان باشا المحصل عام ١١٥٣هـ-١٧٤٠م لكن هذا لم يؤد إلى انفراد اليرلية بالمعادلة العسكرية مما أدى إلى استقدام العناصر العسكرية الأخرى وتعزيز وضعها لموازنة اليرلية، كما فعل أسعد باشا العظم، حين اعتمد على الدالاتية لضرب اليرلية عام ١١٥٨هـ/١٧٤٦م، وأيضاً لم تؤد هذه العملية إلى انفراد الدالاتية بدمشق بقدر ما أدت إلى عودة القابي قول في عهد أسعد باشا العظم.[٢]

وهكذا فإن أطراف المعادلة العسكرية في مدينة دمشق، قد دخلت بشكل أو بآخر في لعبة السلطة التي كانت بحاجة إلى هذا التنوع والصراع بين أطراف المعادلة العسكرية، وفي الوقت نفسه فإن هذه الفرق كانت بحاجة إلى حماية السلطة لها،[٣] ولم يكن بإمكان الوالي إلغاء أي من الفرق العسكرية المتنازعة بدون العودة إلى استانبول حيث المرجعية العسكرية لهذه الفرق، ومنها يستمد الحكام والآغاوات شرعيتهم، باستثناء القوات الخاصة (المرتزقة) التي كان يرتبط عددها ودورها بالولاة وإمكانياتهم المادية، بالرغم من أن التخلص منهم كان صعباً في كثير من الأحيان.

---

(١) عبد الغني - السلطة ، ص ١٢٩.

(٢) البديري-حوادث، ص ٧٢.

(٣) عبد الغني -السلطة، ص ١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

النشاط الاقتصادي للعسكر في مدينة دمشق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شهد الجيش العثماني في بلاد الشام، انضمام العناصر المحلية غير المدربة إلى صفوفه، على الرغم من تشدد الدولة العثمانية في عدم السماح لهم من الانضمام إلى القوات النظامية، إلا أن التقارب تم بين العنصرين، بسبب رغبة كل عنصر في الاستفادة من العنصر الآخر، والحصول على امتيازاته، فالعناصر المحلية أرادت أن تحمي مصالحها الاقتصادية بالاستفادة من الامتيازات التي كان يتمتع بها أفراد الإنكشارية، وكذلك الإنكشارية رغبت في الخروج من ثكناتها العسكرية ومشاركة السكان المحليين في العديد من النشاطات الاقتصادية.

وقد أسهم ذلك في انشغال الإنكشارية بالقضايا الاقتصادية، وعزوفهم عن القيام بأي نشاط عسكري، وإن شاركوا في القتال تقاعسوا أو انسحبوا.(١) وبذلك فقد خرجوا عن النظام والضبط العسكريين، وازداد انخراطهم في النشاطات الاقتصادية، لدرجة أن هذه القوات العسكرية أصبحت تدافع عن مصالحها المحلية أكثر مما تدافع عن مصالح الدولة، وبمرور الزمن أصبح العسكر يسيطرون على مختلف جوانب الحياة الاقتصادية، وقد أظهروا مهارة ودقة في هذا المجال، مما لم يظهروه عندما كانوا يمارسون النشاط العسكري ونستطيع إدراك ذلك ليس في استانبول فحسب، بل في الولايات التابعة لها في بلاد الشام، خاصة مدينة دمشق التي انفردت عن غيرها من ولايات بلاد الشام ماعدا حلب بوجود طائفتين من الإنكشارية هما اليرلية والقابي قول، اللذان لعبا دوراً كبيراً في السيطرة على الحياة الاقتصادية، خاصة اليرلية التي تسرب السكان المحليون إليها، حتى أنها عرفت باسم "المحلية" وقد سيطرت على كافة جوانب الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق خلال القرن الثامن عشر، لذا كان لا بد من التعرف على نشاط العسكر الاقتصادي في مدينة دمشق، من خلال الطوائف الحرفية.(٢)

-الطوائف الحرفية :

لعبت الطوائف الحرفية دوراً أساسياً على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي في

---

(١) رافق-مظاهر من الحياة العسكرية، ص ٩٣.

(٢) أو الأصناف وقد استخدمت هذه الكلمة في العهد العثماني، و أطلق على أصحاب الحرف أو أرباب الحرف إلا أن لفظ طائفة كان الأكثر استخداماً أنظر س ٢٧، ص ٧١، غرة رجب ١١١٣هـ/١٧٠١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدن بلاد الشام خلال العهد العثماني، وقد أطلقت كلمة طائفة على التنظيم الحرفي، ولم يقتصر استعمال كلمة "طائفة" على التنظيم الحرفي، إذ أطلقت أيضاً على طائفة دينية أو على أية طائفة عسكرية، مثل إقامة جماعة من المقيمين الأغراب، كما هو الحال في طائفة المغاربة أو طائفة البغاددة نسبة الى بغداد،كما استخدمت للدلالة على أية فئة اجتماعية قد تخل بالأمن، مثل طائفة قطاع الطرق (البدو) وطائفة السراقين، ومثال الطائفة الأخيرة أن امرأة اتهمت أخرى بسرقة اثني عشر قرشاً من جيبها في سوق الأروام بدمشق، وأنها التصقت بها وشقت الجيب، واعترفت المتهمة، أمام القاضي، أنها من طائفة السراقين، وتتخذ من ذلك حرفة ودأباً.[١]

ومن الملاحظ أنَّ هذه الطوائف الحرفية قد بلغت درجة كبيرة من التنظيم في الولايات العربية، خلال الحكم العثماني، إلا أن هذه الطوائف لم تكن متساوية في العدد، أو متشابهة، كما أنها لم تمتد جميعها إلى فترة الدراسة، بسبب تضاؤل أهميتها وعدم الحاجة إليها، وبعضها ازدهر وكثرت أنواعه بسبب الحاجة إليه،[٢] فمثلاً في مدينة دمشق وفي الربع الأول من القرن الثامن عشر، برزت طائفة الطواقية الذين يشتغلون الطواقي بالقوالب، وبطلت مقابل ذلك ثلاث طوائف هي طائفة الطواقي الزربا، وطائفة الزربابية، وطائفة طواقي المخمل[٣] كما أزداد شأن طائفة التبغ.[٤]

ويترأس الطائفة الحرفية (شيخ الطائفة) الذي ينتخبه أعضاء الطائفة من بين صفوفهم، ويقر القاضي انتخابه ثم ينصبه شيخاً على أعضاء الطائفة ويسجل ذلك في سجلات المحكمة الشرعية بدمشق، والعبارة التي تستخدمها السجلات الشرعية "أن القاضي فلاناً، نصب فلاناً شيخاً ومتكلماً على الطائفة الفلانية".[٥]

ويشير عبد الكريم رافق إلى أنه في بعض الحالات يطلق على شيخ الطائفة الحرفية لقب باشي، ويستشهد بطائفة القصابين بدمشق، التي عرف رئيسها بالقصاب باشي،وأحياناً بالشيخ،

---

(١) رافق-مظاهر من التنظيم الحرفي ص ٣٤.

(٢) رافق-مظاهر من التنظيم الحرفي، ص ٣٠-٣١.

(٣) رافق-مظاهر من التنظيمي الحرفي، ص ٣١.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣١.

(٥) المتكلم تعني هنا أن صاحبها يتكلم في مصالح الطائفة أو (الناطق في مصالح الطائفة اليوم)، أنظر المرجع نفسه، ص ٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي طائفة المعمارية التي عرف رئيسها بالمعمار باشي، وأطلق على رئيس طائفة الدباغين لقب أخي بابا، وأحياناً بابا[١].

لذا يتضح أن منصب الباشي في بعض الطوائف الحرفية قد وجد إلى جانب الشيخ، ويتم اختياره بنفس الطريقة التي يختار بها الشيخ، من قبل أعضاء الهيئة الاختيارية في الطائفة،[٢] فعلى سبيل المثال اختير السيد مصطفى جوربجي بن السيد محمد قواف باشي على طائفة البوابجية، وليكون أيضاً شيخاً على طائفة القوافين،[٣] ونستدل مما سبق أن مصطفى جوربجي جمع بين منصب الباشي ومنصب المشيخة المختلفين عن بعضهما، وهذا ينفي ما ذكره رافق.

ومهمة الباشي تقديم ما يحتاج إليه الوالي وعسكره من منتجات الطائفة.[٤] أما المدة التي يقضيها الباشي في منصبه فهي غير محددة، ويبدو أنها كانت مرتبطة بصفاته الشخصية وسلوكه، مثله في ذلك مثل الشيخ الذي كان يجب أن يتمتع بصفات شخصية تؤهله لمنصبه، كأن يكون على علم بأصول الحرفة، وذلك بهدف إتقانها، بعكس الباشي الذي لم يشترط له إتقان الحرفة[٥] ويلاحظ أن بعض مشايخ الحرف ورثوا المشيخة عن آبائهم أو إخوتهم ومع ذلك وجب عليهم الحصول على موافقة اختيارية الطائفة، وقام القاضي بتنصيبهم جميعاً.[٦]

---

(١) كلمة أخي مشتقة من العربية أخي التي اطلقت في الأناضول في بداية العهد العثماني، أما كلمة بابا فهي كلمة تركية استخدمت في الأناضول في النصف الأول من القرن الثالث عشر للدلالة على الواعظ التركماني الشعبي وتعني أيضاً شيخ طائفة الدباغين، أنظر المرجع نفسه، ص٣٤. نعيسة-مجتمع مدينة دمشق، ص٢٨٩.

(٢) وهم الأسطاوات أو المعلمين أو الأساتذة في الطائفة.

(٣) أبو سليم، عيسى - الأصناف والطوائف الحرفية في مدينة دمشق (١٧٠٠- ١٧٥٠)، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ١٩٩٥، ص ٩٣.

(٤) المرجع نفسه،ص ٩٣.

(٥) كما اشترط في شيخ الطائفة أن يكون رجلاً مستقيماً قادراً على أداء المشيخة، وأن يكون الأعضاء راضين به، وعندما تشغر وظيفة مشيخة حرفة تعين المحكمة شيخاً، أو تصدر براءة سلطانية بذلك، رافق-مظاهر من التنظيم الحرفي، ص ٣٥.

(٦) المرجع نفسه، ص ٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك إشارات إلى وجود رئيس أعلى للطوائف، هو شيخ المشايخ، وتشير المصادر إلى أن وثائق المحاكم الشرعية قلما أشارت إليه، إلا أن كتب تراجم الدماشقة، في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وكتب الحوليات أشارت إلى ذلك.[١] ويبدو أن منصب شيخ المشايخ كان دينياً أكثر منه حرفياً، وكان على علاقة متينة بالطرق الصوفية أو الإشراف على إقامة الاحتفالات الدينية أو كليهما، وهي تعد أهم من علاقاته بالمهن والصناعات[٢] فعلى سبيل المثال كان أحمد أفندي العجلاني شيخ مشايخ الطوائف الحرفية على الرغم من أنه لم يكن يمارس أي حرفة أو صنعة.[٣]

وعلى غرار شيخ المشايخ وجدت وظيفة النقيب الذي كان ينوب عن شيخ الطائفة في بعض الأحيان، كما كان يكلف بالسهر على حسن انتظام قواعد الطائفة وأخلاق أفرادها. وقد وجد لنقباء طوائف الحرف (نقيب نقباء)، فقد ذكر البديري أن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد الحلاق القادري المتوفى ٢٦ ربيع الأول ١١٥٦هـ/١٧٤٣م، كان نقيب النقباء في دمشق على الحرف والصنائع والطرق.[٤]

وإلى جانب النقيب وجد منصب (اليكيت باشي)[٥] الذي عين من قبل شيخ الطائفة،كما وجد في الطوائف الحرفية منصب (البابا)،الذي كان يتم تعيينه بموجب براءة سلطانية ومن مهامه

---

(١) ذكر المحبي أن السيد محمد بن السيد محمد كمال الدين بن عجلان الدمشقي الميداني الشافعي، المتوفى عام ١٠٠٤هـ/١٥٩٦م، كان شيخ مشايخ الحرف، وعلى ما يبدو أنه اهتم بإقامة الذكر أكثر من عمله كحرفي، ويضيف المحبي: "ربما كان يأكل من كسب يمينه ونسج الحرير". أنظر المحبي-خلاصة الأثر ج١، ص ١٤٤-١٤٥.

(٢) وإذا سعى في تحصيل ما يعيش به، جعل له سبباً، فإذا كان السبب عمل يده فهو الصناعة، وإلا فهي الحرفة، ومنها هو ضروري كالحياكة والخياطة والتجارة أنظر محمد سعيد القاسمي-قاموس الصناعات الشامية،ج١، ص ٢٨-٣٠.

(٣) وقد كانت هذه الرتبة موروثة في آل العجلاني الذين اختصوا بنقابة الأشراف ومشيخة الطرق الصوفية.

(٤) البديري-حوادث،ص ٣٩

(٥) الكملة مشتقة من (يكيت) وتعني الفتى والرجل الأخلاقي في اللغة التركية، وكلمة (باشي) تعني رئيس- أنظر رافق-مظاهر من التنظيم الحرفي، ص ٣٨-٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأشراف على ابناء الحرفيين المتوفين[١].

وكان لكل مشغل من الحرفة شيخ يطلق عليه اسم "أستاذ"[٢] أما في أسفل السلم المهني يأتي المبتدئ أو الأجير[٣]، الذي تم استخدامه من قبل المعلم بموجب عقد رسمي. فمثلاً إستأجر محمود الجلبي الطباع لدى القاضي الشافعي بدمشق من أخيه البالغ عبد الرحمن، فأجره نفسه بإذن الحاكم ليشتغل عنده لعقدين كاملين، مدة كل منهما ثلاث سنوات، وكان أجر عبد الرحمن اليومي ست قطع فضة مصرية، أربعة منها يحتفظ بها المستأجر السيد محمد جلبي لتغطية نفقات عبد الرحمن من سائر لوازمه، وتم العقد بحضور عبد الرحمن[٤].

ورغم أن لكل طائفة شيخاً مستقلاً الا أن الطائفة التي اتبعت طائفة أخرى عرفت باسم "اليمق" وفائدة هذه التبيعة من أجل جمع الضرائب للدولة وتوزيعها فيما بينها، فعلى سبيل المثال: كانت طائفة المسالخية في دمشق يمقاً لطائفة القصابين، وبمقتضى ذلك دفعت الطائفة الأولى عشرين قرشاً في السنة عرف بمال المشيخة الى القصاب باشي[٥].

أما دخل شيخ الطائفة فعلى ما يبدو انه لم يكن له راتب محدد، ففي الغالب كان يعيش من عمله، الا أنه كان يتمتع ببعض الامتيازات، مثال على ذلك أن طائفة المسالخة بدمشق والتي كانت تابعة (يمق) لطائفة القصابين، قد دفعت لشيخ الطائفة كل سنة عشرين قرشاً لقاء مال المشيخة.[٦]

---

(١) س ١١١، ص٨٤، ١٣ محرم ١١٥٦ هـ/ ١٧٤٣م. أنظر أيضاً نعيسة - مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٩٧.

(٢) أو (أستاذ) وهي كلمة فارسية الأصل، حورت أحياناً الى كلمة أسطة، التي أشير اليها أحياناً بكلمة معلم العربية، وذكر محمد سعيد القاسمي أن "لكل حرفة في دمشق معلم مخصوص يقوم بشؤون ومصالح وأرباب حرفته وهو رئيس الصنعة أو الحرفة ومتقنها ويشتغل تحت يده الصناع الأجراء، والصانع هو من يحسن الصنعة ويتقنها، ولكنه لا يصل الى مهارة المعلم. أنظر القاسمي - قاموس الصناعات الشامية، ج٢، ص٤٥٨. رافق - مظاهر من التنظيم الحرفي، ص٣٦.

(٣) رافق - مظاهر من التنظيم الحرفي، ص٣٧.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٧.

(٥) رافق - مظاهر من التنظيم الحرفي، ص٤١.

(٦) رافق-مظاهر من التنظيم الحرفي-ص ٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- وقد عرفت طوائف الحرف في مدينة دمشق - حتى إن الخدمة طبعت حياة الحرفيين بطابعها، وأصبحت بديلة عن كنيتهم الأصلية نظراً لوراثة الحرفة، وهكذا برزت العديد من العائلات الدمشقية التي اكتسبت اسم الحرفة التي امتهنها أفرادها مثل،- عائلة الصباغ، والشاوي، والبقسماوي، والمسالخي، والخشاب، والحواصلي، والحداد، والقنواتي، والنشار.[١]

وعلى ما يبدو إن الدولة العثمانية وافقت على إيجاد الطوائف الحرفية وشجعت على انتظام الحرفيين في طوائف خاصة بهم، وربما يعود ذلك إلى أن الطوائف الحرفية كانت في نظر الدولة العثمانية تعد عاملاً مساعداً لها في إدارة جزء من المجتمع وذلك عن طريق الشيوخ الذين كانوا يتلقون تعليماتهم من الدولة، والشيوخ بدورهم كانوا يقومون بإبلاغ هذه التعليمات لأفراد طوائفهم[٢] كما أن الدولة العثمانية كانت بحاجة إلى خدمات ومنتجات بعض الطوائف الحرفية في جميع الأوقات.

وفي مدينة دمشق احتاجت الدولة العثمانية إلى خدمات بعض الطوائف الحرفية في مواسم الحج، عند تسيير قافلة الحج الشامي،وخاصة خدمات النقل والتموين، كما أن والي دمشق احتاج إلى منتجات بعض الطوائف الحرفية، لسد احتياجاته واحتياجات جنده. وذلك عن طريق الباشي الذي وجد إلى جانب منصب الشيخ.[٣]

وإلى جانب الدور الإداري للطوائف الحرفية، فإنها قامت بدور سياسي وعسكري، خاصة في القرن الثامن عشر، على الرغم من محاولة الدولة العثمانية إبعاد التنظيم السياسي عن طوائف الحرف وذلك عن طريق الإشراف عليها، بهدف خدمتها، والاحتفاظ بطابعها الحرفي الخاص، وعدم إشغالها بقضايا أخرى غير القضايا الاقتصادية.

ويظهر أن من العوامل التي ساعدت على دخول الطوائف الحرفية في مدينة دمشق ضمن إطار التنظيم السياسي، ضعف سلطة الدولة العثمانية في مدينة دمشق، في القرن الثامن عشر[٤] وعدم قدرتها على حماية السكان المحليين مما أدى ذلك إلى بروز المنظمات الشعبية في مركز المدينة،

---

(١) نعيسة- مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص ٢٨٩.

(٢) جب وبوون- المجتمع الإسلامي، ج٢، ص٢١٦، ص ٢١٦. رافق-مظاهر من التنظيم،ص ٥٠.

(٣) عيسى أبو سليم-الأصناف والطوائف الحرفية، ص ٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثل اليرلية التي ظهرت في مدينة دمشق، والتي تميزت بانضمام السكان المحليين إليها، وسيطرتهم عليها، وبروز رجال الأحياء في المدينة للدفاع عن مصالح السكان المحليين.

نستدل مما سبق أن الطوائف الحرفية لعبت دوراً سياسياً في فترة ضعف الدولة العثمانية في مدينة دمشق، عندما انضم إليها الإنكشارية اليرلية، وقد ترتب على ذلك انضمام أرباب الحرف إلى اليرلية، حتى أصبح من الصعب التمييز بين قوى اليرلية والطوائف الحرفية في مدينة دمشق، ويشير البديري إلى ذلك التداخل الواضح بين أرباب الحرف والعسكر في المدينة عام ١١٧٠هـ/١٧٦٠م، عندما شاركت الطوائف الحرفية بالاستعراض الكبير في دمشق بمناسبة مولد السلطان سليم الثالث الذي حكم ما بين ١٧٨٩-١٨٠٦م، وكانوا يحملون الأسلحة والعدة والدروع الفاخرة والثياب المنوعة.[١] وهذه دلالة على قوة الحرف العسكرية.

إضافة إلى أن ولاة دمشق الذين دخلوا في صراع مع قوى اليرلية، حاولوا أن يضعوا حداً فاصلاً ليسهل عليهم ضرب اليرلية دون التعرض لطوائف الحرف أو حدوث اعتداء من طوائف الحرف عليهم، فعلى سبيل المثال عندما أراد عبد الله باشا الشتجي، والي دمشق عام ١٧٧١هـ/١٧٥٧م ضرب اليرلية وتطهير دمشق منهم أصدر فرماناً تضمن رحيل أهل العرض[٢] من بين الإنكشارية، وذلك في محاولة منه لتفادي قوة الحرفيين في ضربه لليرلية، فزاد ذلك في نفور الإنكشارية منه. [٣]

وعندما ذكر ابن الصديق لائحة الضباط اليرلية في دمشق، كان ٢٣٪ منهم يحملون كنية حرفية، منهم، القطيفاني، والحواصلي، والدمغجي، والقابي، والسقباوي، والبيطار، وتاجر الغنم، والجملي، والصواف.[٤] ولعل أبرز الأسباب التي أدت انتساب أصحاب الحرف إلى اليرلية، هو

---

(١) البديري-حوادث،ص ٢٣٤.

(٢) جاء ذكر العرض في كتاب البديري مرتين: الأولى عام ١١٥٦هـ/١٧٤٣م بوصفها إحدى المظالم التي أبطلها سليمان باشا العظم في دمشق، وهي ضريبة (الشباشية والمشيخة والعرض)، وقد وصفت بأنها "أموال تفرض على الحرف والصنائع والحارات في الشام مرة أو مرتين في العام، والمرة الثانية في هذا الموضع، حين قال إن عبد الله باشا الشتحي أمر "بأن ينادى بأن أهل العرض ترحل من بين الإنكشارية"، والأرجح أن أهل العرض هنا هم أصحاب الحرف.أنظر البديري-حوداث، ص ٢١٣.

(٣) البديري-حوادث، ص ٢١٤.

(٤) ابن الصديق-غرائب البدائع، ص ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توفير الحماية لهم للقيام ببعض المخالفات التي كانت تحقق لهم نجاحاً سريعاً، إضافة إلى بعض الامتيازات التي كان يحصل عليها الحرفي إذا ما انتسب إلى اليرلية، كإعفائه من الضرائب، ووصوله إلى مكانة اجتماعية محترمة، وكذلك الأمر بالنسبة لليرلية التي استطاعت أيضاً الحصول على الحماية من قبل الطوائف الحرفية، لوجود المصالح المشتركة لكلا الطرفين. [١]

ويظهر أن انضمام العسكر للطوائف الحرفية، قد حقق لهم نجاحاً اقتصادياً مميزاً، فمثلاً صادق إبن الناشف [٢] الذي كان في بداية أمره أحد أعيان الجند بدمشق، ثم تولى نظارات أوقاف العسكر في مدينة دمشق بعد جده وأبيه، حيث كان جده من رؤساء الأجناد المنوه بهم وتوفي عام ١١٤٥هـ/١٧٣٢م [٣] أما محمد الدمشقي[٤] فقد كان في بداية أمره كذلك أحد أجناد الشام، ثم تنقلت به الأحوال، وتمكن بنشاطه أن يتولى محافظة دمشق، وتوفي في شعبان عام إحدى وسبعين ومائة والف[٥] وتولى عبدالله الجركسي آغوية أوجاق اليرلية عن طريق خدمته في سرايا السلطان العثمانية[٦] وبذلك فقد أحرز العسكر مكانة عالية، حتى إن الكرام منهم خاطبتهم سجلات المحاكم الشرعية بالآتي: فخر الأقران الكرام، وفخر الأماجد والأعيان، وافتخار الأماجد والأكابر...[٧] وأصبح عمر السفرجلاني[٨] من كبار التجار بدمشق ومن أصحاب الثروة والجاه، وقد خلف وراءه عقارات وأملاكاً كثيرة جداً،[٩] وورث كنعان [١٠] بن عبد الله تلك المكانة عن

---

(١) عبد الغني -السلطة في بلاد الشام، ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) ويعد نفوذ هذه الأسرة استمرار لنفوذها الذي بدأ في القرن السابع عشر بظهور محمد بن الناشف الذي كان في بداية أمره كاتباً للجند فقيراً واستطاع بجدة الحصول على الكثير من الأملاك والأمتعة أنظر المجي-خلاصة الأثر ،ج٤-ص ٢١٤-ص ٢١٥، الحمود-العسكر في بلاد الشام، ص ١٨٨.

(٣) المرادي-سلك الدرر،ج٢، ص ١٩٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٣.

(٥) نفسه، ج٤، ص ٢٣.

(٦) المرادي-سلك الدرر،ج٣، ص٩٠.

(٧) هناك الكثير من الأمثلة في سجلات المحاكم الشرعية بدمشق أنظر س ٢٥، ص ٨٧، ١٢ شعبان ١١١٢هـ/١٧٠٠م، س ١٧٥، ص ٤٠، ١٥ جمادى الأول ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.

(٨) وكانت وفاته في سابع عشر شعبان عام ١١١٢هـ/١٧٠٠م. انظر المرادي-سلك الدرر، ج٣،ص ١٨٧.

(٩) المصدر نفسه،ج٣، ص ١٨٧.

(١٠) كنعان بن عبد الله، كان رئيساً للجند اليرلية بدمشق، وأحد الأعيان المشهورين. أنظر المرادي-سلك الدرر،ج٤، ص ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبيه، إلا أنه كان على درجة أكبر من الثراء. وينطبق ذلك على كثير من عسكر دمشق، وقد حقق لهم هذا النجاح الاقتصادي مركزاً اجتماعياً مرموقاً، وحاول العسكر المحافظة على هذه المكانة، حتى إنهم دخلوا في صراعات مع القوى الأخرى التي كانوا ينظرون إليها على أنها غريبة مثل القابي قول والقوات المرتزقة، وبذلك أصبح العسكر اليرلية في نظر كثير من أفراد الرعية، المدافعين عن المصالح الاقتصادية.[١]

ومن خلال الاطلاع على السجلات الشرعية لمدينة دمشق ، ثبت أن اليرلية قد اندمجت في المجتمع المحلي والطوائف الحرفية أكثر من القابي قول، لذل كان لا بد من الفصل بين اليرلية والقابي قول، من الناحية الاقتصادية التي لعبها العسكر في مدينة دمشق في القرن الثامن عشر.

أ- القوات اليرلية :

كانت قوات اليرلية من أكثر العناصر العسكرية العثمانية التصاقاً بالسكان المحليين، وذلك عن طريق التزاوج، والمصالح الاقتصادية المشتركة بين الطرفين، وتطالعنا سجلات المحاكم الشرعية في مدينة دمشق في القرن الثامن عشر، بصور متعددة لنشاط العسكر الاقتصادي داخل المدينة، ويأتي في مقدمة ذلك:-

١- المجال التجاري:

التفت العسكر إلى الاتجار بالمواد التي تهم أهالي دمشق، والتي لها عوائد اقتصادية كبيرة، ومن أهم المواد التي اهتموا بتجارتها الحبوب خاصة القمح، لدرجة أن تجارة الحبوب في القرن الثامن عشر كانت تتركز في حي الميدان،[٢] إذ كان يعد المركز الرئيسي لتجمع اليرلية وكان يتمتع بموقعه الاستراتيجي وأهميته الاقتصادية لاتصاله بحوران التي كانت تعد المركز الرئيسي لإنتاج الحبوب في بلاد الشام[٣] وفي العهد العثماني منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر منح الإنكشارية اليرلية بدل رواتبهم سلطات قانونية على أراضي زراعة الحبوب في حوران، التي

---

(١) المرادي-سلك الدرر، ج٤، ص ٢٣.

(٢) شيلشر-بعض مظاهر أحوال الأعيان، ص ٣٤١

(٣) فيلنوف-الاقتصاد الريفي والحياة الريفية في حوران، ص ١٠٢،١٧٣رافق-البنية الاجتماعية والاقتصادية لمحلة باب المصلى بدمشق، ١٨٢٥-١٨٧٥، ص ٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزعت عليهم على شكل إقطاعات (تيماز وزعامت وخاص) [١] وقام الإنكشارية اليرلية بإنشاء البوايك[٢] على طرفي الشارع السلطاني [٣].

وهكذا تمكن اليرلية من إحكام سيطرتهم على تموين مدينة دمشق، ويبدو أن أهل هذه الحرفة من البوايكة كانوا يصبحون في حالة كبيرة من الثراء، نظراً لاحتكارهم تجارة الحبوب حيث أنهم كانوا يدخرونها في موسمها، ويبيعونها في غير مواسمها بأضعافها[٤].

ونلاحظ من الوثائق أن معظم أصحاب ومستأجري ومشتري البوايك في مدينة دمشق، خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر كانوا من اليرلية، اشتهر منهم في القرن الثامن عشر عائلة التركمان،[٥] التي برز منها حسين بن حسن التركمان [٦] كذلك وجد من مخلفات مصطفى آغا بن القباني [٧] مائة غرارة سمسم، واشترى عمر آغا بن مصطفى آغا الذي كان من أفراد طائفة اليرلية بدمشق من حمدان بشة ستة قراريط[٨] من أصل أربعة وعشرين قيراطاً من جميع عمارة

---

(١) شليشر-بعض مظاهر أحوال الأعيان،ص ٣٢٥.

(٢) أو البوائك وفي اصطلاح أهل الشام تعني المخزن الكبير لحفظ الغلال من الحبوب كالقمح والشعير والذرة، ولقد سميت بذلك لبروك البوائك فيه، والبائكة في اللغة تعني الناقة السمينة، أما صاحب البايكة فقد عرف بالبوايكي. أنظر القاسمي-قاموس الصناعات الشامية، ج٢، ص ٥٥.

(٣) الشارع السلطاني وهو الشارع الرئيسي الذي يخترق الميدان بأكمله واشتهر باسم السلطان، ويعد بمثابة الشريان الاقتصادي للميدان، لانتشار بوايك الحبوب على طرفيه بطول ما يزيد على ثلاثة كيلومترات أنظر رافق- البنية الاجتماعية والاقتصادية لمحلة باب المصلى بدمشق، ص ١٢. أنظر أيضاً ابن الصديق - غرائب البدائع، ص١٤٠.

(٤) رافق - البنية الاقتصادية والاجتماعية لمحلة باب المصلي، ص١٢-١٣.

(٥) تعود أصول هذه الأسرة إلى القرن السابع عشر، حيث كان جدهم تركمان حسن الذي كان اليرلية، وكان يمتلك أكبر دار في الميدان أنظر المحبي-خلاصة الأثر،ج٣، ص ٣٤٢٧.

(٦) وكان من رؤساء الأجناد وكبراء أوجاق اليرلية، وكان عالي الشأن والقدر، وترقى وأصبح كتخداجند الأوجاق أنظر المرادي-سلك الدرر،ج٢،ص٦٣.

(٧) كان كيخيا الإنكشارية في دمشق، وتوفي عام ١١٥٨هـ/١٧٤٥م، انظر البديري-حوادث،ص ٦٤-٦٥.

(٨) القراريط مفردها قيراط وهو جزء من أربعة وعشرين. أنظر هنتس - المكاييل والأوزان الإسلامية، ص١٠، ص٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البايكة الواقعة في الميدان بدمشق، ويظهر أن البايكة كانت من الحجم المعتدل؛[١] لأنها كانت تشتمل على أربعة جدر وقوس حجارة ومنافع شرعية[٢] وهناك بايكة لآل سكر [٣] تقع تجاه جامع المصلى (وهو الجامع الرئيس الذي يقع في قلب الميدان) وكانت تشتمل على مقاليب ومخزنين وحوش معد لربط الدواب وحقوق ومنافع.[٤] كما تم استئجار "جميع بياض وقرار قطعة الأرض الخالية من البناء والغراس الكائنة داخل البايكة" الجارية في وقف آل سكر في الميدان بالقرب من الدار المعروفة بدار بني سكر،[٥] واستأجر حسن بشة بن محمد بن اسماعيل من حسن الشهير بالترزي بايكة ومنافع شرعية في محلة تحت قلعة دمشق[٦] وامتلك محمد بن إبراهيم التركماني البايكة الواقعة بمحلة القبيبات [٧] بدمشق بزقاق الشيخ إسماعيل [٨] أما إبراهيم آغا بن حجازي آغا فقد كان يمتلك ثلاث بوائك باعها لمصطفى آغا بن حسن آغا،[٩] وتاجر العسكر أيضاً بالبن

---

(١) فقد كانت أحجام البوايك تختلف بحسب عدد الأقواس الحجرية التي توجد فيها والتي يستند السقف عليها، فالبايكة الصغيرة تشتمل على أربعة جدر وسقف ومنافع، أما البايكة المعتدلة الحجم فكان تتألف من أربعة جدر وسقف راكب على قوس حجر ومنافع شرعية، أما الكبيرة الحجم فتتألف من خمسة أقواس حجر وسقف ومخزنين ومنافع أنظر رافق-البنية الاجتماعية والاقتصادية بمحلة باب المصلى بدمشق، ص ٢٩. س ١٤٣،ص ٥٠، ١٠ صفر ١١٦١هـ/١٧٤٣م.

(٢) س ١٤٣،ص ٥٠، ١٠ صفر ١١٦١هـ/١٧٤٨م.

(٣) التي اشتهر منها كبار تجار الحبوب، مثل عبد الله آغا سكر الذي كان من أكبر تجار القمح بالميدان أنظر فيليب خوري-طبيعة السلطة السياسية، ص ٤٤٨.

(٤) س ١٤٣، ص٥٠، ١٠ صفر ١١٦١هـ، ١٧٤٨م.

(٥) س ١٠٩، ص ٣٤، ٢ محرم ١١٥٥هـ/١٧٤٢م.

(٦)س ١٠٩، ص٣٤، ٢محرم ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م.

(٧) س ١٠٢، ص ٣٢٠، ٨ ربيع الأول ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٨) المحلة وتعني المكان وهوتعبير يطلق على منطقة بأكمها، والقبيبات ضاحية من ضواحي دمشق، من الجهة الجنوبية، خارج أسوارها، وهي الميدان الفوقاني ، ويشتمل هذا الحي علىجامع الدقاق، وسميت القبيبات بهذا الاسم لوجود بيوت بنيت سقوفها بطريقة القباب أنظر العبد-قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ، (هامش)، ص١٥-١٦.

(٩)س ١٠٢، ص ٢٨٦، ٢ شعبان ١١٥٣هـ/١٧٤٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(القهوة).[١] ويلاحظ من الوثائق أن الدولة العثمانية قد وافقت على تجارة القهوة، بدليل أنها أعطت أوجاق اليرلية، الضرائب التي فرضتها على القهوة بدمشق، وتشير الوثائق إلى ظهور التعاون بين أوجاق اليرلية الذين كانوا يمثلوا أصحاب حرفة واحدة في هذا المجال، عن طريق دفع الضرائب للدولة العثمانية، فعلى سبيل المثال وجد في مدينة دمشق تسعة محامص للبن أحدها بسوق الصوف بيد يوسف بشة، والثانية في الحددة بيد إسماعيل بشة، والثالثة تحت القلعة بيد حجازي، والرابعة في باب القلعة بيد درويش، والخامسة تحت القلعة بيد اسماعيل دوريش، والسادسة تحت القلعة بيد أحمد حجازي، والسابعة سوق الحرير بيد معتوق، والثامنة بباب السرايا بيد أحمد الزكاوي، والتاسعة في سوق الدقاقين بيد أحمد الأبيض. وقد شكل أصحابها طائفة حرفية للبن، وتعهدوا لدى القاضي بدفع مائتن قرش ضريبة في الشهر،أي ما يعادل ألفاً وأربعمائة قرش في العام الواحد، وإذا تعطلت مجموعة منها عن دفع ما ترتب عليها، تعهد ت أفراد الطائفة بدفع كامل المبلغ المترتب على الطائفة.[٢]

وهذا ما يفسر لنا سيطرة اليرلية على محامص البن بدمشق، وانضمامهم إلى الطائفة الحرفية الخاصة التي تعنى بتجارة القهوة وهي طائفة القهوجية [٣] بدليل وجود الكثير من القضايا الشرعية

---

(١) دخلت القهوة إلى بلاد الشام ابتداءاً من منتصف القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، في وقت كثر فيه الجدل بين الفقهاء حول محرم لها بحجة أنها مسكرة ومزيلة للعقل، وبين محلل لها إن لم تكن كذلك، فمثلاً في عام ثلاث وخمسين وتسعمائة أفتى الشيخ يونس الشافعي العيثاوي بتحريم القهوة واعتبرها من جملة المصائب التي حدثت في دمشق، وأطلق الشيخ السيد كمال الدين ابن حمزة على بيت القهوة (الخمارة)، أما محمد أبو الفتح المالكي، كان مغالياً في نصره القهوة المتخذة من البن غير منكر، ويبدو أن بعض أفراد القوات العسكرية كانوا يؤدون شرب القهوة بدليل ما يورده أحد الشعراء، وهو ماماي الرومي (ت ٩٨٦هـ/٩٨٧هـ/١٥٨٧م/١٥٧٩م) من شعر القهوة:

وإخوان سموا في كل فن	بدار قد حوت من كل حسن
أتتنا قهوة من قشربن	تعين على عبادات العباد
لقهواتنا معان ليس تخفى	ورويتها تحال المسك عرفاً

أنظر الغزي، الكواكب السائرة،ج٢، ص ١٣، ١١١، ج٣، ص ٢١-٢٢.

(٢) س ٩٩-ص ٢، ٢ جمادي الآخر ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

(٣) القهوجي هو قيم القهوة ومديرها، سواء أكان صاحبها، أو مستأجرها، ومع دخول القهوة إلى دمشق أقيمت منشآت لإعداد القهوة عرفت باسم المقاهي، وقد تعددت المقاهي بدمشق، وارتادها سكان دمشق،وخاصة العسكر من اليرلية لقضاء أوقات فراغهم، والترويح عن أنفسهم أنظر القاسمي-قاموس الصناعات الشامية،ج٢، ص ٣٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي تشير إلى متاجرة العسكر بالبن، ومن تلك القضايا، على سبيل المثال، ما إدعاه حسن بن عبد الله الكردي على أحمد عبد الكريم من قرية كفر سوسيا [١] أنه اشترى منه أربعة أمداد من البن قيمة كل مد بثمانية قروش، و لم تثبت دعوته عليه، ومنع من التعرض له.[٢] أما ديب بشة بن مصطفى القهوجي فقد اشترى من ابراهيم بشة بن أحمد آغا بن يحيى القهوجي، اثنا عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً، من جميع العدة المعدة لطبخ القهوة، التي تشتمل على صندوق، وعلبتي بن، وأربعة أباريق نحاس، ومصب نحاسي، وثلاثة فناجين صيني، وطاسة نحاس، وثمانية بسط، وثلاثمائة وخمسين كرسي، وسجادة، وأربعة تخوت وعشرين أركيلة، وعشرة مناقل، ومنقل حديد ومنبرين.[٣] يضاف إلى ذلك، أن بعض البرلية كانوا على الأغلب مستأجرين للمقاهي، كما يتضح من السجلات الشرعية، بهدف الاستثمار، فعلى سبيل المثال، استأجر محمد جوربجي من حسن جلبي مقهى تحت قلعة دمشق، لمدة سنتين كاملتين، بأجرة قدرها ستة وثلاثون قرشاً.[٤] أما يوسف بشة بن الحاج حجازي فقد استأجر من حجازي بشة بن الحاج أحمد الحمصي مقهى تحت قلعة دمشق[٥] كذلك فإن يوسف بشة بن الحاج عيسى استأجر من محمد أفندي المقهى بمحلة باب توما بالقرب من خان الجقمقي، لمدة ثلاث سنوات، بأجرة قدرها عن كل سنة من المدة سبعون قرشاً[٦] واستاجر حسين بن اسماعيل بشة بن الشيخ الكردي مقهى بمحلة باب السلام، [٧] أما أحمد آغا بن محمد آغا بن عمر آغا الزعيم فقد استأجر مقهى بمحلة الجالق، تابع محلة سوق ساروجا.[٨]

ونلاحظ من الوثائق أن من كبار المستثمرين في استئجار المقاهي، يوسف بشة بن الحاج

---

(١) تلفظ كفرسوسة، وهي كلمةسريانية تعني قرية، تقع جنوبي غرب دمشق على بعد عدة كيلومترات، وهي الآن ضاحية من ضواحي دمشق أنظر أحمد وصفي زكريا-الريف السوري- ج ٢،ص ١٦٥.

(٢) س ١٠٧، ص ١٢٥، ١٤ صفر ١١٥٥هـ/١٧٤٢.

(٣)س٢١٠، ص ٣٠،١٠ ذي القعدة ١١٩٣هـ/١٧٧٨م.

(٤)س ٢٨، ص ١٧٤، ١٢ محرم ١١١٨هـ/١٧٠٦م.

(٥) س ١٠٠، ص ١١٧، ١٢ شوال ١١٥١هـ/١٧٣٨.

(٦) س ١٠٠،ص ٨٨، ١٧ شوال ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

(٧) س ١٠٠، ص ٩٥، ١٨ شوال ١١٥١هـ/١٧٣٨.

(٨) س ١٠٥، ص ٥٠، ٣ ذي القعدة ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حجازي، الذي استأجر مقهى بمحلة القنوات بالشارع بالقرب من مسجد الوقف[١] وعدداً من المقاهي بالقرب من الجامع الأموي.[٢] وامتلكها بعض العسكر المقاهي، ولكن بأعداد قليلة، منهم على سبيل المثال: احمد آغا بن محمد آغا الذي كان يمتلك، جميع دكان القهوة الموضوعة في الدار المعدة لطبخ القهوة الكائنة بمحلة سوق ساروجا.[٣]

وعلى ما يبدو أن اليرلية تمكنت من السيطرة على طوائف حرفية أخرى منها التي تختص بالنقل، وذلك منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر عندما عهدت الدولة العثمانية لولاة دمشق بتولي مهمة قيادة قافلة الحج الشامي[٤] واستمر ذلك في القرن الثامن عشر، بدليل القضية الشرعية التالية: "اشترى افتخار الأماجد والأكابر اسماعيل آغا بن إبراهيم آغا الكيواني آغا طائفة اليرلية بدمشق، من فخر الأقران درويش بشة بن مصطفى الفرا أربعة خيام سلطاني أزرق وأبيض، وخيمتين جنزاري، وثمانية قناديل من النحاس، وحمل من النحاس الاصفر، وإحدى وعشرين تعجيزة من الصوف... وجميع الثلاثة عشر حملاً من الجمال البلدية المختلفة الألوان والأسنان"[٥]

أما اليرلية الذين انضموا إلى طائفة الدوجية والمقومين[٦] فقد بلغ عددهم ثمانية وعشرون حمالاً برز منهم احمد بن أحمد بشة، مصطفى بشة بن البحصيلي، وأمين بشة[٧] ويظهر أن بعض اليرلية أصبح يشتري البضائع من الحجاز لتجار دمشق منهم عبيد بن الحاج عبد الواحد المطاقجي[٨] وإبراهيم آغا بن الحاج عمر والحاج أحمد بن أحمد بشة، الطحان، ومصطفى بشة[٩]، والبعض الآخر منهم تولى بيع البضائع بنفسه في مدينة دمشق، وقد بروزا في هذا المجال، حتى

---

(١) س ١٠٢، ص ٢٨٨، ٥ شعبان ١١٥٣هـ/١٧٤٠م.

(٢) س ١٠٧، ص ١٤٢، ١١ ذي الحجة ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٣) س ١٠٦، ص ٦٨، ١٢ جمادى الآخر/ ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٤) رافق-قافلة الحج الشامي- ص ١٧.

(٥) س ٢٥، ص ٨٧، ١٢ شعبان ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م.

(٦) أو الجمالين وهم من يتعاطون تحميل البضائع لحجاج المسلمين بالأجرة، وأداء مؤونتهم في طريق الحاج الشريف أنظر محمد سعيد القاسمي-قاموس الصناعات الشامية-ج٢، ص ١١٤.

(٧) س ١٧٥، ص ١٣٠،٨ رمضان ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

(٨) س ١١١، ص١١٤، ١٩ ذي الحجة ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م.

(٩) س ١٧٥، ص ١٣٠، ٨ رمضان ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصبح منهم تجارٌ مشهورين.[١]

وتاجر اليرلية أيضاً بالعطارة[٢]، وانضموا إلى طائفة العطارين [٣] وكان بعض أعضاء طائفة العطارين من اليرلية منهم محمد بن أحمد بشة، وأحمد حلبي، ومحمد ابن موسى آغا[٤]، واشتهر كذلك في بيع العطور محمد بشة بن الشيخ أبي بكر العطار[٥]، وعمر قاسم بشة العطار[٦] ووصل بعض منهم إلى منصب الشيخ في طائفة العطارين مثل صادق جلبي بن أحمد جلبي الذي أصبح شيخ العطارين بدمشق[٧] ويلاحظ انتشار ثلاث أسواق للعطارة في مدينة دمشق هي:

سوق البزورية، وسوق السكك بيه، وسوق السكرية،[٨] كما انضم اليرلية إلى طائفة السروجية، [٩] بدليل أن إبراهيم بشة بن محمد السروجي كان شيخها.[١٠] ويبدو أن بعض اليرلية تاجر بالمواد الغذائية، كاللحم والسمن والخبز وغيرها من المنتجات الغذائية، وخصص البعض منهم دكاكينهم والحوانيت لبيع المنتجات الغذائية، فقد كان للسيد مصطفى بن محمد آغا الركابي دكان المعدة للحامة(بيع اللحم)، تحت قلعة دمشق،[١١] واستأجر محمد بشة بن الشيخ أبي بكر

---

(١) س ١٠٤، ص ٧، ٢٤ جمادى الأول ١١٥٣هـ/١٧٤٠م، س ١٠٥ ص ١٤٢، ٢٧ شعبان ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م.

(٢) العطار في الأصل هو من يبيع العطر، والعطارة حرفته، والعاطر محبه، وقد أطلق لقب العطار على من يبيع أنواعاً عديدة من البهارات والسكاكر، والزهوارت التي تدخل في تركيب العلاج أنظر مجد الدين الفيروز أبادي- القاموس المحيط،ج ٢، ص ٩١، القاسمي قاموس الصناعات الشامية،ج٢، ص ٣١١-٣١٣.

(٣) وهي الطائفة الحرفية الخاصة بهم نعيسة مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص٢٨٢-٢٨٣.

(٤) س ٩٩، ص ٦٥، ٨ شعبان ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

(٥) الحصاري بقلعة دمشق، س ٢٧، ص ٢٠٨، ١٨ شوال ١١١٣هـ/ ١٧٠١م.

(٦) س ١٠٩، ص١٢٤، ١٢ ذي القعدة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م.

(٧) س ٢٧، ص ٤١، ٥ جمادي الثاني ١١٢٣هـ/١٧١١م.

(٨) س ٩٩، ص ٦٥، ٨ شعبان ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م.

(٩) السروجية وهي الطائفة التي تعنى بشغل السروج التي توضع على خيول للركوب فوقها، ولهم سوق خاص يدعى سوق السروجية أمام جامع السنجقل وهو شمالي قلعة دمشق أنظر القاسمي_قاموس الصناعات الشامية، ج١، ص ١٨٠-١٨١.

(١٠) س ٢١٠، ص ٢٤٢، ١٠ محرم ١١١٤هـ/١٧٠٢م.

(١١) س ١٤٣، ص ٣٢٢، ١٠ محرم ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حانوت القصابة بمحلة العمارة لمدة عقدين كاملين كل عقد لثلاث سنوات بأجرة قدرها قرش واحد عن كل شهر من السنة،[١] وأقر كلٌ من صالح بشة بن علاء الدين القصاب، وخضر بشة بن شعبان، وحسن بشة بن أحمد من أعضاء طائفة اللحامين[٢] بدمشق، أنهم قبضوا من أرسلان باشا والي محافظة دمشق الشام ثمن ما باعوه من اللحم،[٣] وظهرت بعض الأسماء من اليرلية في طائفة اللحامين، منها رجب بشة بن علي قصاب باشي، [٤] وأحمد بشة بن علي بشة اللحام،[٥] أما في مجال تجارة السمانة فقد برز من اليرلية والأشراف السيد محمد بن السيد وهب السمان، ومصطفى بشة بن الحاج خليل السمان، [٦] وأحمد باكير السمان، [٧] وكان إسماعيل بشة بن الحاج إسماعيل حجل الشهير بابن الصرصر، يمتلك الدكان الكائنة بقرية كفر سوسيا المعدة للسمانة. [٨] واستأجر فخر الأقران محمد جوربجي بن أحمد جوربجي جيمع الفرن المعد لاعداد الخبز الكائن في محلة الخراب بدمشق[٩] ومن الخبازين بدمشق محمد بشة بن يوسف بن محمد الخباز[١٠] وسعد بشة ابن عابدين الخباز[١١].

٣- الاتجار بالماشية:

تاجر العسكر داخل مدينة دمشق بالماشية، التي كان يتم تربية عدد كبيرمنها في الريف،

---

(١) س ١٤٣، ص ٨٦، ٢٠ ربيع الآخر ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

(٢) يرى القاسمي أن اللحام هو نفسه القصاب،ولكن يبدو أن القصاب يختلف بعض الشيء عن اللحام، فالقصاب أعلى رتبة من اللحام، ومهامه أكبر من مهام اللحام حيث أنه كان يقوم بشراء الأغنام من خارج المدينة، وتزويد دمشق باحتياجاتها اليومية من اللحم . أنظر القاسمي-قاموس الصناعات الشامية، ج٢، ص٣٥٥.

(٣) س ٢٧، ص ٤٢، ٥ جمادي الثاني ١١١٣هـ/١٧٠١م.

(٤) س ٢٧، ص ٤١، جمادي الآخر ١١١٣هـ/١٧٠١م.

(٥) س ١٠٠، ص ٦٧، ٩ جمادى الآخر١١٥١هـ/١٧٣٨م.

(٦) س ٩٩،ص٥٤، ص٥٧، ١٠ شعبان ١١٥١هـ/١٧٣٨م، س ٩٩، ص ٣٣٥، ٤ ذي القعدة ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

(٧) س ٢٧، ص ٤١، ٥ جمادى الثاني ١١١٣هـ/١٧٠١م.

(٨) س ١٧٥، ص ٨٠، ٢٠ جمادى الآخر ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.

(٩) س ١٠٩، ص٣٧، ١١ ربيع الآخر ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م.

(١٠) س ١٠٩، ص١٢٠، ١٠ ذي القعدة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م.

(١١) س ١٠٩، ص٦١، ٩ رجب ١١٥٣/ ١٧٤٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعلى سبيل المثال باع السيد بكداش بن محمد بشة سبعة وأربعين رأس غنم لمصطفى بن يسير التركماني، ودفع له عن كل رأس ما يعادل مائتين وثمان وخمسين قرشاً، مرة أولى، ثم ابتاع منه سبعة وعشرين من الغنم، ودفع له مائة وواحد وأربعين قرشاً ونصف ربع القرش، وبلغ جملة ذلك أربعمائة قرش،[١] وقد اشتهر مصطفى التركماني بتجارة الأغنام بدمشق، فقد ادعى الحاج حسين بن مصطفى التركماني على يوسف بشة بن الحاج بكري اللحام، بأن والده مصطفى التركماني له عند يوسف بشة مبلغاً قدره ثلاثمائة وخمس وثلاثون قرشاً فضة، ثمن غنم ابتاعه منه[٢] وامتلك خليل بن حسن التركماني مائة رأس من الغنم،[٣] كما امتلك سليمان بشة بن جمعة بشة التركماني مائتن رأس من الغنم.[٤] ويعود اشتهار مدينة دمشق بلحم الغنم، وظهور تجار الغنم فيها، لإنه كان متوفر فيها اكثر من غيره، والمنطقة هي من مناطق تربية الأغنام التركمانية، لذلك نرى ان معظم تجار الأغنام كانوا من التركمان[٥].

٣- نشاطات اقتصادية متنوعة:

اهتم العسكر بمرافق أخرى، كان لها أهميتها في تحسين الحياة الاقتصادية، من بينها الحمامات، التي استحوذت على اهتمام اليرلية، وتشير وثائق النصف الأول من القرن الثامن عشر، إلى بناء الحمامات وإنشائها من قبل اليرلية فقد كان باكير آغا بن محمد آغا يمتلك حمام القنوات بدمشق،[٦] أما السيد أحمد جلبي بن عبد الحي جوربجي فقد كان يمتلك حماماً خارج باب الجابية بمحلة السنانية بدمشق[٧]، وأنشأ سليمان آغا بن عبد الله الحمام المعروف بحمام الخراب بقرية مسحة القدم تابع ناحية وادي العجم من ضواحي دمشق، بمبلغ قدره ألف واربعمائة واحدى وثلاثين قرشاً[٨]، كما أنشأ موسى بشة بن الحاج البشاشة حماماً بمحلة القيمرية بدمشق[٩].

---

(١) س ١٠٦، ص ٢٠٢، ١١ ذي القعدة ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٢) س ١٤٤، ص ٣٣، ٣ جمادى الأول ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

(٣) س ٢٧، ص ٤٥، ٥ جمادى الثاني ١١١٣هـ/١٧٠١م.

(٤)س ٢٩، ص ١٠٨، ١٧ شوال ١١١٤هـ/١٧٠٢م.

(٥) عيسى أبو سليم -الأصناف والطوائف الحرفية، ص١٩٥.

(٦) س ٢٩، ص ١٠٩، ١٣ شوال ١١١٩هـ/١٧٠٧م.

(٧) س ١٠٩، ص ٥٤، ١٠ جمادى الأول ١١٥٣هـ/١٧٤٠م.

(٨) س١٤٤، ص١٠٣-١٠٥، ١١ رجب ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م. زكريا -الريف السوري، ص١٨٠-١٧٨.

(٩) ص١١٠، ص٩٦، الأول من جمادي الآخر ١١٣٨هـ/ ١٧٦٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الملاحظ من خلال الوثائق عدم وجود حمامين بدمشق قاموا بإنشاء الحمامات، أو العمل بها، ربما يعود ذلك إلى التكلفة العالية التي يحتاجها إنشاء الحمام، فسليمان آغا بن عبد الله بلغت تكلفة بناء حمامه ألفاً وأربعمائة وواحد وثلاثين قرشاً[١] وهذه تكلفة عالية بالنسبة لحمامي، فهو لا يستطيع إمتلاك هذا المبلغ الكبير، فقيام البرلية ببناء الحمامات بهذه التكلفة العالية، مؤشر على مدى الثراء الواسع الذي كانوا يتمتعون به، بذلك ففقد اتجه بعض الحمامين بالمدينة إلى استئجار الحمامات، فمثلاً استأجر الحاج درويش بن الحاج مصطفى بن الحاج عبد المنعم الحمامي من عيسى ابن ابراهيم آغا بن تركمان حسن كتخدا وسليمان بيك بن تركمان حسن كتخدا الحمام، الواقع بمحلة الميدان بالشارع السلطاني المعروف بحمام السوق، لمدة ثلاث سنوات وأربعة أشهر، بأجرة قدرها عن كل يوم قرش واحد فضة، زيادة على الأجرة السابقة بخمسة مصاري[٢].

ويبدو من خلال السجلات الشرعية، أن بعض البرلية المستثمرين قاموا باستئجار الحمامات، لتسيير أعمالها وتمويلها، فقد استأجر مصطفى عبد الكريم بشة من صالح آغا بن يحيى آغا بن محمد صوباشي الحمام الكائن بمحلة قصر الحجاج المعروف بحمام الدرج لمدة سنة واحدة، بزيادة قدرها أربعة مصاري في أجر كل يوم[٣] وبعضهم قام باستئجار الحمامات لفترة زمنية طويلة، ودفع الأجرة عن المدة بأكملها، فعلى سبيل المثال استأجر مصطفى أودة باشي بن إبراهيم أودة باشي من حسين بشة بن احمد آغا الحمام الواقع تحت قلعة دمشق، والمعروف بحمام القرماني، لمدة اثني عشر عاماً، ودفع عن كامل المدة مبلغاً وقدره ألفين ومائة وثلاثة وأربعين قرشاً.[٤] كما استأجر مصطفى ووالده حسين آغا بن مطصفى آغا بن حسن آغا الشهير نسبه بالقطعاني الحمام المعروف بحمام الزين لمدة أربعة وعشرين عاماً بثمانية عقود ودفعا أجرة المدة بأكملها، مبلغ ثلاثة آلاف وسبعمائة وعشرة قروش.[٥] يضاف إلى ذلك، أن بعض البرلية قام بشراء الحمامات، مثل محمد آغا بن قدوة الأماجد والأعيان الكرام أحمد آغا بن قاسم آغا، الذي اشترى حماماً بقرية الكسوة بثمن قدره سبعة آلاف قرش خمسمائة وعشرين فضة صحيحة. [٦]

---

(١) س ١٤٤، ص١٠٣ -١٠٥، ١١ رجب ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م.

(٢) س١٤٣، ص٦٧، ٢٤ صفر ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م.

(٣) س ١٠٢، ص١٣٢، ١٧ ربيع الأول ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م.

(٤) س ١٤٤، ص ١٧٨، ١٩ ذي الحجة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م.

(٥) س ١٤٣، ص ٢٠٦-٢٠٧، ١٨ جماد ي الآخر ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

(٦) صحيحة كاملة العيار. س ١٤٤، ص ١٨٣، ١٣ ذي القعدة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتفت العسكر إلى مجال آخر كانت له أهميته الكبيرة، لأنهم كانوا يجنون من ورائه أرباحاً طائلة، ألا وهو امتلاكهم واستئجارهم للخانات[١] وقد انتشرت هذه الخانات في أنحاء مدينة دمشق، منها ما وجد في محلة التعديل وكان ملكاً لحسن آغا بن الحاج مصطفى من جاوبشية طائفة اليرلية بدمشق[٢] وواحد من محلة القنوات بدمشق ملك الباكير آغا بن محمد آغا، [٣] ويبدو أن بعض العسكر كان يوجد بينهم ملكية مشتركة في الخانات، فمثلاً امتلك كلٌ من إبراهيم آغا وحسين بن جعفر الرومي خان الجمرك في دمشق[٤] ومن الملاحظ أن تلك الخانات كانت تستخدم كمنازل يقيم فيها الضيوف القادمون إلى المدينة من تجار ومسافرين وغيرهم، أو أنها كانت تستخدم لغايات تجارية، وللحصول على المزيد من الربح قام بعض اليرلية باستئجار الخانات أو تأجيرها بأجرة معلومة، وتشعر الوثائق بهذا الاتجاه، فقد استأجر حسن بشة بن الحاج محمد ابن الحاج اسماعيل من الحاج حسن الشهير بالترزي الخان الكائن بمحلة تحت قلعة دمشق، لمدة سنة واحدة بأجرة قدرها خمسة وخمسون قرشاً، فيها زيادة عن الأجرة السابقة ثلاثة عشر قرشاً عن كل يوم [٥] وكان قبله قد استأجره بكري بن محمد بشة الترجمان،[٦] وأجر مصطفى بشة بن حسن بشة الخان الذي وجد فيه سوق القطن لمدة ست سنوات بأجرة قدرها عن كل سنة ستة وأربعون قرشاً فضة صحيحة. [٧]

ووجد أيضاً بين العسكر من يمتلك معاصر الزيت والزيتون، والمصابن والمصابغ والطواحين، ومن الأمثلة على ذلك امتلك كلٌ من شعبان بشة ابن الحاج مصطفى محمد القديمي وراجحة بنت محفوظ بن موسى عياش المعصرة الواقعة في قرية القدم، كانا قد ورثاها عن والد شعبان بشة الحاج

---

(١) والخان يشتمل على ساحة ورواق، ومعالف للدواب وحجرات تؤجر لمن يريد النوم فيها، من نحو غريب جاء من مكان بعيد، كالفلاح والمسافر، وأطلق على من كان قيماً على خان أنظر من أيضاً صلاح الدين المنجد خانات دمشق، المشرق، م٤٢، ١٩٤٢، ص٣٥. الخانات بنحو استئجار. أو ملك خاناتي أنظر القاسمي-قاموس الصناعات الشامية، ج١، ص ١١٩.

(٢) س ٢٧، ص ١٠، ١٩ ذي القعدة ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

(٣) س ٢٩، ص ١٠٩، ١٣ شوال ١١١٩هـ/١٧٠٧م.

(٤) س ١١١، ص ١٥٠، ٩ صفر ١١٥٦هـ/١٧٤٣م.

(٥) س ١٠٩، ص ٣٤، ٢ محرم ١١٥٥هـ/١٧٤٢م.

(٦) س ١٠٩، ص ٣٤، ٢ محرم ١١٥٥هـ/١٧٤٢م.

(٧) س ١٤٣، ص ٣٢٦، ١٦ ذي الحجة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصطفى القديمي[١] ويلاحظ من الوثائق أن أكثر تلك المعاصر التي استخدمت لعصر الزيتون والعنب قد انتشرت في القرى المجاورة لدمشق، أما الحاج حسن بن علي الروماني فقد كان يمتلك مصبغة بمحلة الخراب بدمشق[٢] وكان لمصطفى بشة بن حسن بشة النشاوي مصبغة داخل سوق القطن في خان بدمشق[٣] وعلى ما يبدو أن المصابغ كانت ذات تكلفة عالية، لا يمتلكها أو يستأجرها إلا من كان على قدر كبير من الثروة، بدليل أن أحمد بن الغندور استأجر من مصطفى بشة مصبغة لمدة ست سنوات بأجرة قدرها عن كل سنة من المدة ستة وأربعون قرشاً[٤] وابتاع الحاج عبد الرحيم بن محمد بن الموالدي من فخر الأقراني يوسف بشة بن الحاج حسن القابي قولي قنطار[٥] من الصابون بثمانين قرشا،"[٦] أما محمد صوباشي فكان له مصبنة في محلة باب المصلى[٧] واستأجرت طائفة الصبانين[٨] من العسكر بعض المصابن، فعلى سبيل المثال أجر محمد صوباشي للسيد خليل آغا بن السيد محمد جلبي بن مصطفى الصبان مصبنته التي كان يمتلكها في محلة باب المصلى.[٩]

كما أن عمر بشة بن محمد بشة القطري قام بتعمير الطاحون الواقعة بمحلة العمارة بزقاق المزابل بدمشق.[١٠] ويبدو أن العسكر كانوا يحصلون على مردود اقتصادي عالٍ من وراء تلك الطواحين، وهذا ما يفسر إقبالهم على استئجارها بثمن مرتفع، فقد استأجر أحمد آغا بن محمد آغا

---

(١) س ٩٩، ص ٢٦، ١٠ جمادي الآخر ١١٥١هـ/١٧٣٨م، وكذلك موسى بن بشة التركماني، اشتهر في امتلاكه معصرة زيتون، أنظر س٢٥، ص٣٣٣، ٩ جمادي الآخر ١١٢٢هـ/١٧١٠م.

(٢) س ٩٩، ص ٥٧، ٥ شعبان ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

(٣) س ١٤٣، ص ٣٢٥-٣٢٦، ١٦ ذي الحجة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

(٤) س ١٤٣، ص ٣٢٥-٣٢٦، ١٦ ذي الحجة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

(٥) القنطار الشامي يساوي عادة ١٠٠ رطل، وفي نفس الوقت أربعة قناطير مصرية، وهذا يعتمد على الزمان والمكان والبضاعة نفسها والرطل نفسه، وقد حدد هنتس القنطار الدمشقي بـ ١٩٢.٤كغم. انظر هنتس - المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٤٢. انظر أيضاً الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص١٩٠.

(٦) س ٢٥، ص ٣٢٩، ١٢ جمادى الأول ١١٢٢هـ/١٧١٠م.

(٧) س١٠٩، ص١٣١، ٦ رجب ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م.

(٨) وهي الطائفة التي تعنى بإنتاج الصابون، والصبان بائعه، ومحل عمله يعرف بالمصبنة، أنظر القاسمي- قاموس الصناعات الشامية، ج٢-ص ٢٦٨.س ١٠٩، ص١٣١-١٣٢، ٦ رجب ١١٥٥هـ/١٧٤٢م.

(٩) س ١٠٩، ص ١٣١-١٣٢، ٦ رجب ١١٥٥هـ/١٧٤٢م.

(١٠) س ٩٩،ص ١٢٨، ٤ رجب ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشهير بابن عبد السلام طاحون داخل باب السلام، لمدة ثلاث سنوات بأجرة قدرها أربعمائة وثمانين قرشاً عن السنة الواحدة[١]، أما عمر بشة بن محمد بشة فقد استأجر طاحون المزابل بمحلة العمارة بثمن قدره أربعة وثلاثين قرشاً.[٢] واشترى خليل بشة ابن الحاج إبراهيم من الحاج يونس الحفار جميع الحصة، وهي أربعة قراريط من جميع عمارةالطاحون التي وصفت بأنها خراب بقرية المزة، بثمن قدره ثمانية وعشرون قرشاً ونصف قرش،[٣] كما قام خليل بشة بشراء حصة الحاج داوود بثمن قدره ثمانية وعشرون قرشاً ونصف القرش.[٤]

وتشير الوثائق إلى امتلاك بعض اليرلية الطواحين بدمشق برز منهم إسماعيل آغا، آغا اليرلية بدمشق، حيث يشير دفتر القسام العسكري بدمشق[٥] أن طاحون المويسكة الواقعة بقرية تل الذهب، هي من مخلفات إسماعيل آغا، وقد إدعى يوسف جلبي بن عثمان الشهير بابن العيطة، بأن له مبلغ ألفين وخمسمائة قرش على ورثة إسماعيل آغا، وقام برهن الطاحون مقابل هذا المبلغ[٦] كما ادعت زوجة إسماعيل آغا بأن لها نصف ثمن من الطاحون ومبلغ ألف وخمسمائة وسبعة قروش، ونصف قرش، ورهنت الطاحون مقابل هذا المبلغ،مما أدى إلى بيع الطاحون لعمر آغا ابن إبراهيم آغا ابن عثمان كتخدا الكيواني،[٧] أما كنعان ابن حسين بشة فقد امتلك طاحوناً بصالحية دمشق بأراضي درزة،[٨] وامتلك السيد علي آغا بن السيد محمد آغا كتخدا قلعة دمشق طاحوناً تحت القلعة.[٩] ووجدت طاحون خارج باب السلام ملكاً لمحمد أفندي بن مكي محمد جوربجي،[١٠] وواحدة ملك محمد جلبي بن محمد آغا، عرفت بطاحون العديل التابع لمزرعة المغيتة

---

(١) س ١٢٣، ص ٣٧، الأول من ذي الحجة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م.

(٢) س ٩٩، ص ١٢٨، ٤ رجب ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

(٣) س ١٠٦، ص ٨٤، ١٩ جمادي الآخرة ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٤) س ١٠٦، ص ٨٤، ١٩ جمادي الآخر ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٥) القسام العسكري أنظر الفصل الثاني من هذه البحث.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٧٢.

(٧) عيسى أبو سليم- الأصناف والطوائف الحرفية، ص ١٧٢.

(٨) س ٢٨، ص ٩٨، ١٥ ربيع الأول ١١١٨هـ/١٧٠٦.

(٩) س ١٠٠، ص ١٧٢، ١٩ ذي الحجة ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

(١٠) س ٩٩، ص ١٠٧، ١٣ شوال ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقرية العديل[١] كما امتلك عبد الله جلبي طاحون الزين بدمشق.[٢] ويظهر أن بعض اليرلية تاجروا بالأقمشة والقطن.[٣]

ومن العوامل الأخرى التي زادت من ثراء بعض العسكر،وتحكمهم بأهالي المدينة، تولي بعضهم أمانة بيت المال، حيث أنهم كانوا يقومون بضبط مخلفات العسكر الذين يتوفون ولا وارث لهم، ويتم ذلك عن طريق تعيينهم من القاضي، ويتضح ذلك من خلال القضية الشرعية التالية: "... تسلم فخر الأماجد والأكارم يوسف آغا بن عثمان آغا سقاباشي وصياً شرعياً من قبل الشرع الشريف عن ضبط وقبض التركة المخلصة عن المرحوم الحاج عثمان آغا بن عبد الله البلطجي المتوفى بطريق الركب الشامي بمنزلة العلا أياباشية... وبيعها وتقييدها وفي صرف ما يترتب صرفه".[٤] كما عين بكر سلخور من قبل القاضي بدمشق على ضبط وبيع مخلفات وعقارات وأملاك أحمد جوربجي.[٥] أما في حالة وجود ورثة فإن القاضي يقوم بتنصيب وصي شرعي عليهم من العسكر، ليتولى نفقتهم إلى حين بلوغهم سن الرشد، فقد فرض عليهم القاضي أبو الصفا القسام العسكري بدمشق لأيتام المتوفي محمد بلوكباشي بن الحاج فتوح ابن الهواش ... من بلوكباشية قلعة دمشق القاصرون عن درجة البلوغ عن فخر الأقران رمضان جلبي بن علي بشة برسم طعامهم وشرابهم وزيتهم وصابونهم وحمامهم وكسوتهم... وسائر لوازمهم، بمبلغ خمسة عشر قرشاً حساباً عن كل يوم.[٦] كما عين حسن بن ناصر الرومي الصالحي القابي قولي وصياً شرعياً على أيتام أخيه حسن بشة من اليرلية المتوفي بطريق الركب الشامي بمنزلة العلاأياباشية.[٧] وتشير الوثائق إلى ممارسة بعض الإنكشارية ضغوط وتجاوزات على ورثة العسكر، خاصة وأنهم المسؤولون عن ضبط مخلفات أفراد طوائفهم فقد ادعت آمنة بنت المرحوم مصطفى

---

(١) س ١٠٦، ص ٣٢٠، ١١ شعبان ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٢) س ١٤٣، ص ١٧، ٢ محرم ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

(٣) س ١٤٣، ص ١٢٨، ١٤ ربيع الأول ١٧٥٥م.

(٤)س ٢١، ص٢٨٩، ١٢ ربيع الأول ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

(٥) س ١٤٣، ص ١٠٠، ٢٥ ربيع الأول ١٧٥٥م.

(٦) س ٢١، ص ٣٠٠، ١٤ ربيع الآخر ١١١٢هـ/١٧٠٠م. س ٢١، ص ٣٢٥، ١٥ ربيع الآخر ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

(٧) س ٢١، ص ٣١٦، ١٥ ربيع الأول ١١١٢هـ/١٧٠٠م. أنظر أيضاً س ٢٥، ص ٣٥٢، أواخر ربيع الآخر ١١٢٢هـ/١٧٠٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاويش ابن الشيخ زكريا على باكير جاويش، وقررت في دعواها عليه بأنها بلغت سن الرشد، وأنها صالحة لدينها ودنياها... وقادرة على البيع والشراء والتصرف في جميع شؤونها، وطالبته بمبلغ قدره أربعمائة قرش وعشرين قرشاً بقية ما بقي لها من مخلفات والدها، فأنكر باكير جاويش ذلك وعارضها، حتى أثبتت أنها رشيدة، وأقر لها الحاكم بدفع المبلغ.[١] حتى إن بعض العسكر كانوا يتنافسون فيما بينهم في حق الوصاية على الأيتام، فمثلاً ادعى فخر الأقران علي آغا بن محمود الشهير بيابا على رمضان جلبي بن علي بشة بن مصطفى الوصي الشرعي على أيتام محمد بلوكباشي، بأنه أحق منه في الوصاية عليهم[٢] وبعض النساء شاركن في الوصاية على الأيتام، فقد عينت آمنة بنت علي بشة بن إبراهيم آغا من قبل القاضي، وصية شرعية على أولاد المتوفى محمد نذير بن الحاج عاشور، لتتعاطى مصالحهم الشرعية، وسائر لوازمهم.[٣] ومن مخلفات العسكر التي كانت تضبط لجهة بيت المال: الأموال والحلي، والأراضي، والبساتين والكروم، والأسلحة المتنوعة، والأدوات المنزلية: الطناجر والصحون والأباريق.[٤]

ويظهر أن بعض اليرلية تولوا مهمة جمع الضرائب، فقد عهد إلى حسين وعمر ولدي فخر الأماثل عمر آغا بن حسن آغا بن علي جلبي بن مصطفى كتخدا، من قبل القاضي بدمشق، في وظيفة جباية المسقفات بوقف مدرسة القادسية في دمشق براتب قدره عن كل يوم أربعة دراهم[٥] عثمانية.[٦]

نلحظ مما تقدم أن بعض العسكر استطاعوا تكوين ثروة كبيرة، لذا أراد بعضهم أن ينمي تلك الثروة بطرق حديثة، ومن الطرق التي اختاروها الدين (سواء في المدينة أو الريف)، ومن خلال مطالعة سجلات المحاكم الشرعية وجد ثلاثة أنواع من الديون: وهي القرض الحسن، والقرض مقابل الرهن، والقرض مقابل الربا، وكان تسديد تلك الديون يتم عن طريق تقسيط الدين على الأيام أو على الشهور أو على السنوات، بعد أن يتم تحديد قيمة الدينار السلطاني

---

(١) س ٢٥، ص ٣٤٥، أواخر ربيع الآخر ١١٢٢هـ/١٧٠٠م.

(٢) س ٢١، ص ٣٠٠، ١٢ ربيع الثاني ١١١٢هـ/١٧٠م.

(٣) س ٢١، ص ٢٢، شوال ١١١٩هـ/١٧٠٧.

(٤) وينطبق ذلك على القرنين السابع عشر والثامن عشر أنظر الحمود-العسكر في بلاد الشام، ص ١٩٨.

(٥) الدرهم مشتق من اللفظة اليونانية الدراخمة، وقد تعاملت به الشعوب التركية نسبة إلى الدينار أي ٧ إلى ١٠ وبوزن ٢.٩٧غم. للمزيد من التفاصيل انظر عامر، محمود- المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٦٣.

(٦) س ١٤٣، ص ٢١١، ١٢ شبعان ١١٦٦هـ/١٧٥٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالشاهيات الفضية التي سيتم الدفع بها[١] إدعى فخر الأماثل عمر جوربجي بن أحمد علي حسن بن إبراهيم القطان بأربعة وثلاثين قرشاً أسدية اللازم له عنده وذلك من جهة دين شرعي، واعترف المدعى عليه بذلك، وألزمه الحاكم بدفع المبلغ للمدعي عليه[٢] كما إدعى خداوردي جوربجي على محمد بن أحمد السباهي بثلاثة وعشين قرشاً أسدية اللازم عليه، واعترف المدعى عليه بذلك والزمه الحاكم بدفع المبلغ[٣]، واستدان مصطفى آغا بن محمد مطرجي باشي من الحاج أحمد بن مصطفى الرومي أحد إنكشارية دمشق، مبلغ مقداره تسعين قرشاً فضياً.[٤]

وأقر السيد عبد الرحمن آغا بن مصطفى بن حجازي أن عليه لابن السيد علي آغا مبلغاً قدره مائتا قرش، اثنان وخمسون قرشاً فضة صحيحة مقسطة له عليه في عشرة أقساط متساوية كل قسط قدره خمسة قروش سنوياً،[٥] كما أقر مصطفى جلبي بن عثمان التاجر بسوق السباهية أن عنده لأيتام حسن آغا الزعيم مبلغ أربعمائة قرش وأربعة وأربعون قرشاً مؤجلة إلى مضي سنة كاملة[٦] واستدان عثمان آغا من أحمد آغا مبلغ خمسة قروش فضية،[٧] كما استدان داوود حسن من أهالي محلة الميدان من حسن بشةبن عبد الله مبلغ خمسة قروش،[٨] وادعى السيد محمد بن أحمد بشة بن النقيب علي إبراهيم بن عمر بشة من محلة باب المصلى بأن له عنده عشرة قروش، فأجاب المدعي عليه، بأنه فقير الحال، ولا يملك المال، فأقرله القاضي بدفعها بالتقسيط لكل سنة خمسة قروش،[٩] وذلك حتى يتم تسديد الدين حسب القدرة والاستطاعة، واقترض السيد علي آغا بن

---

(١) لقد كانت وحدة التعامل الذهبية في الدولة العثمانية، تعرف بالسلطاني، وهو دينار ذهبي، وكان الدينار السلطاني يعادل في الربع الأخير من القرن السادس عشر ثماني شاهيات فضية، وأحياناً إلى أحد عشر شاهياً فضياً أما وحدة التعامل الفضية في الدولة العثمانية فهي الأقجة التي تشير لها سجلات المحاكم الشرعية باسم العثمانية والأسدي، والشاهي، وقد ضربت العملة الذهبية والفضية في مراكز ولايات بلاد الشام في فترات تاريخية مختلفة. أنظر نوفان الحمود-العسكر في بلاد الشام، هامش، ص ١٩٨-١٩٩.

(٢) س ٢٥، ص ٤٩، ١٠ رجب ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

(٣) س٢٥، ص٣٢، ١٦ رجب ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

(٤) س ٢١، ص ٢١، ٥ شوال ١١١٩هـ/١٧٠٧م.

(٥) س ١٤٣، ص ٩٧، ٢٠ ربيع الأول ١١٦١هـ/١٧٤٨م.

(٦) س ٢١،ص ١٩١، ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

(٧) س ١٤٣، ص ٨٣، ٤ جمادى الأول ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

(٨) س ١٤٣، ص ٩٨، ٢١ ربيع الأول ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

(٩) س ١٧٥، ص ١٤٤، ٤ جمادى الآخر ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السيد مصطفى آغا اليرلية بدمشق من حسين آغا بن حسن نور الدين مبلغ ألف قرش،[١] ويظهر أن بعض التجار والحرفيين قد عجزوا عن سداد ديونهم، فقام اليرلية بسجنهم، منهم السيد إسماعيل مصطفى بن إبراهيم، الذي استدان من أحمد بشة بن الحاج منصور، خمسة قروش، فعجز عن سد دينه، فحبسه في سجن باب البريد[٢] ومن الأمثلة على دين الرهن[٣] أن مصطفى بك بن عبد المحسن بشة بن عبد الرحمن بشة زادة الأودة باشي العقرباني وولده عبد المحسن، قد رهنا جميع الدار الكائنة باطن دمشق (داخل سور دمشق) بزقاق القيمرية، مقابل مبلغ قدره ألف وأربعمائة قروش كانا قد استداناها من أحمد آغا بن افتخار الأماجد والأعيان المكرمين الحاج محمد آغا السمان زادة.[٤]

ورهن محمد آغا بن يوسف خمسة جمال مختلفة الألوان والأسنان، مقابل مبلغ قدره مائة وتسعون ذهباً شريفاً، كان قد استدانها من الحاج إبراهيم بن العمد[٥] ورهن أحدهم وعاء نحاس مقابل مبلغ كان قد استدانه منه.[٦]

ويذكر نجم الدين الغزي، أن قاضي القضاة بدمشق مصطفى المعروف بكوجك مصطفى (١٠٠١هـ/١٥٩١م)، كان يتحرى في أحكامه (أي يتثبت منها عن طريق إحضار الشهود والسماع منهم قبل إصدار الحكم) خاصة فيما يتعلق باليرلية ومداينتهم، حتى إن تجار دمشق في الأسواق كانوا إذا مر عليهم قالوا: هذا المهدي، هذا عيسى بن مريم،[٧] ويبدو من السجلات الشرعية أن بعض عسكر دمشق في القرن الثامن عشر تعاملوا بالربا، فقد استدان مصطفى بيك بن محمد آغا البكري تسعمائة وثلاثون قرشاً بالربا من فخر الأقران

---

(١)س ٢١٠، ص ١٠٦، ٢٠ جمادى الأول ١١٩٤هـ/١٧٧٩م.

(٢) س ١٤٣، ص ١٥٧، ١٨ جمادى الأول ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

(٣) الرهن في اللغة ما وضع عند الشخص لينوب مناب ما أخذ منه، مثل أن يرهن المدين مقابل دينه دوراً أو أراض أو كروماً أومصوغات من ذهب أو فضة، وإذا انقضى الأجل المحدد للدين و لم يف المدين بدينه، فإن المرهون يكون من نصيب الدائن. أنظر الحمود-العسكر في بلاد الشام، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٤) س ١٤٣، ص ٢٣٧، ٦ ذي القعدة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م.

(٥) س ٢٥، ص ١٧، ٤ رجب ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

(٦) س ٢٥، ص ٣٣، ٧ ربيع الأول ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

(٧) الغزي-لطف السمر، ج٢، ص٦٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحصل بيك.[١]

وهكذا نستطيع القول: أنه أصبح لدى بعض العسكر ثروات هائلة، ويلاحظ أن ما وصل إليه العسكر من ثراء قد انعكس على حياتهم الاجتماعية، فأصبح هناك تنافس فيما بينهم في بناء القصور والدور الجميلة، وأحاطوها بالبساتين والكروم، وأوصلوا لها المياه من القنوات، كما اشتملت على كثير من المرافق، كالمطابخ والحمامات، والخانات، الاسطبلات، وآبار المياه، وغير ذلك،[٢] ومن الأمثلة على ذلك: اشترت بدرة بنت فرحان بشة بن خليل من اليرلية بدمشق من أخيها فخر الأقران علي بشة الينكجري جميع الإسطبل بمحلة باب الفرج بدمشق، المشتمل على عضاضتين وعدة ومعالف بثمن قدره مائة قرش وعشرون قرشاً فضة أسدية صحيحة[٣] واشترى فخري الأقران عمر بشة وعثمان بشة ولدي باكير بشة عمارة الدار الكائنة بظاهر دمشق ، (خارج سور دمشق)، وتشتمل على ساحة سماوية، وإيوان وطبقة، وبركة ماء بستانية تجري إليها المياه من نهر تورا، واسطبل ، ومنافع شرعية،[٤] واشترى الحاج عبد الوهاب بن الحاج محمد جميع الدار الكائنة بمحلة قبر السيدة عاتكة، المشتملة على ساحة سماوية، وماء معين، وقاعة بإيوانين،[٥] واشترى الحاج أحمد بن الحاج مصطفى بن محمد أودة باشي الدار الكائنة بظاهر دمشق، وتشتمل على مساكن، ومنافع شرعية، وأرضية مبلطة، وقاعتين وإيوانين متقابلين،[٦] واشترى يوسف بشة بن الحاج محمد المبيض من يوسف بن الحاج حجازي جميع الدار الكائنة ظاهر دمشق بمحلة القبيبات، وتحوي على ساحة سماوية وأربعة مساكن وبئر ماء ومطبخ ومنافع،[٧] واشترى أحمد بشة بن حجازي بشة بن رباح جميع الدار الكائنة بمحلة قبر السيدة عاتكة، تشتمل على دهليز ومنافع شرعية،[٨] واشترى علي آغا بن بكداش آغا جميع العمارة الجديدة الكائنة بقطعتي الأرض

---

(١) س ١٤٣، ص ١٠٥، ٥ ربيع الأول ١١٦١هـ/١٧٤٨م.

(٢) الحمود-العسكر في بلاد الشام،ص ٢٠٢.

(٣) س ٢٥، ص ٧١، ٣ شعبان ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

(٤) س ٢٥، ص ٥١، ١٠ ربيع الآخر ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

(٥) س ٢١، ص ١٠٤، ١٤ جمادي الأولى ١١١٩هـ/١٧٠٧م.

(٦) س ١٠٥، ص ٨، ١٥ شوال ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٧) س ١٣٦، ص ١١٨-١١٩، ٥ ربيع الأول ١١٦١هـ/١٧٤٨م.

(٨) س ١٤١، ص ١٢، ١٢ شهر ربيع الآخر ١١٦٦هـ/١٧٥٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكائنتين ظاهر دمشق بمحلة سوق ساروجا، وتحوي على ثلاثة مربعات أحدهم كبير يحتوي على جدر وسقف وباب وشباك [١] أما الحاجة صالحة بنت الحاج إبراهيم بن محمد البرادعي، فقد اشترت جميع عمارة الدار الكائنة ظاهر دمشق بمحلة الحسودية، وتشتمل على ساحة سماوية، وبركة ماء، ومربع وإيوان، وطبقة، وثلاثة مشارف، وقصر يصعد إليه بسلم حجر ومرتفق ومنافع وحقوق شرعية،[٢] واشترى محمد بشة بن أحمد الحمامي جميع المكان الكائن ظاهر دمشق بمحلة الخراطين، ويشتمل على باب يصعد منه سلم حجر،إلى ثلاثة أطباق وشرفتين ومطبخ راكب عليه طبقةصغيرة ومرتفق ومنافع.[٣]

يلحظ مما تقدم أن نشاط العسكر الاقتصادي قد تركز بصورة رئيسة داخل مدينة دمشق خلال القرن الثامن عشر، إلا أن الوثائق تشير إلى امتداد نشاط بعض البرلية إلى القرى المجاورة للمدينة، وخاصة التجار منهم، الباحثين عن الثروة، والراغبين في المشاركة بهذا المجال، وقد شجعهم على ذلك وجود الطريق مفتوحة أمامهم، خاصة أن الفلاحين كانوا بحاجة إلى تلك الأموال لدفع الأموال الميرية للدولة العثمانية، حيث كان يتوجب عليهم دفع تلك الأموال في الأشهر القمرية، في حين تنضج محاصيلهم بحسب الأشهر الشمسية؛[٤] ولهذا كان الفلاحون يضطرون إلى الاستدانة من تجار دمشق، ويظهر أن أكثر تلك الديون كانت بالفائدة، وكان تجار دمشق يأخذون منها ما بين ٨-١٠٪ بحجة بيع هؤلاء الفلاحين الصابون أو الآلاجة أو البن أو القمح أو الشعير،[٥] وبذلك فإن الآغوات العسكريين قد مدوا نفوذهم إلى القرى عن طريق إقراض القرويين مالاً كثيراً.

ويبدو أن هدفهم من ذلك هو السيطرة على أملاك الفلاحين ونزع ملكيتهم بالقوة والنفوذ لزدياد ثرائهم، فقد إستدان علي عمر بن جمال من أهالي قرية القدم تابع ناحية وادي العجم، من علي آغا أحد انكشارية دمشق خمسة قروش ونصف أسدية،[٦] وكان في ذمة حسين بن محمد

---

(١) س ١٤٣، ص ١١٠، ٤ ربيع الآخر ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

(٢) س ١٧٥، ص ٦٧، منتصف جمادي الآخر ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.

(٣) س ٢١٠،ص ١٨، ذي الحجة ١١٩٣هـ/١٧٧٨م.

(٤) نعيسة-مجتمع مدينة دمشق،ج١، ص٣١٩.

(٥) المرجع نفسه-ص ٣١٩-٣٢٠.

(٦) س ٢٥، ص ٣٣، ١٦ رجب ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المشهور بالقراط من قرية كفر سوسيا مائتا قرش واثني عشر قرشاً أسدية، من ذلك مائة وخمسون قرشا ثمن لجوخ زيتي[١]، وأقر جماعة من فلاحي ربع شمس من قرية داريا الكبرى التابعة لناحية وادي العجم من نواحي دمشق وهم: الحاج داوود بن الحاج علي العجمي، والحاج محمد بن إبراهيم عبد المحسن، ومحمد ابن الحارثي البيك، والسيد علي بن السيد اسماعيل، ومصطفى بن مصطفى الزهد، وداود بن عبد السلام وأبو بكر الحارثي أن في ذمتهم الصوباشية قريتهم وهم مصطفى بشة بن الحاج موسى، وإبراهيم بشة بن إسماعيل يغمور، وعلي بشة بن أحمد تسعمائة وأربعة قروش[٢]، واعترف بعض أهالي قرية داريا أنهم اقترضوا من إبراهيم آغا بن عثمان آغا ثلاثة آلاف قرش[٣] كما اعترف أمام قاضي دمشق جماعة من أهالي قرية داريا الكبرى أن في ذمتهم لحسين آغا بن محمد آغا اليازور كان سوباشي قريتهم تسعة آلاف ومائة إحدى وثمانون قرشا[٤]. وبلغت دين عمر آغا وباكير آغا ولدي مصطفى آغا القباني على بعض فلاحي قرية الطيبة تابع ناحية وادي العجم عشرين ألفا وتسعماية وخمسة وسبعين قرشا[٥]، وإذا عجز الفلاح عن سداد دينه قام العسكر برهن أرضه أو غلاله إلى حين سداده الدين[٦]، فقد رهن عبدالمحسن جبه جي بن الحاج عبدالرحمن جميع غراس البستان بقرية كفر سوسيا لحسين بن محمد مقابل دين مائتا واثنتان عشرة قروش كان قد عجز عن إيفاءه له[٧].

ويلاحظ من السجلات الشرعية أن بعض العساكر القاطنين بالقرى إستدانوا من عسكر مدينة دمشق، فقد إستدان كلا من قره حسن التركماني وحسن بن رمضان التركماني المقيمين بقرية الصوامع من التركماني بدمشق مبلغا قدره ثلاثمائة وقرشا واحدا مؤجل عليها ذلك إلى مضي سنة كاملة[٨].

ونظرا للثروة الكبيرة التي تجمعت في أيدي العسكر، فقد إستغل الكثير منهم تلك الثروة في

---

(١) س ٢١، ص ٢٨٠، ١٣ محرم ١١٢٢هـ/١٧١٠م.

(٢) س ١٠٥، ص ٣٩، ١٧ ذي الحجة ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٣) س ١٣٦، ص ٣-٤، صفر ١١٦١هـ/١٧٤٨م.

(٤) س ١٤٣، ص ١٠٤، ١٢ ربيع الأول ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

(٥) س ١٤٣، ص ١٠٧، غرة ربيع الآخر ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

(٦) رافق- مظاهر من الحياة العسكرية، ص ١٠٦.

(٧) س ٢١، ص ٢٨٠، ١٣ محرم ١١٢٢هـ/١٧١٠م.

(٨) س ٢١، ص ١٢١، ١١٢٠هـ/١٧٠٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التوسع خارج المدينة، وشراء الأراضي الزراعية والكروم والبساتين، خاصة تلالها القريبة من مجاري المياه ووجهوا إهتمامهم إلى القرى المجاورة لدمشق والتي تدعوها سجلات محاكم دمشق الشرعية قرى المرجين والغوطة"، وذلك لقوة مياهها وخصوبتها، وكانت معظمها تضم بساتين وكروم تروى من الأنهار القريبة، كما ركزوا إهتمامهم على الأراضي التي تزرع بالحبوب الصيفية والشتوية[١]، ومن الأمثلة على المحاصيل الشتوية الحنطة والشعير والكرسنة والعدس والجلبانة والفول واللوبية والحمص والحلبة ومن الكروم: العنب الزيني والحيلي والداراني والبلدي، ومن الفواكه المشمش والتفاح والرمان والخوخ والجوز واللوز والدراق والتين، ومن المحاصيل الصيفية: القطن والقنب، وقام العسكر بالإهتمام بتربية الحيوانات والطيور المتنوعة، وذلك للإتجار بها والانتفاع منها، أو لإستخدامها في الفلاحة، ومن تلك الحيوانات: الجمال والبقر والحمير والماعز والغنم، ومن الطيور الأوز والحمام. فعلى سبيل المثال: كان السيد محمد آغا بيده فلاحة قرية الزبداني[٢]، التابعة لناحية المرجين والغوطة[٣]. واشترى علي بلوكباشي جميع غراس الأرض وزراعتها الكائنة بقرية دير العصافير التابعة لقرى الغوطة[٤]، من قرى دمشق، واشترى أيضا دار وبقرا وآلة فلاحة[٥]، وكان لعلي آغا محمود الشهير بيابا دار بقرية داريا الكبرى تشتمل على حوشين أحدهما خارجي (براني) والآخر داخلي، وكل منهما يشتمل على منافع وحقوق شرعية، إضافة إلى جميع أرض البستان في القرية ويعرف بالتل ويشتمل كامله على أشجار وفواكه منوعة وغراس وجميع أرض التل من كروم بأراضي القرية المشتمل على عنب وجبيل وغير ذلك، وجميع سكة الفلاحة الكائنة بالقرية، واشترى السيد علي بن محمد التركماني من قواس باشي جميع غراس الأرض الكائنة بقرية الداحة وتعرف بالحقلونية وتشتمل على: مشمش وموز وصفصا ورمان وتوت مشاق وعنب[٦]. كما كان لفخر الأماثل حسين آغا بن يحيى آغا بن إبراهيم أودة

---

(١) وقد اهتم بها العسكر في دمشق في القرنين السادس عشر والسابع عشر واستمر ذلك طوال القرن الثامن عشر أنظر الحمود-العسكر في بلاد الشام، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) أنظر عنها زكريا- الريف السوري، ج٢، ص ٢٦٨.

(٣) س ٢٥، ص ١١٣، ١٧ شعبان ١١٢٢هـ/١٧٠٠.

(٤) وتقع جنوب شرق دمشق، وبقاياها لا تزال إلىالآن أنظر زكريا-الريف السوري ج٢، ص ١٢١.

(٥) س ٢٥، ص ١٦٥، ١٤ جمادى الآخر ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

(٦) س ٢١، ص ٣٠٦، ١٤ ربيع الآخر ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باشي جميع الدار الكائنة بقرية البلاط من قرى غوطة دمشق وتعرف بدار كوجك، وتشتمل: على ساحة سمارية[١] وأربعة مساكن ومبنى وبايكة ورواق وطبقتين ومشرفة يصعد إلى ذلك بسلم حجر وبئر ماء ومنافع وحقوق شرعية، إضافة إلى جميع أرض البستان الكائن بأراضي القرية الحاملة أرضه لغراس أشجار وفواكه منوعة[٢]، واشترى كلا من أحمد آغا وموسى آغا من والدهم مصطفى آغا بن علي آغا الدار الكائنة بقرية أوتايا بناحية المرج المشتملة على: منافع شرعية المحدودة قبلة بيت رمضان وشرقا الطريق فيه الباب وتمامه بيت رمضان وشمالا الطريق السلطاني... وجميع آلة الفلاحة الموجودة في الدار والمشتملة على سكك وغيرها[٣]. وكان لمحمد آغا بستان في قرية عقربا[٤]، عرف بالناعور، واشتمل على أشجار وفواكه مختلفة الأنواع[٥]، واشترى خليل بشة بن الحاج خليل الثرواني جميع البستان المعروف بالبستيات الكائن بأراضي بيت لهيا بقرية برزة[٦]، المشتمل على أشجار وفواكه مختلفة النوع والجنس[٧]، كما اشترى حسن آغا بن الحاج مصطفى بن الحاج حجازي جميع الغراس الجديد القائم بأراضي البستان الكائن بأراضي قرية كفر سوسية، ويشتمل على أشجار وفواكه متنوعة[٨]، واشترى فخر الأماجد الكرام عمر آغا بن مغمز الآماجد المكرمين مصطفى جوزبجي زادة من طائفة زمرة اليرلية بدمشق محمد آغا جميع النراحي القائمة بقطعة الأرض الكائنة بأراضي قرية داريا الكبرى يشتمل على: زيتون وعدية سبعة وعشرين رصيصا[٩]، واشترى أيضا محمد سعيد بشة جميع غراس قطعة الأرض الكائنة

---

(١) س ١٠٩، ص ١١٦، ٢ ذي الحجة ١١٣٨هـ/١٧٢٥م.

(٢) س ١٠٩، ص ٦٥، ١٣ رجب ١١٥٤هـ/١٧٤٠م.

(٣) س ١٠٢، ص ١٦، ١٥ رجب ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٤) تقع إلى الجنوب الشرقي من دمشق، وسط سهول الغوطة الغربية، لا ترى من التفاف الاشجار الكثيفة حولها، وهي تسقى من نهر العقرباني الذي تنسب إليه،ويتفرع من بردى وسط دمشق تحت جسر المرجة أنظر زكريا-الريف السوري، ج٢، ص ١٨٤-١٨٥.

(٥) س ١٠٢، ص ٢٥١، محرم ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٦) ناحية الغوطة، تقع شمالي دمشق على سفح جبل قاسيون الأسفل من جهة الشرق (جبل الحلو)، وتبعد عن دمشق خمسة كيلو مترات، وهي الآن حي كبير من أحياء مدينة دمشق أنظر زكريا-الريف السوري، ج٢، ص ٩٩-١٠١.

(٧) س ١٠٢، ص ٢٥١، ١٠ محرم ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٨) س ١٤٣، ص ٤١، ١٧ حيفر ١١٦٠هـ/١٧٤٧م.

(٩) س ١٨٢، ص ٥٢، ١٣ محرم ١١٦٦هـ/١٧٥٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأراضي قرية برزة وتشتمل على: سبعة أصول زيتون وشربها من ماء القرية[١]، كما إشترى فخر الأقران أحمد آغا بن عبدالله تابع جنان فخر الأعيان المعتبر بن يحيى آغا صورلي زادة الدار الكائنة بقرية حران تابع ناحية وادي العجم وتشتمل على: مساكن ومنافع شرعية، إضافة إلى جميع غراس الكرمة المشتملة على: عنب زيني، ودبس، وجميع غراس التوت[٢]، أما السيد على آغا بن مغمز الأعيان محمد آغا فقد اشترى جميع الحصة وقدرها النصف اثنا عشر قيراطا من أصل أربعة وعشرين قيراطا من الكرم الكائن بأراضي قرية عين ترما[٣]، واشترى يوسف بشة بن الحاج حمزة جميع الحصة وهي الثلث من كامل مزرعة المحمدية الكائنة بناحية غوطة دمشق[٤]، واشترى إفتخار الأماجد والأعيان المحترمين أحمد آغا قطعة الأرض الكائنة بأراضي قرية المشيخة[٥].

ويلاحظ أن العسكر لم يهتموا فقط بشراء الدور والأراضي الزراعية والبساتين والمزارع بل إلتفتوا أيضا إلى إستثمارها، فقد إستأجر فخر الأماثل رمضان جلبي الدار والبستان الكائن بقرية داريا الكبرى[٦]، واستأجر حسين آغا الدار الكائنة بقرية البلاط، التابعة لغوطة دمشق[٧]، كما استأجر خليل بن علي التركماني وأحمد بن بشة جميع الحصة وقدرها الثلثان ستة عشر قيراطا من أصل أربعة وعشرون من جميع أراضي الكائنة بقرية دير العصافير، لمدة ست سنوات بأجرة قدرها مائة وإحدى وستون قرشا عن المدة بأكملها[٨]، كما استأجر محمد جلبي وعبدالكريم جلبي البستان الكائن بقرية المزة، من ضواحي دمشق[٩]. واستأجر أيضا فخري الأقران الكرام محمد آغا

---

(١) س ١٧٥، ص ٧٠، ١٩ جمادى الآخر ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.

(٢) س ١١٠، ص ٩٨، ١٨ شوال ١٨٣هـ/١٧٦٩م.

(٣) وهي من ضواحي دمشق،وهذه القرية صغيرة تقع في الغوطة الشرقية شرق دمشق في منبسط فسيح، ويسقي قسم من القرية من فرع يدعى العتيق لنهر تورا، وقسم يسقي من فرع الداعياني أنظر زكريا- الريف السوري، ج٢، ص ١١٥-١١٧. وأنظر أيضاً س ٢١٠، ص ١٥ ١٩ ذي الحجة ١١٩٣هـ/١٧٧٨م.

(٤) س ٢١٠، ص ١٠٠، ٦ ربيع الأول ١١٩٤هـ/١٧٧٩م.

(٥) س ٢١٠، ص ٢٠٠، ١٣ صفر ١١٩٥هـ/١٧٨٠م.

(٦) س ٢١، ص ٣٠٦، ١٤ ربيع الآخر ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

(٧) س ١٠٩، ص٦٥، ١٣ رجب ١١٥٣هـ/١٧٤٠م.

(٨) س ١٤٣، ص ١٥، ١٧ ربيع الأول ١١٦٠هـ/١٧٤٧م.

(٩) تقع غربي دمشق على يمين القادم من بيروت فوق الربوة على بعد أربعة كيلومترات من دمشق وتسقى من نهر المزاوي أنظر س ١٤٣، ص ٢٠٥، ٢ جمادى الآخر ١١٧٧هـ/١٧٥٢م. وانظر أيضاً زكريا - الريف السوري ج٢ ، ص ١٥٦-١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بن مصطفى آغا بن الدالي حسن وصالح آغا بن حسن آغا بن الدالي حسن جميع الحصة وهي الثلث ثمانية قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطا من جميع القرية والأراضي الكائنة بناحية جبة العسال المعروفة بقرية رنكوس[١]، المشتملة على قطع أراضي متفرقة وسهل وعرقاسي، وأداني مصايف ومشاتي ودفن عامر برسم سكني لفلاحيها وجميع المزارع التابعة لذللها، والمعروفة أحداهن بتل القطايا[٢]. واستأجر فخر الأماجد الكرام مراد آغا بن محمد آغا بن عبدالسلام بن مصطفى آغا جميع الحوشين الكائنين بمزرعة الدوير الكائنة بناحية المرج القبلي بالقرى من قرية دير العصافير المشتمل كل منها على: ساحة سماوية ومساكن سفلية وعلوية وبوايلها ومتابن ومنافع وحقوق شرعية وجميع اراضي المزرعة المشتملة على: كروم وعنب وزيتون وفواكه منوعة[٣].

وامتلك بعضهم المعاصر والطواحين في الريف، فكان لشعبان بشة بن الحاج مصطفى محمد المعصرة الكائنة في قرية القدم[٤]، وكان لخليل بشة بن الحاج ابراهيم الطاحون الكائن بقرية المزة[٥]. واشترى الأماجد المكرمين وصدر الأعيان محمد آغا بن قدوة الأماجد الأعيان الحمام الكائن بقرية الكسوة[٦] بثمن قدره سبعة آلاف وخمسمائة وعشرين قرشاً.

د- دور العسكر في إدارة الأوقاف:

إهتم العسكر منذ القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين بإدارة الأوقاف[٧]، واستمر

---

(١) قرية جبلية كبير، تابع الناحية التل أنظر زكريا-الريف السوري، ج١ ، ص ٤٠٦-٤٠٨. وجبة عسال هي قرية في جبال القلمون وتقع إلى الشمال الغربي من قرية يبرود أنظر ابن الصديق غرائب البدائع وعجائب الوقائع ص ١٤٤، وزكريا-الريف السوري، ج١ ص ١٨٠-١٨١.

(٢) س ١٧٤، ص ١٢٧، ١٣ جمادى الأول ١١٨٠هـ/

(٣) س ١١٠، ص ٩٠، غرة رجب ١١٨٣هـ/١٧٦٩م.

(٤) س ٩٩، ص ٢٦، ١٠ جمادى الآخر ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

(٥) س ١٠٦، ص ٨٤، ١٩ جمادى الآخر ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٦) وكانت تابعة لناحية وادي العجم، أو الناحية وادي الأعوج نسبة إلى نهر الأعوج الذي يخترقها من الغرب إلى الشرق ويسقى أراضيها أنظر زكريا- الريف السوري، ج٢، ص ٤٤٨.

(٧) كان هناك نوعان من الوقف، هما: الوقف الخيري الذي كان ينفق ريعه على وجوه الخير والنفع العام مثل المستشفيات (البيمارستانات): كالبيمارستان النوري، والقيمري والمدارس،: كالمدرسة البدرئية، ودار الحديث النورية، وعمارات السلطان سليمان الثاني الوقف الذري، وهو نفع خاص وذلك بأن يوقف أحدهم أملاكه على نفسه وعلى أبنائه من بعده أنظر الحمود-العسكر في بلاد الشام،ص ٢٢٦-٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك خلال القرن الثامن عشر، وكان يدير تلك الأوقاف سواء أكانت خيرية أم ذرية متولون إنحصرت مهمتهم في تنمية أموال تلك الأوقاف وإصلاح ما يتلف منها[١]، وكان ناظر الوقف[٢]، يتم تعيينه من قبل القاضي، وتشير وثائق مدينة دمشق في القرن الثامن عشر إلى بروز العسكر في مجال تولية الأوقاف الخيرية والذرية، ففي مجال الوقف الخيري كان يتوجب على متوليه الحصول على براءة سلطانية أو براءة من قبل الصدر الأعظم أو من قبل الولاة للسماح له في تولية الوقف، فعلى سبيل المثال: قررت وظيفة التولية والنظر على أوقاف الحرمين الشريفين بدمشق لإبراهيم آغا بن شعبان الدومي بموجب البراءة السلطانية[٣]، وأقر لمحمد عطا الله جلبي بن أحمد آغا بن محمد آغا في وظيفة التولية على مسجد المتوفي الشيخ عبدالله الكلاني الكائن بمحلة القيمرية بدمشق بموجب قرار من القاضي[٤] وتولى فخر الأقران مصطفى آغا بن محمد آغا على وقف جامع العداس الكائن بمحلة القنوات بدمشق بموجب البراءة السلطانية[٥]، كما أقر لمصطفى آغا بن حسين آغا القطعاني في وظيفة التولية على الجامع الكائن بمحلة الشاغور ظاهر دمشق بموجب قرار من القاضي[٦] وكان للوقف الخيري دور رئيسي في تنشيط الحركة العلمية، حيث وجدت الكثير من الأوقاف التي تعنى بوقف الكتب، والتي تولى بعضها العسكر، فمثلا عين محمد بن مصطفى الحافظ من قبل القاضي بدمشق في وظيفة مشيخة الكتب الموقوف من قبل دزدار علي آغا الكائن بباب القلعة بدمشق بأجرة قدرها عن كل يوم ثلاثة دراهم عثمانية[٧].

وقد أخذ الكثير من الواقفين من الجند يحصرون الوقف على أنفسهم وعلى أولادهم من بعدهم وذريتهم بهدف الحفاظ على ملكيتهم، وأطلق على هذا النوع من الوقف، بالوقف الذري،

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٣٠.

(٢) وهو المتولي أوالقيم، والمتولي هوالذي شرف على أعمال الوقف وإدارته، أما الناظر فهو المرقب لأعمال المتولي.

(٣) س ٩٩، ص ٩٩، ١٠ رجب ١١٥١هـ/١٧٣٨م وأنظر س ١٠٠، ص ١٥٢، ١٦ ذي الحجة ١١٥١هـ/١٧٣٨م: الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٢٣٠.

(٤) س ١٠٩، ص ١٠٢، ١٣ ذي القعدة ١١٣٥هـ/١٧٢٢م.

(٥) س ١٠٥، ص ٤٣، ١٣ محرم ١١٥٥هـ/١٧٤٢م.

(٦) س ١٤٣، ص ٢٠٣، ١٠ جمادى الأول ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

(٧) س ١٠٥، ص ٥٩، ١٩ ذي القعدة ١١٤٨هـ/١٧٣٥م. الحمود - العسكر في بلاد الشام، ص٢٢٦-٢٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن الجند كانوا يلجأون لوقف ممتلكاتهم على ذرياتهم لتلافي مصادرة الدولة العثمانية لأموالهم وممتلكاتهم بعد وفاتهم، وليستفيد منها أولادهم. وقد كان لتلك الأوقاف أثر سيء على خزينة الدولة العثمانية، بسبب نمو تلك الأوقاف دون أن تنال منها خزينة الدولة سوى العشر[١].

ويظهر من خلال سجلات المحاكم الشرعية بدمشق أن الأوقاف الذرية كانت من أكثر الأوقاف السائدة بين العسكر في خلال القرن الثامن عشر بالنسبة للأوقاف الخيرية. فقد أوقف الكافلي سيباي جميع الحصة وقدرها تسعة قراريط ونصف قيراط، من جميع أراضي المزرعة الكائنة بقرية سفرباو المعروفة بمزرعة قصر معريا، وهذا الوقف أوقفه الواقف على نفسه، وعلى أولاده وعلى أعقابهم وأنسالهم وذريتهم[٢]، ويبدو أن الإناث كن مستثنيات من الوقف، وبعضهم جعل أوقافهم لذكور والإناث من ذريتهم، فالواقف يعد مسؤولا عن إدارة أوقافه طوال حياته، وعليه القيام بشؤون الوقف من عمار وترميم وإصلاح وتأجير، ويستطيع الواقف أن يجعل له وكيلا في ذلك، أما في حال موت الواقف فإن الإشراف على الوقف ينتقل لمن عينه الواقف، أو إلى وصيه في حال عدم التعيين الذي يمكن أن يكون من أولاد الواقف أو أقاربه ويشترط فيه أن يكون بالغا راشدا، فقد تولى محمد آغا بن صالح بشة وظيفة النظر على وقف جدته شمس الدين محمد بن ساج الدين من ايجار واستئجار وتعميز وترميم وغيره، وفق حجة صادرة من قبل فخر المدرسين حسن أفندي المؤرخة في الخامس عشر محرم عام ألف ومائة وخمسين هجرية[٣]، وتولى أحمد بن الحاج مصطفى بن محمد أودة باشي وظيفة النظر على وقف جده المتوفي الحاج محمد بكداش وهو جميع الدار الكائنة بقلعة دمشق عن والده الحاج مصطفى الذي اختاره لتولي تلك الوظيفة، وأذن له القاضي بمباشرة مصالح الوقف[٤]، وعين فخر الأماثل إبراهيم آغا بن محمد جلبي في وظيفة النظر والتكلم على وقف جده قطب الدين بدمشق في الحصة وهي الثلثان من تلك الوظيفة، وفيه أيضا الحصة وهي النصف من وظيفة النظر على وقف جده المتوفي الحاج مراد وهو جميع الدار الكائنة باطن دمشق بزقاق الشيخ اسماعيل، المشمل كاملها على براني وجواني ومنافع شرعية وغيرها،

---

(١) نوفان الحمود- العسكر في بلاد الشام، ص ٢٢٨.

(٢) س ١٤٣، ص ١٨٦، ١١ رجب ١١٦٦هـ/١٧٥٢م.

(٣) س ١٠٥، ص ١١، ١٤ رجب ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٤) س ١٠٥، ص ٨،١٥ شوال ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك بموجب كتاب الوقف الصادر عن والده لتفويضه وإسناده له بذلك بحسن إختياره[١]، كما تولى فخر الأشراف السيد عيسى بن علي آغا بن محمد بشة المهيني وظيفة النظر والتكلم على وقف جده الحاج حمادة المهيني عن والده لوفاته، وأذن له القاضي بتعاطي مصالح الوقف من قبض وصرف وايجار وتعمير وترميم، وقبض عشر متحصل ذلك[٢]، وتولى فخر الأقران ابراهيم بشة بن خليل أودة باشي النظر على وقف والده، وتعاطى مصالح الوقف[٣]، أما محمد آغاب بن موسى آغا العتبري فقد عين في وظيفة النظر على وقف جده فخر الدين العنبري[٤]، ويبدو أن العسكر قد نشطوا في مجال تنمية أموال الوقف عن طريق تأجير الوقف أو بيعه، فقد أجر علي ابن ابراهيم جاويش الناظر الشرعي على وقف جدته زينب بنت الشيخ محمد بن رضي الدين الغزي، ما هو جار في الوقف وذلك جميع الدار الكائنة بزقاق الشماع تابع محلة الشاغور والجواني وتشتمل على: مربعين وطبقتين وساحة سماوية وبركة ماء ومنافع شرعية، لمدة ثلاث سنين، بأجرة قدرها ثمانين قروش عن كل سنة من سنين المدة[٥]، كما أجر حسن جلبي والناظر على وقف جدته لأمه، وذلك جميع الحانوت الكائنة في ظاهر دمشق تحت قلعتها المعدة لتحميص البن، لمدة عامين كاملين بأجرة قدرها ستة وثلاثون قرشا عن كامل المدة[٦]، كما أجر عبدالرحمن آغا ابن عبدالكريم آغا وقف جده المرحوم القاضي محمد وذلك جميع الحصة وقدرها النصف إثنا عشر قيراطا من أصل أربعة وعشرين قيراطا من جميع بياض وقرار أرض البستان الكائن بالصالحية[٧]، كما أجر درويش آغا ابن محمد آغا الكيواني، المتولي على وقف جده، وذلك جميع الدكان الكائنة ظاهر دمشق بشارع الدروشية، لمدة ثلاث سنوات وشهر وستة عشر يوما، بأجرة قدرها عن كل سنة من المدة أربعة وعشرون قرشا وأجرة الشهر ستة قروش[٨]، وكان العسكر يقبلون على شراء الأوقاف

---

(١) س ١٠٥، ص ١١، ١٢ ذي الحجة ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٢) س ١٠٥، ص ١١، غرة محرم ١١٥٥هـ/١٧٤٢م.

(٣) س ١٤٤، ص ١١، ١٢ ذي الحجة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

(٤) س ١٧٥، ص ٦٠، ٢٦ جمادى الأول ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.

(٥) س ٢٥، ص ٣٢، ٣ محرم ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

(٦) س ٢٨، ص ١٧٤، ١٢ محرم ١١١٨هـ/١٧٠٦م.

(٧) س ١٠٠، ص ١٥٢، ٥ جمادى الآخر ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

(٨) س ١٧٥، ص ٤٠، ١٥ جمادى الأول ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستئجارها واحتكارها بهدف امتلاكها إلى الأبد، وخاصة الذرية منها، فقد اشترى فخر الأماثل والسادة الأشراف السيد أحمد جلبي ابن فخر الأعيان عبدالحي جوربجي وقف المتوفي سنان باشا بطريق الولاء والتكلم على ولديه ثلاثمائة وتسعون قرشا[١].واستأجر واستحكر فخري، الأقران عمر بشة وعثمان بشة ولدي باكير بشة وفخر الأعيان المكرمين محمد جلبي بن محمود جلبي المتولي على وقف المتوفى أحمد، وذلك جميع بياض أرض الدار الكائنة ظاهر دمشق، لمدة خمسة عشر عاما، بأجرة قدرها عن كل عام خمسة قطع مصرية[٢]، أما محمد بلوكباشي فقد استأجر من إسماعيل آغا بن إبراهيم بشة الناظر الشرعي على وقف عمه المتوفى خليل أودة باشي، جميع الدار الكائنة ظاهر دمشق بمحلة التابعة للقيمرية وتشتمل على بيت وطبقة وساحة سماوية ومرفق ومنافع[٣]، واستأجر أيضا محمد أودة باشي من فخر الأشراف السيد عبدالوهاب جلبي المتولي على وقف القاضي عبداللطيف، جميع المكان الكائن ظاهر دمشق خارج باب السلام المعد لطبخ القوة وبيعها[٤]، واستأجر سليمان آغا بن بكر آغا من الشيخ يوسف بن الشيخ هلال المتولي على وقف جامع برسباي الكائن بمحلة سوق ساروحا بدمشق، ما هو جار في الوقف، وذلك جميع الحمام المعروف بحمام الورد المشتمل على يراني وجواني ومنافع شرعية[٥]. كما استأجر مصطفى عبدالكريم بشة من صالح آغا بن يحيى آغا بن محمد صوباشي وتركمان حسن الناظر الشرعي على وقف جده محمد صوباشي، جميع حمام الدرج الكائن بمحلة قصر الحجاج باطن دمشق[٦]، ويظهر من خلال الوثائق أن الواقفين قاموا أيضا باستئجار وقف القرى والأراضي الزراعية وان استثمارات العسكريين في اقطاع الزراعي كانت عالية، فقد استأجر محمد آغا بن الحاج محمد من السيد حسين آغا بن السيد مصطفى آغا قائم مقام ومتولي على وقف سنان باشا بدمشق وسليمان بك بن عبدالله الناظران على وقف جدهما القاضي محب الدين، وذلك جميع الحصة وقدرها الثلث ثمانية قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطا من جميع القرية وأرضها الكائنة بناحية حوران،

---

(١) س ١٠٩، ص ٥٥، ١٩ جمادى الآخر ١١٥٣هـ/١٧٤٠م.

(٢) س ٢٥، ص ٥٨، ١٠ ربيع الثاني ١١١٢هـ/١٧٠٠م.

(٣) س ٢٥، ص ١٦٨، ٩ ربيع الأول ١١١٨هـ/١٧٠٦م.

(٤) س ١٠٠، ص ٩٥، ٢٠ جمادى الأول ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

(٥) س ٩٩، ص ٥٨، ٢٨ رجب ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

(٦) س ١٠٢، ص ١٣٢، ١٧ ربيع الأول ١١٥٣هـ/١٧٤٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعروفة بشمسكين، وتشتمل على: أراضي ومنافع شرعية، وذلك عندهم علما شرعيا إجارة شرعية للزراعة الشتوية والصيفية والاستغلال بذلك لمدة ثلاثة سنوات، بأجرة قدرها عن كل سنة ستة غراير من الحنطة الحورانية[١]، كما استأجر عثمان آغا بن مصطفى آغا من عبدالقادر جلبي بن علي آغا المتولي على وقف السادة المصريون، ما هو جار في الوقف، وذلك جميع القرية وأراضيها الكائنة بناحية وادي العجم[٢]، أما مفخر الأماجد والأشراف السيد علي آغا بن محمد أودة باشي بن باكير الناظر الشرعي على وقف والده فقد استأجر بمال الوقف من مفخر الأماجد عبدالقادر جلبي بن حسن جلبي الناظر الشرعي على أوقاف الحرمين الشريفين بدمشق، بموجب البراءة السلطانية، جميع الحصة ومقدارها النصف إثنا عشر قيراطا من أصل أربعة وعشرين قيراطا من جميع أرض الجنينة الكائنة بأراضي الصالحية، المشتملة على: غراس أشجار وفواكه متنوعة[٣]، واستأجر واحتكر يوسف آغا بن يونس آغا جبري زادة آغا اليرلية بدمشق من موسى آغا بن محمد آغا بن موسى العنبري من النظر على الحصة وهي الثلثان من كامل وظيفة النظر على وقف جده أمين الدين العنبري، كما استأجر أيضا من الحاج حسن بن لحاج مصطفى بن الشيخ ماحد الرفاعي النظر على الحصة وهي الثلث من وظيفة النظر على وقف جده، وذلك ما هو جار في الوقف، جميع الحصة وهي تسعة قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطا من جميع بياض أرض البستان الكائن بقرية البلاط، المشتمل على: غراس أشجار وفواكه مختلفة النوع والجنس[٤]، واستأجر فخر الأماثل السيد ابراهيم أغا بن علي بشة بالوكالة عن الحاج يوسف آغا آغا آغاة اليرلية بدمشق بن يونس آغا جبري زادة من الأخوين حسن آغا ومصطفى آغا ومن ابن شقيقهما قاسم آغا وموسى آغا الناظرين الشرعيين على وقف جدهم مصطفى آغا بن ما هو جار في الوقف، وذلك جميع بياض أرض الجنينة الكائنة ظاهر دمشق بأراضي الحمرية وتعرف بالجلاليات، المشتملة على: اشجار وفواكه وزيتون وغيره[٥].

واستأجر صالح آغا بن محمد آغا سليمان من الشيخ محمد بن الشيخ محمد الجرماتي الناظر

---

(١) س ١٠٥، ص ٥٤، ٨ شوال ١١٥٤هـ/١٧٤١م.

(٢) س ١٤٣، ص ١٠، ختام ذي الحجة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م.

(٣) س ١٣، ص ١٢٠، ٥ ربيع الثاني ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

(٤) س ١٧٤، ص ١٥٠، ١٠ رجب ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

(٥) س ١٧٤، ص ١٧٠، غرة ربيع الثاني ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشرعي على أوقاف أجداده، ما هو جار في الوقف وذلك جميع قطعة الأرض الكائنة بقرية جبرين التابعة لقرى الغوطة[١].

وتشير السجلات الشرعية إلى وجود تنافس بين العسكر من أجل الحصول على نظارة الأوقاف، فمثلا إدعى أحمد آغا بن علي بك الناظر على وقف جده الكافلي سيباي الكائن بدمشق، على الشيخ محمد بن الحاج علي الشلبي ومحمد بن اسماعيل من أهالي قرية سفرباو وقرر في دعواه: بأن من الجاري في وقف جده الكافلي سيباي جميع الحصة وقدرها تسعة قراريط ونصف قيراط من جميع أراضي المزرعة الكائنة بالقرب من أراضي قرية سفرباو المعلومة عندهم شهرة وجدوا شركة وجهه وقف مدرستان الصاحبة بالحصة قدرها أربعة قراريط ونصف تكلمة سهام المزرعة وأن المدعي عليهم يمتنعوا عن دفع أجرة الحصة المرفوعة في الوقف مائة قرش، وطالبهم بذلك فأجابوا بالاعتراف، فألزمهم القاضي بدفع الأجرة[٢]، كما ادعى كلا من محمد بن بكري بن صالح بشة الحكيم الناظر على الحصة وهي النصف من وقف جده محمود، وخضري بن حسين بشة الحكيم بن شمس الدين الناظر على الحصة وهي الثلث من وظيفة النظارة على الوقف السابق، وعبيد بشة بن بكري بشة بن حسن أودة باشي الحكيم الناظر على الحصة وهي أربعة قراريط سهام وظيفة النظارة على الوقف السابق، بموجب السندات المخلفة بيد كل منهم، على أحمد آغا بن عبدالرحمن جوربجي الحكيم وعلي آغا بن حسين آغا الحكيم من مستحقي الوقف السابق، وقرروا في دعواهم عليهما: "بأن المدعي عليها من مستحقي الوقف السابق، وأن المدعيين قاموا بدفع أواجير (ايجار) وخدم وصيرف عادي، وبلغ مجموع ما دفعوه ثلاثمائة وتسعة وثمانون قرشا وربع قرش وخمسة مصاري"، ولكن المدعيان عليهما امتنعا عن إحتساب ذلك البيع من مال الوقف المشار إليه، وعندما سئلا أمام القاضي أجابا: بالإنكار لذلك كله، وحلفهما القاضي بإثبات ذلك، فلم يستطيعوا إثباته[٣].

---

(١) تبعد عن دمشق سبعة كيلو مترات، تبقى أراضيها من أحد فروع نهر الداعياني المنفصل عن بردى ومن السوس الموجودة في أرض عين ترما أنظر س ٢١٠، ص ١٠٥، ٧ ربيع الأول ١١٩٤هـ/١٧٧٩م. وأنظر أيضاً زكريا-الريف السوري،ج٢ ، ص ١١٣-١١٤.

(٢) س ١٤٣، ص ١٩٢، ١١ رجب، ١١٦٦هـ/١٧٥٢م.

(٣) س ١٧٥، ص ١٠١، ٨ ربيع الثاني ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوات القابي قول

من خلال دراستنا لسجلات المحاكم الشرعية بدمشق خلال القرن الثامن عشر تبين لنا أن انضمام قوات القابي قول إلى الطوائف الحرفية مقارنة مع اليرلية كان ضعيفا، وربما يعود ذلك لعدة عوامل منها أن السكان المحليين في داخل المدينة قد منعوا من الدخول لأوجاق القابي قول سواء كانوا من أهالي دمشق أم من أصحاب الحرف، وبذلك بقي الأوجاق تركيا خالصا[١] كما أن هذه القوات الغريبة لم تكن مقيمة في المدينة بدليل أن عثمان باشا المحصل عام ١١٥٣هـ /١٧٤٠م قام بإخراجها من المدينة[٢]، وحرص سليمان باشا العظم عام ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م على طردها من المدينة[٣]، وكان يتم إرسال هذه القوات على شكل فرق من استانبول حسب الحاجة. والعامل الثاني لضعف اندماج قوات القابي قول في الطوائف الحرفية، هو موقف أهالي مدينة دمشق من هذه القوات العسكرية، إذ أن أهالي المدينة لم يتقبلوا وجودهم منذ قدومهم إليها[٤]، واعتبروهم مصدر الفساد ووصفوهم بالحوش[٥]، وأصبح منظرهم داخل المدينة موضع سخرية، إذ كانوا يلبسون على رؤوسهم عمائم بشكل لفات مبرومة[٦]، هذا عدا على حملهم للنياشين والأوسمة التي منحت لهم[٧]، وقيامهم بضرب شارات أوجاقهم على أيديهم بالوشم، ورسمهم هذه الإشارات على المقاهي التي يجلسون فيها، وتحرشهم بالمارة: ولم يستطيع لحدث أو امرأة شابة جميلة المرور أمام القهاوي التي يجتمع فيها العسكر خيفة أن يقعوا منحيتهم[٨].

ويظهر من المصادر أن أهالي محلة العمارة هم فقط الذين تقبلوا وجود قوات القابي قول، ربما يعود ذلك إلى استقرار بعض هذه القوات في هذه المحلة منذ البداية وسيطرتهم عليها.

أما الغالبية العظمى من أهالي المدينة، فقد وقفوا ضد هذه القوات دفاعا عن مصالحهم،

---

(١) البديري-حوادث ، ص ٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٤) البوريني-تراجم الأعيان، ج٢ ، ص ٢٢٣.

(٥) المقار-الباشا والقضاة، ص ٦٨.

(٦) البديري-حوادث، ص ٧٢.

(٧) العبد- تاريخ، ص ٥٥.

(٨) مجهول- حسر اللثام عن نكبات الشام، ص ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويأتي في مقدمتهم قوات اليرلية التي نظرت اليهم على أنهم قوات غريبة جاءت لتأخذ منهم امتيازاتهم ونفوذهم، لأن هؤلاء عندما وصلوا إلى دمشق استقروا في قلعتها، وأخذوا غالب دورها وتسلموا أبواب المدينة وباب المحكمة، والحسبة، وسوق الخيل، وميزان الحرير، وبقية الخدم (الوظائف) التي كانت مخصوصة بعسكر الشام[١]، وقد أيد اليرلية في موقفهم اتجاه القابي قول الطوائف الحرفية، ودافعهم لذلك أن القابي قول عندما دخلت دمشق عام ١٠٢٢هـ /١٦١٢م، عين منها على كل شارع من شوارع المدينة بلوكباشي ومعه بعض أنفار من القابي قول الذين أرادوا مشاركة أصحاب الحرف فأخذوا من كل دكان قطعة[٢]، وقاموا عام ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م، بالإستدانة من أفراد الطوائف الحرفية[٣]، وشددت الطوائف الحرفية في منع انضمام أعضائها لأوجاق القابي قول، واصطدمت معهم، عندما إنضم أحد أعضائها الحرفيين إلى أوجاق القابي قول عام ١١٦هـ/ ١٧٥٢م، فلم يقبلوا بذلك، (وسكرت الأسواق)، واشتغل ضرب الرصاص وجرحوا بعضهم بعضا، وما صلح الأمر إلا بتبطيل الرجل من الوجاق، وعزل الاضباشي "[٤].

ويبدو أن أعيان مدينة دمشق الآخرين قد إنضموا إلى جانب اليرلية والطوائف الحرفية في موقفهم المعادي لقوات القابي قول، فقد دعا الشيخ عبدالغني النابلسي على القابي قول، بسبب فسادهم، "فسرت دعوته عليهم في سائر البلاد فمزقهم الله كل ممزق "[٥]، وعبدالغني النابلسي يعد من فئة العلماء والأعيان، ويظهر موقف العلماء المعادي للقابي قول أيضا في الموقف التالي، فعندما سافر أسعد باشا العظم عام ١١٥٩هـ/ ١٧٤٠م للدورة، عقد ديوانا جمع فيه العلماء والأعيان وطلب منهم أن يتسلموا أمور المدينة أثناء غيابه، فرفضوا وقالوا: "يا أفندينا نحن أناس منا علماء ومنا فقراء ومنا مدرسون، وصنعتنا مطالعة الكتب وقراءتها. فقال لهم: هذا قراركم، وكيف وأنتم الأعيان؟ فقالوا حاشا لله، إنما أعيان الشام القابي قول "[٦].

أما الأشراف والذين كانوا يتمتعوا بمكانتهم العالية في مجتمع مدينة دمشق، فقد كانوا فئة

---

(١) المحبي-خلاصة الأثر، ج٤ ، ص ٣١١.

(٢) البوريني-تراجم الأعيان، ج٢ ، ص ٢٢٣.

(٣) المقار- الباشاة والقضاة، ص ٦٨.

(٤) البديري-حوادث، ص ١٧٧.

(٥) المقار-الباشاة والقضاة، ص ٦٨.

(٦) البديري-حوادث، ص ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسلحة، فكثيرا ما حملوا السلاح، وربما يعزى ذلك إلى ما لاقوه من قتل على يد القابي قول، وإلى الاستهتار بهم، قبل قادة القابي قول، ففي عا ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م عندما اشترى أحد الأشراف طبنجة (سلاح ناري) وأراد أن يجربها في خندق القلعة، فسمع لها صوتا عاليا، مما أدى إلى أزعاج آغا القلعة القابي قولي، واستيقاظه من نومه، فجيء بالشريف ومعه آخرون وضرب كل واحد منهم ثلاثمائة سوط[١]، ولقد كانت هذه الحادثة الشرارة الأولى في خلق مجموعة من المصادمات بين الأشراف والقابي قول، فعلى أثر ذلك وقع إشتباك بين الطرفين فقتل من الأشراف ثلاثة وجرح آخرون، تلا ذلك بيومين قتل أحد الأشراف[٢]، و لم يستطع أحد من المدينة أن يشهد ضد القابي قول الذي قتله، وصاروا يقولون: إن قتله الشريف قيمتها أخشاية (أقجة)[٣]، وفي عام ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م قتلوا شريفا آخر[٤] تلا ذلك عام ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠، مقتل شريف عن طريق طعنه بالخنجر، فثار الأشرار ضدهم[٥] وفي الحقيقة فإن الأشراف كانوا يهدفون اثناء هذه الفترة أن يسدوا الفراغ بعد قضاء أسعد باشا العظم على اليرلية، إلا أن صداماتهم مع القابي قول أدت إلى إضعافها، وانتقالهم إلى الصفوف الخلفية، مما زاد في عدائهم لهذه القوات العسكرية.

وتشير السجلات الشرعية أن وجود قوات القابي قول في الطوائف الحرفية قد اقتصر على بعض الحرف التي عملت بالنسيج، لأن الدولة العثمانية عندما أرسلت قوات القابي قول عام ١٠١٠هـ/ ١٦١٠م، منحتها عائدات الجمارك المستوفاة عن الأقمشة، والتي تعرف بالتمغة، وتولت هذه القوات جبايتها[٦]، فعلى سبيل المثال استأجر يوسف بشة بن الحاج عيسى بمحلة باب توما الحانوت المعد لنسج الآلاجة[٧] الشامية لمدة ثلاث سنوات بأجرة قدرها عن كل سنة من المدة سبعون قرشا[٨]، واشترى أحمد بشة ابن رمضان القابي قولي من أولاد الحاج أحمد بن الحاج

---

(١) البديري-حوادث، ص ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٩-١١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٠-١١١.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٥٦-٢٠٥.

(٦) عيسى أبو سليم-الأصناف والطوائف الحرفية ، ص ١٠٤.

(٧) الآلاجة أقمشة من الحرير والغزل، أي: القطن، تحاك في مدينة دمشق ومعلم هذه الحرفة يدعى الاجاتي أنظر: القاسمي-قاموس الصناعات الشامية، ص ٣٩-٤٠.

(٨) س ١٠٠، ص ٨٨، ١٧ شوال ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابراهيم الحائك جميع الحانوت المعد للحياكة الكائن ظاهر دمشق بمحلة العقبة الكبرى بسوق الحياكة بثمن لذلك قدره سبعة وأربعون قرشا[١]، كما اشترى فخر التجار والأشراف السيد احمد جلبي بن السيد محمد بالوكالة عن مصطفى آغا بن علي آغا آغا القابي قول بدمشق جميع عدة الفتالة الموضوعة بالدكان الواقعة باطن دمشق بمحلة الخراب، وتشتمل على: ثلاثة دواليب ودوارة وصندوق وميزان نحاس وثاني عشر بدلة جوخ وأوراق ورطلين نحاس[٢]، ومنهم من برز في صناعة الحبال مثل قاسم بشة بن علي الحبال القابي قولي[٣]، وعمر بشة بن محمد الحبال القابي قولي، وابنه الحاج بكري[٤]، واشتهر بعضهم في تجارة الأجواخ[٥] منهم: مصطفى بشة بن حسين البشناقي القابي قولي ومصطفى بشة بن حسين القابي قولي، ومن القضايا الأخرى التي تشير إلى اتجار عسكر مدينة دمشق سواء كانوا قابي قول أو يرلية أو أشراف بتجارة المنسوجات، القضية الشرعية التالية: "اشترى الحاج عبدالكريم بن الحاج أحمد الذهبي بماله لنفسه من فخر الأشراف المكرمين السيد علي جلبي بن السيد خليل آغا خداوردي ومن المدعو نعمة ولد ميخائيل اليان النصراني، فباعاه في صحة منهما وسلامة وجواز الأمر الشرعي، ما هو جار في ملكهما، ويشهد لهما صك مؤرخ في أواخر جمادي الثاني عام تسعين ومائة وألف وذلك جميع العدة المعدة لنسج الآلاجة الموضوعة بالخان الكائن باطن دمشق، بمحلة باب توما المعروف بخان بليوش وتشتمل العدة على أربعة أنوال، ومطاوي، ومدرجات ودولاب وغيره، بثمن قدره مائة وعشرون قرشا[٦]، وبعض القضايا الشرعية الأخرى تشير إلى أن بعض عسكر المدينة كانوا أعضاء في طائفة وانهم كانوا يتنافسون في الحصول على الأقمشة التي يتم نسجها في مدينة دمشق، كما في القضية الشرعية التالية: "حضر عند القاضي أمين دامت فضائله كلا من قدوة الأعيان المكرمين السيد ابراهيم آغا بن محمد آغا دزدار قلعة دمشق، وجماعة من المستحفظان بالقلعة وهم محمد آغا بن

---

(١) س ١٠٠، ص ١٠٦، ٥ ذي القعدة ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

(٢) س ١١٠، ص ٣٦، ١٥ رجب ١١٨٣هـ/١٧٦٩م.

(٣) س ٩٩، ص ١٢٧، ختام شوال ١١٥١هـ/١٧٣٨م.

(٤) عيسى أبو سليم- الأصناف والطوائف الحرفية، ص ١٠٥.

(٥) والجوخ ألوان متعددة منها الأسود والأزرق والأحمر والأخضر، وأطلق على بائعه الجوفي -أنظر القاسمي- قاموس الصناعات الشامية، ج١ ، ص ٨٥.

(٦) س ٢١٠، ص ٩٧، ١٧ صفر ١١٩٤هـ/١٧٧٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسين القلعة والسيد رمضان جاويش ابن مصطفى جوربجي والسيد محمد آغا بن ابراهيم بشة ضابط مقاطعة دمشق ومعه ابن شاهين جوربجي وحسن أودة باشي ابن حسين بشة وأحمد جوزبجي بن مصطفى جوزبجي وحسن بشة بن عبدالله ومحمد جوزبجي ابن رمضان بشة الجبة جي وجماعة من طائفة التجار والآلاجاتية وأصحاب الأموال المعدة لنسج الآلاجات والقطني والدهداز والعنابات بدمشق وهم الحاج مصطفى ابن الحاج ابو بكر شهبندر دمشق والحاج عبدالرحيم ابن الشيخ احمد الذهبي ومصطفى حلبي ابن أحمد آغا شهبندر، سابق، والسيد حسين بن صالح، واحضروا معهم مفخر الأعيان المكرمين مصطفى بك ابن مصطفى الكردي، وقدر كل واحد منهم في دعواهم عليه: "بأن مقاطعة دمشق جميع الأقمشة التي تنسج في دمشق مثل الآلاجة والكرمسوت والقطني والدهدار والحكمة والصندل والمعنايات معبئة من قبل الدولة العلية العلايين ومواجب الحصارجية بقلعة دمشق منذ زمن من ستة عشر وألف إلى الآن وأن الدقاقين بقلعة دمشق تابعون لمقاطعة الدمغة السابقة، وجميع ما يدر عليهم من الأقمشة المذكورة وأرباب الحرفة المذكورة حين دخولهم محرورية ومعدوية وبدمشق بالدفعة السلطانية حتى لا حصل في القماش وانهم متصرفون بذلك بموجب سندات سابقة والأوامر السلطانية[١].

ومما يلحظ أن تواجد عسكر دمشق بكثرة وبشكل دائم داخل المدينة، قد ترك آثارا سلبية على الحياة الاجتماعية، فأدى ذلك إلى اضطرابها، وانتشار مظاهر الفساد داخل المدينة، منها انتشار بائعات الهوى بشكل علني، خاصة عندما كان زرباوات اليرلية هم سادة الموقف في المدينة[٢]، وقد وصل بهن الحد إلى إهانة القاضي الذي عمل مع المفتي على إصدار قرار ينص على إخراجهن من المدينة[٣]، ويبدو أن هذا القرار لم يطبق فبعد فترة قصيرة ظهرت بائعات الهوى أو بنات الخطى[٤] علنا في محلة الملك الظاهر وكن يخالفن تعاليم شهر رمضان المبارك، وبالقضاء على الزرباوات عام ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م على يد أسعد باشا العظم بدأت القوات المرتزقة وخاصة الدالاتية بمرافقة بنات الهوى بشكل متزايد، وقد شجعهن ذلك إلى تنظيم احتفال عام في إحدى

---

(١) س ١٤٣، ص ١٢٨، ١٢ ربيع الثاني ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

(٢) رافق-مظاهر الحياة العسكرية، ص ٩٤. Rafeq , The Province of Damascus-P 785-186.

(٣) البديري-حوادث، ص ١٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المناسبات دون أن يتعرض لهن أحد[١]، ويبدو أن أعيان دمشق أرادوا أن يضعوا لهن حـدا، فعـادوا إلى والي دمشق أسعد باشا العظم وطلبوا منه إصدار قـرار بطردهـن مـن المدينـة، أو تحديـد مكـان إقامتهن فاعتذر اليهم الوالي بقوله: "انـه لا يتحمـل مسؤولية دعائـهن عليـه "[٢]، ربمـا يعـود هـذا التصرف من قبل الوالي، إلى عدم رغبته في إزعاج قواته العسـكرية الـتي علـى مـا يبـدو كـانت لا تستغني عن صحبة بنات الخطى.

ويبدو أن انحطاط الأخلاق في المدينة، وما حل بها من الفسـاد الاجتمـاعي، وتزايـد بنـات الهوى، يعود إلى عاملين أولهما: وجود القوات العسكرية من القابي قول والقـوات المرتزقـة داخـل المدينة وما سببوه من فوضى للحياة الاقتصادية[٣] وثانيهما: الضائقة الاقتصادية الـتي شملـت مدينـة دمشق في القرن الثامن عشر[٤]، ولقد دفع هذا الفسـاد الأخلاقـي الكثـير مـن النـاس إلى الانتحـار نتيجة لشعورهم بالإحباط، أو إلى قتل المخالفين، أو الموت دفاعا عن الشرف[٥].

---

(١) البديري-حوادث، ص ١١٢.

(٢) البديري-حوادث، ص ١٢٨.

(٣) البديري-حوادث، ١١٢-١١٧.

(٤) رافق-مظاهر من الحياة العسكرية، ص ٩٥.

(٥) المرجع نفسه، ص ٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

انعكست الأوضاع العامة للدولة العثمانية، التي اتسمت بالضعف منذ بداية القرن الثامن عشر الميلادي، على ولايات بلاد الشام التابعة لها، مما أدى إلى اهتزاز هيبة السلطة المركزية في تلك الولايات، وظهور الأسر المحلية الحاكمة مثل آل العظم في دمشق، حيث تمكن أفراد هذه الأسرة من الوصول إلى منصب الولاية، إذ أصبحوا ولاة معترفاً بهم لمدة طويلة في القرن الثامن عشر الميلادي، وقد بلغوا الذروة في الحكم في الفترة الممتدة من ١٧٢٥-١٧٣٠م، والتي حكموا فيها كلاً من ولاية دمشق وصيدا وطرابلس في وقت واحد.

كما انعكس ضعف الدولة العثمانية أيضاً على المؤسسة العسكرية في بلاد الشام وخاصة في دمشق، والتي شهدت تغيراً ملحوظاً في بنيتها العسكرية- فاليرلية انخرطوا في المجتمع المحلي، وتحولوا إلى فئة مميزة بين التجار والحرفيين وحصل شيء من التبادل بينهم، إذ نجح بالمقابل بعض التجار والحرفيين في تحسين أوضاعهم عبر انخراطهم في المؤسسة العسكرية، فاكتسبوا شيئاً من النفوذ، وعززوا به أوضاعهم الاجتماعية، أما القوات النظامية القابي قول، فقد حاولوا بدورهم الانخراط في المجتمع المحلي وممارسة الحرف والتجارة، إلا أنهم لم يتفوقوا في ذلك مثل اليرلية لعوامل عديدة. منها أن السكان المحليين في داخل المدينة قد منعوا من الدخول لأوجاق القابي قول سواء كانوا من أهالي دمشق أم من أصحاب الحرف، كما ان هذه القوات الغريبة لم تكن مقيمة في المدينة حيث كان يتم إرسالها على شكل فرق من استانبول حسب الحاجة. إضافة إلى أن أهالي مدينة دمشق لم يتقبلوا وجودها منذ قدومها إلى دمشق. أما السباهية فقد تراجع دورهم ونفوذهم في القرن الثامن عشر، وبرزوا كقوة اجتماعية واقتصادية لعبت دور الوسيط بين اليرلية والقابي قول أثناء تمردهم العسكري.

ومن التغيرات التي حدثت في نوعية وطبيعة القوى العسكرية العثمانية ظهور القوات المرتزقة، التي اضطر الولاة إلى استئجارها لموازنة القوى العسكرية المحلية التي انخرطت في مجتمع المدينة، وارتبطت مصالحها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بحياة المدينة.

وقد ظهر في المجتمع الدمشقي فئة مهمة هي فئة الأعيان التي تشكلت من العلماء والقضاة والمفتين، إضافة إلى الأشراف وأغوات العسكر، وقد استطاعت هذه الفئة أن تلعب دور الوسيط

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين السلطة والمجتمع المحلي، وأن تقود حركات العامة ضد الطبقة الحاكمة.

ونلحظ اتسام تاريخ مدينة دمشق في القرنين السابع عشر والثامن عشر بالصراعات المتنوعة الاتجاهات والخلفيات بين العسكر، دفاعاً عن نفوذهم ومصالحهم الخاصة، وتدخل الولاة في الوقوف إلى جانب أحد أطراف العسكر الذي تميل كفته إلى النصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر

١- المصادر العربية

أ- السجلات الشرعية

١- سجلات المحكمة الشرعية في دمشق، محفوظة على أشرطة ميكروفيلم في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية.

- سجل رقم(٢١) ١٢ ربيع الآخر ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م
- سجل رقم(٢١) ١٤ ربيع الآخر ١١١٢هـ/١٧٠٠م
- سجل رقم(٢١) ١٥ ربيع الآخر ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م
- سجل رقم(٢١) شوال ١١١٩هـ/١٧٠٧م
- سجل رقم(٢١) ٥ شوال ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م
- سجل رقم(٢١) ١٤ جمادي الأول ١١١٩هـ/١٧٠٧م
- سجل رقم(٢١) جمادي الآخر ١١٢٠هـ/١٧٠٨م
- سجل رقم(٢١) ١٣ محرم ١١٢٢هـ/١٧١٠م
- سجل رقم(٢٥) ٣ محرم ١١١٢هـ/١٧٠٠م
- سجل رقم(٢٥) ربيع الأول ١١١٢هـ/١٧٠٠م
- سجل رقم(٢٥) ١٠ ربيع الآخر ١١١٢هـ/١٧٠٠م
- سجل رقم(٢٥) ١٤ جمادي الآخر ١١١٢هـ/١٧٠٠م
- سجل رقم(٢٥) ٤ رجب ١١١٢هـ/١٧٠٠م
- سجل رقم(٢٥) ٥ رجب ١١١٢هـ/١٧٠٠م
- سجل رقم(٢٥) ١٠ رجب ١١١٢هـ/١٧٠٠م
- سجل رقم(٢٥) ١٦ رجب ١١١٢هـ/١٧٠٠م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- سجل رقم(٢٥) ٣ شعبان ١١١٢هـ/١٧٠٠م
- سجل رقم(٢٥) ١٢ شعبان ١١١٢هـ/١٧٠٠م
- سجل رقم(٢٥) ١٧ شعبان ١١١٢هـ/١٧٠٠م
- سجل رقم(٢٥) ٢ ذي الحجة ١١١٣هـ/١٧٠١م
- سجل رقم(٢٥) ١٢ ذي الحجة ١١١٣هـ/ ١٧٠١م
- سجل رقم(٢٥) ٩ ربيع الأول ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م
- سجل رقم(٢٥) ١٢ جمادي الأول ١١٢٢هـ/١٧١٠م
- سجل رقم(٢٥) ٩ جمادي الآخر ١١٢٢هـ/١٧١٠م
- سجل رقم(٢٥) ٧ رجب ١١٢٢هـ/١٧١٠م
- سجل رقم(٢٧) ١٩ ذي القعدة ١١١٢هـ/١٧٠٠م
- سجل رقم(٢٧) ٧ جمادي الأول ١١١٣هـ/١٧٠١م
- سجل رقم(٢٧) ٥ جمادي الثاني ١١١٣هـ/١٧٠١م
- سجل رقم(٢٧) غرة رجب ١١١٣هـ/١٧٠١م
- سجل رقم(٢٧) ١٨ شوال ١١١٣هـ/١٧٠١م
- سجل رقم(٢٧) ٥ جمادي الآخر ١١٢٣هـ/١٧١١م
- سجل رقم(٢٨) ١٢ محرم ١١١٨هـ/١٧٠٦م
- سجل رقم(٢٨) ١٢ صفر ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م
- سجل رقم(٢٨) ١٠ ربيع الأول ١١١٨هـ/١٧٠٦م
- سجل رقم(٢٩) ١٧ شوال ١١١٤هـ/١٧٠٢م
- سجل رقم(٢٩) ١٣ شوال ١١١٩هـ/١٧٠٧م
- سجل رقم(٥١) ١٠ شعبان ١١٤١هـ/١٧٢٨م
- سجل رقم(٩٩) ٢ جمادي الآخر ١١٥١هـ/١٧٣٨م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- سجل رقم(٩٩) ١٠جمادي الآخر ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(٩٩) ٤رجب ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(٩٩) ١٠ رجب ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(٩٩) ٢٨رجب ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(٩٩) ٥ شعبان ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(٩٩) ٨شعبان ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(٩٩) ١٠ شعبان ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(٩٩) ١٣ شوال ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(٩٩) ختام شوال ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(٩٩) ٤ ذي القعدة ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(١٠٠) ٢٠ جمادي الأول ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(١٠٠) ٢جمادي الآخر ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(١٠٠) ٥جمادي الآخر ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(١٠٠) ٩ جمادي الآخر ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(١٠٠) ١٢ شوال ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(١٠٠) ١٣شوال ١١٥١هـ/١٧٣٨م
-سجل رقم(١٠٠) ١٧ شوال ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(١٠٠) ١٨شوال ١١٥١هـ/١٧٣٨م
-سجل رقم(١٠٠) ٥ ذي القعدة ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(١٠٠) ١٦ ذي الحجة ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(١٠٠) ١٩ ذي الحجة ١١٥١هـ/١٧٣٨م
- سجل رقم(١٠٢) ١٧ ربيع الأول ١١٥٣هـ/١٧٤٠م

٥١٣٢٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- سجل رقم(١٠٢) ٢شعبان ١١٥٣هـ/١٧٤٠م
- سجل رقم(١٠٢) ٥شعبان ١١٥٣هـ/١٧٤٠م
- سجل رقم(١٠٢) ١٠ محرم ١١٥٤هـ/١٧٤١م
- سجل رقم(١٠٢) ٨ ربيع الأول ١١٥٤هـ/١٧٤١م
- سجل رقم(١٠٢) ١٥ رجب ١١٥٤هـ/١٧٤١م
- سجل رقم(١٠٤) ٢٤جمادي الأول ١١٥٣هـ/١٧٤٠م
- سجل رقم(١٠٥) ١٩ ذي القعدة ١١٤٨هـ/١٧٣٥م
- سجل رقم(١٠٥) ٢٧ شعبان ١١٥٣هـ/١٧٤٠م
- سجل رقم(١٠٥) ١٤ رجب ١١٥٤هـ/١٧٤١م
- سجل رقم(١٠٥) ٨شوال ١١٥٤هـ/١٧٤١م
- سجل رقم(١٠٥) ١٥شوال ١١٥٤هـ/١٧٤١م
- سجل رقم(١٠٥) ٣ ذي القعدة ١١٥٤هـ/١٧٤١م
- سجل رقم(١٠٥) ١٢ذي الحجة ١١٥٤هـ/١٧٤١م
- سجل رقم(١٠٥) ١٧ ذي الحجة ١١٥٤هـ/١٧٤١م
- سجل رقم(١٠٥) غرة محرم ١١٥٥هـ/١٧٤٢م
- سجل رقم(١٠٥) ١٣ محرم ١١٥٥هـ/١٧٤٢م
- سجل رقم(١٠٦) ١٢ جمادي الآخر ١١٥٤هـ/١٧٤١م
- سجل رقم(١٠٦) ١٩ جمادي الآخر ١١٥٤هـ/١٧٤١م
- سجل رقم(١٠٦) ١١ ذي القعدة ١١٥٤هـ/١٧٤١م
- سجل رقم(١٠٧) ١١ ذي الحجة ١١٥٤هـ/١٧٤١م
- سجل رقم(١٠٧) ١٤ صفر ١١٥٥هـ/١٧٤١م
- سجل رقم(١٠٩) ١٣ ذي القعدة ١١٣٥هـ/١٧٢٢م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- سجل رقم(١٠٩) ١٥ ذي الحجة ١١٣٥هـ/١٧٢٢م
- سجل رقم(١٠٩) ١٠ ذي القعدة ١١٣٨هـ/١٧٢٥م
- سجل رقم(١٠٩) ١٢ ذي القعدة ١١٣٨هـ/١٧٢٥م
- سجل رقم(١٠٩) ٢ ذي الحجة ١١٣٨هـ/١٧٢٥م
- سجل رقم(١٠٩) ١١ ربيع الآخر ١١٥٣هـ/١٧٤٠م
- سجل رقم(١٠٩) ١٠جمادي الأول ١١٥٣هـ/١٧٤٠م
- سجل رقم(١٠٩) ٩ رجب ١١٥٣هـ/١٧٤٠م
- سجل رقم(١٠٩) ١٣ رجب ١١٣٥هـ/١٧٤٠م
- سجل رقم(١٠٩) ٢ محرم ١١٥٥هـ/١٧٤٢م
- سجل رقم(١٠٩) ٦ رجب ١١٥٥هـ/١٧٤٢م
- سجل رقم(١٠٩) ١٩جمادي الآخر ١١٧٩هـ/١٧٦٥م
- سجل رقم(١١٠) ٦ جمادي الأول ١١٨٣هـ/١٧٦٩م
- سجل رقم(١١٠) الأول من جمادي الآخر ١١٨٣هـ/١٧٦٩م
- سجل رقم(١١٠) غرة رجب ١١٨٣هـ/١٧٦٩م
- سجل رقم(١١٠) ١٥ رجب ١١٨٣هـ/١٧٦٩م
- سجل رقم(١١٠) ١٨ شوال ١١٨٣هـ/١٧٦٩م
- سجل رقم(١١١) ١٨ ذي الحجة ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م
- سجل رقم(١١١) ١٩ ذي الحجة ١١٥٥هـ/١٧٤٢م
- سجل رقم(١١١) ١٣ محرم ١١٥٦هـ/١٧٤٣م
- سجل رقم(١١١) ٩ صفر ١١٥٦هـ/١٧٤٣م
- سجل رقم(١٢٣) الأول من ذي الحجة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م
- سجل رقم(١٣٦) صفر ١١٦١هـ/١٧٤٨م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- سجل رقم(١٣٦) ٥ ربيع الأول ١١٦٦هـ/١٧٥٢م
- سجل رقم(١٤١) ١٢ ربيع الأول ١١٦٦هـ/١٧٥٢م
- سجل رقم(١٤٣) ١٧ صفر ١١٦٠هـ/١٧٤٧م
- سجل رقم(١٤٣) ١٧ ربيع الأول ١١٦٠هـ/١٧٤٧م
- سجل رقم(١٤٣) ١٠صفر ١١٦١هـ/١٧٤٨م
- سجل رقم(١٤٣) ٥ ربيع الأول ١١٦٦هـ/١٧٤٨م
- سجل رقم(١٤٣) ٢٠ ربيع الأول ١١٦١هـ/١٧٤٨م
- سجل رقم(١٤٣) ١١رجب ١١٦٦هـ/١٧٥٢م
- سجل رقم(١٤٣) ١٢ شعبان ١١٦٦هـ/١٧٥٢م
- سجل رقم(١٤٣) ١٧ شوال ١١٦٦هـ/١٧٥٢م
- سجل رقم(١٤٣) ٦ ذي القعدة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م
- سجل رقم(١٤٣) ختام ذي الحجة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م
- سجل رقم(١٤٣) ٢ محرم ١١٦٧هـ/١٧٥٣م
- سجل رقم(١٤٣) ٢٤ صفر ١١٦٧هـ/١٧٥٣م
- سجل رقم(١٤٣) ٢٠ ربيع الآخر ١١٦٧هـ/١٧٥٣م
- سجل رقم(١٤٣) ١٠ محرم ١١٦٨هـ/١٧٥٤م
- سجل رقم(١٤٣) ١٨جمادي الآخر ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
- سجل رقم(١٤٣) ١٢ ربيع الأول ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
- سجل رقم(١٤٣) ١٤ ربيع الأول ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
- سجل رقم(١٤٣) ٢١ ربيع الأول ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
- سجل رقم(١٤٣) ٢٥ ربيع الأول ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
- سجل رقم(١٤٣) غرة ربيع الآخر ١١٦٩هـ/١٧٥٥م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- سجل رقم(١٤٣) ٤ ربيع الآخر ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
- سجل رقم(١٤٣) ٥ ربيع الآخر ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
- سجل رقم(١٤٣) ٤ جمادي الأول ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
- سجل رقم(١٤٣) ١٠ جمادي الأول ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
- سجل رقم(١٤٣) ١٨ جمادي الأول ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
- سجل رقم(١٤٣) ١٨ جمادي الآخر ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
- سجل رقم(١٤٤) ١١ رجب ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م
- سجل رقم(١٤٤) ١٣ ذي القعدة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م
- سجل رقم(١٤٤) ١٢ ذي الحجة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م
- سجل رقم(١٤٤) ١٩ ذي الحجة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م
- سجل رقم(١٧٤) غرة ربيع الآخر ١١٨٠هـ/١٧٦٦م
- سجل رقم(١٧٤) ١٣ جمادي الأول ١١٨٠هـ/١٧٦٦م
- سجل رقم(١٧٤) ١٠ رجب ١١٨٠هـ/١٧٦٦م
- سجل رقم(١٧٥) ٢٠ ربيع الآخر ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م
- سجل رقم(١٧٥) ١٥ جمادي الأول ١١٧٩هـ/١٧٦٥م
- سجل رقم(١٧٥) ٢٦ جمادي الأول ١١٧٩هـ/١٧٦٥م
- سجل رقم(١٧٥) ٢ جمادي الآخر ١١٧٩هـ/١٧٦٥م
- سجل رقم(١٧٥) منتصف جمادي الأخر ١١٧٩هـ/١٧٦٥م
- سجل رقم(١٧٥) ١٩ جمادي الآخر ١١٧٩هـ/١٧٦٥م
- سجل رقم(١٧٥) ٨ ربيع الآخر ١١٨٠هـ/١٧٦٦م
- سجل رقم(١٧٥) ٤ جمادي الآخر ١١٨٠هـ/١٧٦٦م
- سجل رقم(١٧٥) ١٠ رجب ١١٨٠هـ/١٧٦٦م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- سجل رقم(١٧٥) ٨ رمضان ١١٨٠هـ/١٧٦٦م
- سجل رقم(١٨٢) ١٣ محرم ١١٦٦هـ/١٧٥٢م
- سجل رقم(١٨٢) ٧ ربيع الثاني ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
- سجل رقم(٢١٠) ١٠ محرم ١١١٤هـ/١٧٠٢م
- سجل رقم(٢١٠) ١٠ ذي القعدة ١١٩٣هـ/١٧٧٨م
- سجل رقم(٢١٠) ذي الحجة ١١٩٣هـ/١٧٧٨م
- سجل رقم(٢١٠) ١٩ ذي الحجة ١١٩٣هـ/١٧٧٨م
- سجل رقم(٢١٠) ٦ ربيع الآول ١١٩٤هـ/١٧٧٩م
- سجل رقم(٢١٠) ٢٠جمادي الأول ١١٩٤هـ/١٧٧٩م
- سجل رقم(٢١٠) ١٣ صفر ١١٩٥هـ/١٧٨٠م

ب- دفاتر

- دفتر الشعير المعبوك ١١٥٤هـ/١٧٤١م، مخطوط على ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية.

ج- المصادر المخطوطة:

١- ابن كنان،محمد بن عيسى بن محمود بن محمد الحنبلي الصالحي الخلوتي ت١١٥٣هـ/١٧٤٠م، الحوادث اليومية من تاريخ إحدى عشر وألف ومئة، مكتبة الجامعة الأردنية رقم الشريط١٣٧٠ (صورة بالميكروفيلم).

د- المصادر المطبوعة:

١- آغا العبد، حسن، قطعة من حوادث سنة ١١٨٦-١٢٤١هـ تحقيق يوسف نعيسه، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بيروت، ١٩٧٩.

٢- ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن محمد ٨٨٠-٩٥٣هـ - أعلام الورى بمن ولي نائبًا من الأتراك بدمشق الكبرى تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٦٤.

٣- ابن الصديق، حسن(ت ١١٨٦هـ/١٧٧٢م) غرائب البدائع وعجائب الوقائع، ط١، تحقيق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يوسف نعيسة. دار المعرفة، دمشق، ١٩٨٨.

٤- ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسين، ١٤٩٩-١٥٧١هـ - تاريخ مدينة دمشق- مجلدات ١-٢، تحقيق صلاح الدين المنجد، محمد أحمد دهمان، دمشق، المجمع العلمي العربي، ١٩٥٤

٥- إبن كنان، محمد بن عيسى ١٠٧٤-١١٥٣ - المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، ج١، ج٢، تحقيق ودراسة حكمت إسماعيل، دمشق منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٢

٦- البديري الحلاق، أحمد(ت بعد ١١٧٥هـ/١٧٦١م)- حوادث دمشق اليومية ١١٥٤هـ/١٧٤١م- ١١٧٥هـ/١٧٦٢م، تنقيح محمد سعيد القاسمي وتحقيق أحمد عزت عبد الكريم، مطبعة لجنة البيان العربي، دمشق، ١٩٥٩م.

٧- بريك، ميخائيل (ت بعد ١١٩٧هـ/١٧٨٢م)- تاريخ الشام ١٧٢٠- ١٧٨٢، تحقيق أحمد سبانو، دار قتيبه، دمشق، ١٩٨٢م

٨- البوريني، الحسن بن محمد(ت ١٠٢٤هـ/١٦١٥م)- تراجم الأعيان من أبناء الزمان، ٢م، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥٩-١٩٦٣م.

٩- الجبرتي، عبد الرحمن(ت ١٢٤١هـ/١٨٢٥م)- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ط٢، ٣م، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٨م.

١٠- جودت، أحمد(ت ١٣٠٨هـ-١٨٩٠م)- تاريخ جودت، م ١، ترجمة عبد القادر الدنا، مطبعة جريدة بيروت، بيروت، ١٨٩٠م.

١١- الخالدي الصفدي، أحمد (ت١٠٣٤هـ/١٦٢٤م)- تاريخ الأمير فخر الدين المعني، نشرة أسد رستم وفؤاد أفرام البستاني تحت عنوان لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٩م.

١٢-الدمشقي، ميخائيل- تاريخ حوادث الشام ولبنان ١١٧٩هـ/١٧٨٢م- ١٢٥٧- ١٨٤١م، نشره لويس المعلوف اليسوعي، المشرق، م١٥، ١٩١٢م.

١٣- سالنامة ولاية سوريا ١٣٠٩/١٨٩١، مكتوبي ولايت معرفتيله ترتيب اولنمشدر، ١٣٠٩/١٨٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٤- الشدياق، طنوس (ت ٢٧٦هـ/١٨٥٩م)- كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان، ٢م، تعليق فؤاد أفرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٥٠م.

١٥- الشهابي: حيدر أحمد (ت١٢٥١هـ-١٨٣٥م)- لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ٣م، نشر وتعليق أسد رستم وفؤاد أفرام البستاني منشورات الجامعة اللبنانيبة، بيروت، ١٩٦٩.

- تاريخ الأمير حيدر الشهابي،٣ أجزاء في جزء، القاهرة، مطبعة السلام، ١٩٠٠

١٦- الصباغ، ميخائيل(ت ١٢٣١هـ- ١٨١٦م)- تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد، عني بنشره وتعليق حواشيه قسطنطين الباشا المخلص، مطبعة القديس بولس في حريصا، لبنان ب-ت.

١٧- الطباخ، محمد راغب- أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، حلب المطبعة العلمية، ١٩٢٣م.

١٨- العورة، إبراهيم (ت بعد ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م)- تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، تعليق قسطنيطين الباشا المخلصي، مطبعة دير المخلص، صيدا، ١٩٣٦م.

١٩- الغزي، كامل بن حسين الحلبي(ت ١٣٥١هـ/١٩٣٣م نهر الذهب في تاريخ حلب، ٣م، المطبعة المارونية، حلب، ١٩٢٦م.

٢٠- الغزي، نجم الدين، محمد بن محمد الدمشقي (١٥٧٠-١٦٥١م)- الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة تحقيق جبرائيل جبور، ٣ج، محمد أمين دمج، بيروت، ١٩٧٩.

- لطف السمر وقطف الثمر، تحقيق محمود الشيخ، ٢ج، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨١.

٢١- القاري، رسلان (ت ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م)- الوزراء الذين حكموا دمشق في ولاة دمشق في العهد العثماني، نشرة صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٤٩م.

٢٢- القاسمي، محمد سعيد (ت ١٣١٧هـ/١٩٠٠م)- قاموس الصناعات الشامية، تحقيق ظافر القاسمي، ٢ج، ١م، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨

٢٣- قساطلي، نعمان- الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٤- المحاسني، سليمان (ت ١١٨٧هـ/١٧٧٣م)- حلول التعب والآلام بوصول أبي الذهب لدمشق الشام، نشرة صلاح الدين المنجد دار الكتاب الجديدة، بيروت، ١٩٦٢م.

٢٥- المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م)- خلاصة الأثر في أعيان القرن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحادي عشر، ٤م مكتبة خياط، بيروت.

٢٦- المرادي، محمد خليل (ت ١٢٠٦هـ/١٧٩١م) - سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٤م، مكتبة المثنى، بغداد

ب- عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام، تحقيق محمد مطيع الحافظ، رياض عبد الحميد مراد مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٩م.

٢٧- مشاقة، ميخائيل، (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)- مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، دراسة وتحقيق سهيل زكار ١٩٨٢م.

٢٨- المقار، محمد بن جمعة (ت بعد ١١٥٦هـ/١٨٣٨م)- الباشوات والقضاة في ولاية دمشق في العهد العثماني، نشرة صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٤٩م.

٢٩- منير إسماعيل وعادل إسماعيل- تاريخ لبنان الحديث: الوثائق الدبلوماسية، ١٥م، دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت، ١٩٩٠م.

٣٠- النابلسي، عبد الغني- الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، دمشق، دار المعرفة، ١٩٨٩م.

٣١- مجهول- تاريخ الأمراء الشهابيين بقلم أحد أمرائهم من وادي التيم، تنقيح سليم حسن هشي، منشورات المديرية العامة للآثار، لبنان، ١٩٧١م.

- المصادر الأجنبية

1- Russell, A, The NaturaL History of Aleppo, 2Vols london, 1794, 2nd Edition Repuplisher Gregg international, london, 1969

2- Volney, M.C.F. Travels Through syria and Egypt in the years E 1783-1784 and 1785- 2Vol., G.Gj and Robinson, london 1786.

و- المراجع الحديثة.

١- الأرناؤوط، محمد- دراسات ووثائق حول الدفشرمه، ط١، ١٩٩١

٢- الأسدي، خير الدين، موسوعة حلب المقارنة، ٧م، ط١، مطبعة جامعة حلب، حلب ١٩٨١-١٩٨٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- إيرينا، سميليا نسكايا- البنى الاقتصادية والاجتماعية في المشرق العربي على مشارف العصر الحديث، ترجمة يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٩م.

٤- البارودي- مذكرات فخري البارودي، دمشق ١٩٥٢.

٥- بدو، توفيق علي - العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٦٠.

٦- بازيلي، قسطنطين- سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمة طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩م.

٧- بدران، عبد القادر- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، دمشق، ١٩٥٦م.

٨- البيطار، عبد الرزاق - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجة البيطار، دمشق مجمع اللغة العربية، ١٩٦١مز

٩- التونجي، محمد- المعجم الذهبي- فارسي، عربي، بيروت دار العلم للملايين ١٩٦٩

١٠- جب هاملتون، رهارولدبوون

- المجتمع الإسلامي والغرب ٢م، ترجمة أحمد عبد الرحيم ومصطفى، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.

- المجتمع الإسلامي والغرب، ٢ج، ٢ق، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، دار المدى للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٧.

١١- حتي، فيليب- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ٢م، ترجمة كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩م.

١٢- الحصني، محمد أديب آل تقي الدين- منتخبات التواريخ لدمشق، ٣م المطبعة الحديثة، دمشق، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.

١٣- الحمود، نوفان -حركات العسكر في بلاد الشام في القرنيين السادس عشر والسابع عشر،، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١.

١٤- الخادم، سمير- السلاح الناري وأثره في الشرق في القرنين السادس عشر والسابع عشر، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٠م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٥- الخطيب، مصطفى عبد الكريم- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٦- ١٩٩٦م.

١٦- الدباغ، مصطفى- بلادنا فلسطين، ١٠ مجلدات، دار الجليل بيروت، ١٩٦٥- ١٩٧٦م.

١٧- دهمان، محمد- في رحاب دمشق، دار الفكر دمشق، ط١، ١٩٨٢م.

١٨- رئيف، محمود- التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية تعريب د خالد زيادة، نشر: جروس- برس، طرابلس لبنان ١٩٨٥

١٩- رافق، عبد الكريم- بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونا برت، ١٥١٦-١٧٩٨م، ط١، د.ت.

- العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦، ط١، دمشق،ب-ت.

- فلسطين في العهد العثماني، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات التاريخية، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.

٢٠- رستم، أسد - الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا، بيروت، جامعة بيروت الأمريكية، ١٩٣٤م.

٢١- الريحاوي، عبد القادر- مدينة دمشق، دمشق، ١٩٨٤م.

٢٢- زكريا، أحمد وصفي- عشائر الشام، ط٢، ٢ج، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣م

- الريف السوري محافظة دمشق، دمشق، مطبعة دار البيان، ١٩٥٥م.

٢٣- زيادة، خالد- اكتشاف التقدم الأوروبي، دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨١م.

٢٤- زيادة، نقولا- أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٢

٢٥- الزين، علي- للبحث عن تاريخنا، لبنان، ط١، ب، ت، ب، م، ١٩٧٣م.

٢٦- الساطع، أكرم- الحصون والقلاع في سورية، دمشق.

٢٧- سامي، شمس الدين، قاموس تركي، مطبعة إقدام استانبول، ١٩١٨م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٨- سرهنك، إسماعيل- حقائق الأخبار عن دول البحار، القاهرة المطبعة الأميرية، ١٨٩٤م.

٢٩- سوفاجيه، جين، دمشق لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر، الطبعة الكاثوليكية بيروت، ١٩٣٩.

٣٠- السويد، ياسين- التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الإمارتين، ٢م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥.

٣١- الشطي،محمد جميل، روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ١٢٠٠- ١٣٠٠هـ، دمشق، دار اليقظة العربية، ١٩٤٣.

٣٢- الشهابي،قتيبة- أبواب دمشق وأحداثها التاريخية، دمشق وزارة الثقافة، ١٩٩٦، أسواق دمشق القديمة ومشيداتها التاريخية، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٠.

٣٣- الشوابكة، أحمد فهد- حركة الجامعة الإسلامية، الزرقاء، مكتبة المنار، ١٩٨٤.

٣٤- شوكت، الفريق أول محمود، التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، ترجمة نعيسة وعامر، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

٣٥-الشيخ،رأفت- تاريخ العرب الحديث، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٤م.

٣٦- الصباغ، ليلى- المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني وزارة الثقافة دمشق، ١٩٧٣م.

٣٧- الصليبي، كمال - تاريخ لبنان الحديث، ط٣، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٢م.

٣٨- عامر، محمود علي - المكاييل والأوزان والنقود منذ فجر الإسلام وحتى العهد العثماني (دراسة وثائقية) دمشق، ١٩٩٧م.

٣٩- عانوتي، أسامة- الحركة الأدبية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر، بيروت الجامعة اللبنانية، ١٩٧٠م.

٤٠- عبد العزيز، عمر- تاريخ المشرق العربي ١٥١٦-١٩٢٢،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ١٩٩٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤١- عبد الغني،عماد- السلطة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٣م.

٤٢- العظم، خالد- مذكرات خالد العظم، ط٢، بيروت الدار المتحدة للنشر ١٩٧٣م.

٤٣- علي، أحمد - الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الثامن وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط١، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٩م.

٤٤- عوض، عبد العزيز محمد- الإدارة العثمانية في ولاية سورية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.

٤٥- غرايبة، عبد الكريم- تاريخ العرب الحديث، ط٢، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧م.

- سورية في القرن التاسع عشر ١٨٤٠-١٨٧٦م، القاهرة، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٦٢

- مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠- ١٩١٨م، دمشق.

٤٦- فريحة، أنيس- معجم الألفاظ العامية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٣م.

٤٧- الفيروز أبادي، مجد الدين أبو الطاهر بن يعقوب (٧٢٩-٨٢٣هـ)- القاموس المحيط، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ١٩١٣م.

٤٨- كرد علي محمد- خطط الشام، ط٣، ٦م، دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٣

٤٩- كوثراني، وجيه- السلطة والمجتمع والعمل السياسي في تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٨.

٥٠- مانتران، وآخرون- تاريخ الدولة العثمانية، ط١، ٢م، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٣م.

٥١- المحامي، توفيق- ظاهر العمر، ط١ مطبعة وأوفست الحكيم، الناصرة، ١٩٧٩م.

٥٢- المحامي، محمد فريد- تاريخ الدولة العليا العثمانية ط٢، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٩.

٥٣- المعلوف، عيسى اسكندر- دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف طبع بالمطبعة العثمانية، بعبدا، لبنان، ١٩٠٨

٥٤- المنجد، صلاح الدين- دمشق القديمة، أسوارها، أبراجها، أبوابها، دمشق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٥- نعيسة، يوسف- مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين (١١٨٦، ١٧٧٢- ١٢٥٦، ١٨٤٠م) ٢ج، دار طلاس، دمشق ١٩٨٦. ام أم ط٢، دمشق، دار طلاس، ١٩٩٤م.

٥٦- النهر والي، قطب الدين محمد بن أحمد الحنفي- البرق اليماني في الفتح العثماني، الرياض، منشورات دار اليمامة ١٩٦٧.

٥٧- هنتس، فالتر- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، ط٢، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٨٦.

ز- المراجع الأجنبية :

1- Bakhit, M.A. The Ottoman Province of Damascus in the sixteenth century, Librare du liban, Beirut, 1982.

2- Bodman, H political Factions in Aleppol 1780- 1826 university of North Carolins Press, 1983

3- Cohen, Amnon, Palestine in the 18 th Century: Patterns of Government and Adiministration, The Magness Press and Hebrew University, Jerusalem, 1973

4- Heyd, Uriel, Ottonan Documnets on palestine 1553-1615, The Clarendon Press, Oxford, 1966.

5- Holt, - Egypt and the fertile crescent 1516- 1922: Apolitical History, first pulbished, Londonans, London, 1966.

6- Rafeq Abdul- Karim- The province of Damascus 1723- 1783, Khayat, Birut, 1970.

٣- الرسائل الجامعية

١- أبو سليم، عيسى، الأصناف والطوائف الحرفية في مدينة دمشق (١٧٠٠-١٧٥٠) ، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٥

٢- الراميني، أكرم، نابلس في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٧٧

٣- صافي، خالد، ظاهر العمر الزيداني، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، آب ١٩٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دوائر المعارف العربية

- وجدي- محمد فريد، دائرة المعارف القرن العشرين، ١٠ أجزاء، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧١.

دوائر المعارف الأجنبية

Huart, Cl- Tugh, E,I. First Edition

الدوريّات

١- أوغلو، خليل ساحلي - قوانين العثمانيين لعين علي أفندي، دراسات، م١٤، ع٤، عمان، ١٩٨٧م، ص(٩٧-٢٠٣)

٢- برغوث، عبد الودود- صناعة البارود في حماه في القرن السادس عشر، مجلة الحوليات الأثرية السورية، م١٨، دمشق ١٩٦٨، ص (٧٠-٧٢)

- طوائف الحرف والصناعات أو طوائف الأصناف في حماة في القرن السادس عشر، مجلة الحوليات الأثرية السورية، م١٩، دمشق، ١٩٦٩

- إرتباط لواء حماه بمقاومة نابليون بونابرت على مصر وسوريا، مجلة الحوليات الأثرية السورية، م١٧، ص (٣٤-٦٨)

٣-البيطار، أمينة- الحياة الاقتصادية في بلاد الشام، دراسات تاريخية، ع٣، دمشق، ١٩٨٠

٤- الحكيم، دعد- الوثائق الشرعية كمصدر لبحث الحياة الاقتصادية في العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية، ع ٣٩-٤٠، ١٩٨٥ ص(٣٩١-٤٠١).

٥-الخطيب، عدنان- نظرات في المعجم الوسيط، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، م٣٨، ١٩٦٣، ص ٤٨١-٤٩٦

٦- الدويهي، أسطفان (ت.١١١٦هـ-١٧٠٤م) تاريخ الأزمنة، ١٠٩٥-١٦٩٩م، المشرق، م٤٤، بيروت، ١٩٠٥م، ص ١-٣٨٤

٧- رافق، عبد الكريم- البنية الاقتصادية والاجتماعية لمحلة باب المصلى والميدان، بدمشق ١٨٢٥-١٨٧٥، دراسات تاريخية، م١-٢، ج٢٥-٢٦، ١٩٨٧

- قافلة الحج الشامي وأهميتها في الدولة العثمانية، بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشام في العصر الحديث، دمشق، ١٩٨٦

مظاهر من التنظيم الحرفي في بلاد الشام في العهد العثماني، بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث، دمشق، ١٩٨٦

- "مظاهر من الحياة العسكرية العثمانية في بلاد الشام من القرن السادس عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر"، دراسات تاريخية، ع١، دمشق، ١٩٨٠، ص ٦٦-٩٥

٨- الركيني، حيدر رضا (ت ١١٩٨هـ/١٧٨٤) جبل عامل في قرن ١١٦٤-١٢٧٤هـ، العرفان، م٢٧، ٢٨، ٢٩، صيدا ١٩٣٧-١٩٣٩.

٩- زيادة، خالد- السلطة المدنية من خلال وثائق المحكمة الشرعية، المجلة التاريخية المغربية، ع ٣٩-٤٠، ١٩٨٥.

١٠- عبد الكريم، أحمد- التقسيم الإداري لسوريا في العهد العثماني: الباشويات العثمانية والعصبيات الإقطاعية، حوليات كلية الآداب، م١، القاهرة ١٩٥١م، ص (١٢٧-١٨٤)

١١- عبد الهادي، يوسف، نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق بدمشق نشرة عبد الحميد الزيات، مجلة المشرق، ١٩٣٩ ص(١٨-٢٨)

١٢- عنحوري، سليم بك- مميزات الألقاب للملوك وأرباب الحفظ والعمال- مجلة اللغة العربية بدمشق، م٤، ج٥، ١٩٢٤، ص (٢٠٠-٢٠٤)

١٣- غنام،يوسف- الأسلحة النارية في الشرق، المشرق، م٣، ١٩٠٠، ص ٨٧١-٨٧٧

- السيوف الشرقية وتحليتها بالجوهر، المشرق، م٣، ١٩٠٠، ص(٥٧٧-٥٨٥)

١٤- فيلنوف، فرانسوا- الاقتصاد الريفي والحياة الريفية في حوران القديمة، ضمت كتاب دانتز، سورية الجنوبية (حوران)، ترجمة أحمد عبد الكريم، ميشيل عيسى، سالم العيسى، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٨

١٥- لامنس، هنري- المعارف في لبنان، المشرق، م٨، ١٩٠٥ ص ٩٩١-٩٩٨

١٦- محاضرة، يهود الشام منذ مائة عام، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، م٩، ج١١، ١٩٢٩، ص ٦٤١-٦٥٣

١٧- المعلوف، عيسى اسكندر- تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني، المشرق، م٢٤، بيروت،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩٢٦، ص ٥٣٩-٥٦٠

- حقائق تاريخية، مجلة المجمع العلمي العربي، م٢٧، دمشق، ١٩٢٩

١٨- نعيسة، أوضاع الفلاحين في دمشق وصناجقها، مجلة دراسات تاريخية، ع٢٣-٢٤، ١٩٨٦، ص ٤٧-٧٩

١٩- نورس، علاء موسى كاظم "مدى مسؤولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية" مجلة كلية الآداب، بغداد، ع٣٠، ١٩٨١، ص ١٠٩- ١٣٠

٢٠- يني، جرجي - ظاهر العمر، المقتطف، م٢٨، ج٤- ٥-٦، بيروت ١٩٠٣، ص(٣١٧-٣٢٣)، ص(٣٧٥-٣٨١)، ص(٤٦٢-٤٦٦)

- الدوريات الأجنبية

1- Cohen, Amnon- The Army in palestine in the Eighteenth century: sources of its weakness and styength, B. S. O. AS., vol. 34, part1. university of London, 1971, P.P. 36-55

2- Deny, J. Timar, E.I1. vol4, P: 767

3- Zamet, E.I1, vol4, P: 1221

4- Menage, L: Devshirme, E.I 2, Vol II, P: 210

- وقائع المؤتمرات

١- الشطي، ضحى- توسع البدو في بلاد الشام وانحسارهم، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام، م١، دمشق، ١٩٧٩م.

٢- شيلشر، ليندا، بعض مظاهر أحوال الأعيان في دمشق في أواخر القرن التاسع عشر، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام، م١، دمشق، ١٩٧٩.

٣- الصفصافي/ أحمد المرسي - الدولة العثمانية والولايات العربية، المؤتمر العالمي للدراسات العثمانية الخامس، تونس، ١٩٨٢.

٤- فيليب، شكري، طبيعة السلطة السياسية وتوزعها في دمشق، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام،م١، دمشق، ١٩٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملاحق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (١)

سلاطين آل عثمان في القرن الثامن عشر

أحمد الثالث(١٧٠٣-١٧٣٠)

محمود الأول(١٧٣٠-١٧٥٤)

عثمان الثالث(١٧٥٤-١٧٥٧)

مصطفى الثالث(١٧٥٧-١٧٧٣)

عبد الحميد الأول(١٧٧٣-١٧٨٩)

سليم الثالث(١٧٨٩-١٨٠٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٢)

ولاة دمشق الشام

(١٧٠٨-١٧٩٩)

نصوح باشا ١١٢٠ هـ / ١٧٠٨م

يوسف باشا طوبال ١١٢٦ هـ / ١٧١٤ م

إبراهيم باشا ١١٢٩ هـ / ١٧١٦م

عبد الله باشا كوبريلي ١١٣٠ هـ / ١٧١٧ م

رجب باشا ١١٣١ هـ / ١٧١٨ م

عثمان باشا أبو طوق ١١٣٢ هـ / ١٧١٩ م

علي باشا ١١٣٤ هـ / ١٧٢١ م

عثمان باشا أبو طوق ١١٣٦ هـ / ١٧٢٣ م

إسماعيل باشا العظم ١١٣٨ هـ / ١٧٢٥ م

عثمان باشا الأضنلي ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠ م

سليمان باشا العظم ١١٤٧ هـ / ١٧٣٤ م

حسين باشا البستنجي ١١٥١ هـ / ١٧٣٨ م

عثمان باشا المحصل ١١٥٢ هـ / ١٧٣٩ م

علي باشا أبو قيلي ١١٥٣ هـ / ١٧٤٠ م

سليمان باشا العظم ١١٥٤ هـ / ١٧٤١ م

أسعد باشا العظم ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م

محمد راغب باشا ١١٧١ هـ / ١٧٥٧ م

حسين باشا بن مكي ١١٧١ هـ / ١٧٥٧ م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد الله باشا الشتجي ١١٧٢ هـ / ١٧٥٨ م

محمد باشا الشالك ١١٧٤ هـ / ١٧٦٠ م

عثمان باشا الكرجي (الصادق) ١١٧٤ هـ / ١٧٦٠ م

محمد باشا العظم ١١٨٥ هـ / ١٧٧١ م

محمد باشا العظم ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م

محمد باشا ابن عثمان باشا الكرجي ١١٩٧ هـ / ١٧٨٢ م

درويش باشا ابن عثمان باشا الكرجي ١١٩٨ هـ / ١٧٨٣ م

أحمد باشا الجزار ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م

حسين باشا البطال ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦ م

أظن إبراهيم باشا ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨ م

أحمد باشا الجزار ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م

عبد الله باشا العظم ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م

عبد الله باشا العظم ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٤)

عائلة الأمراء الشهابيين حكام جبل لبنان في القرن الثامن عشر الميلادي

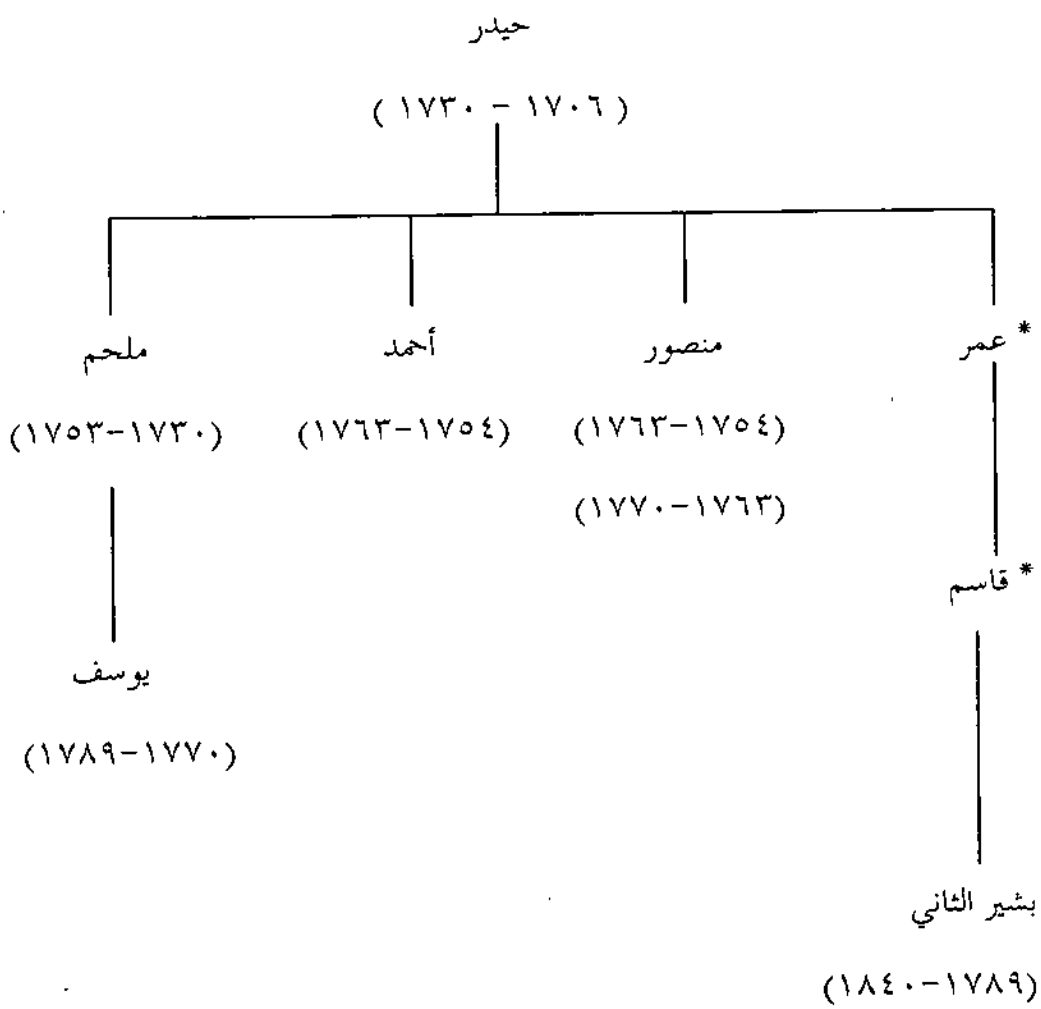

* لم يكن من حكام جبل لبنان

* منير اسماعيل وعادل اسماعيل - تاريخ لبنان الحديث - الوثائق الدبلوماسية، ص٣٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٥)

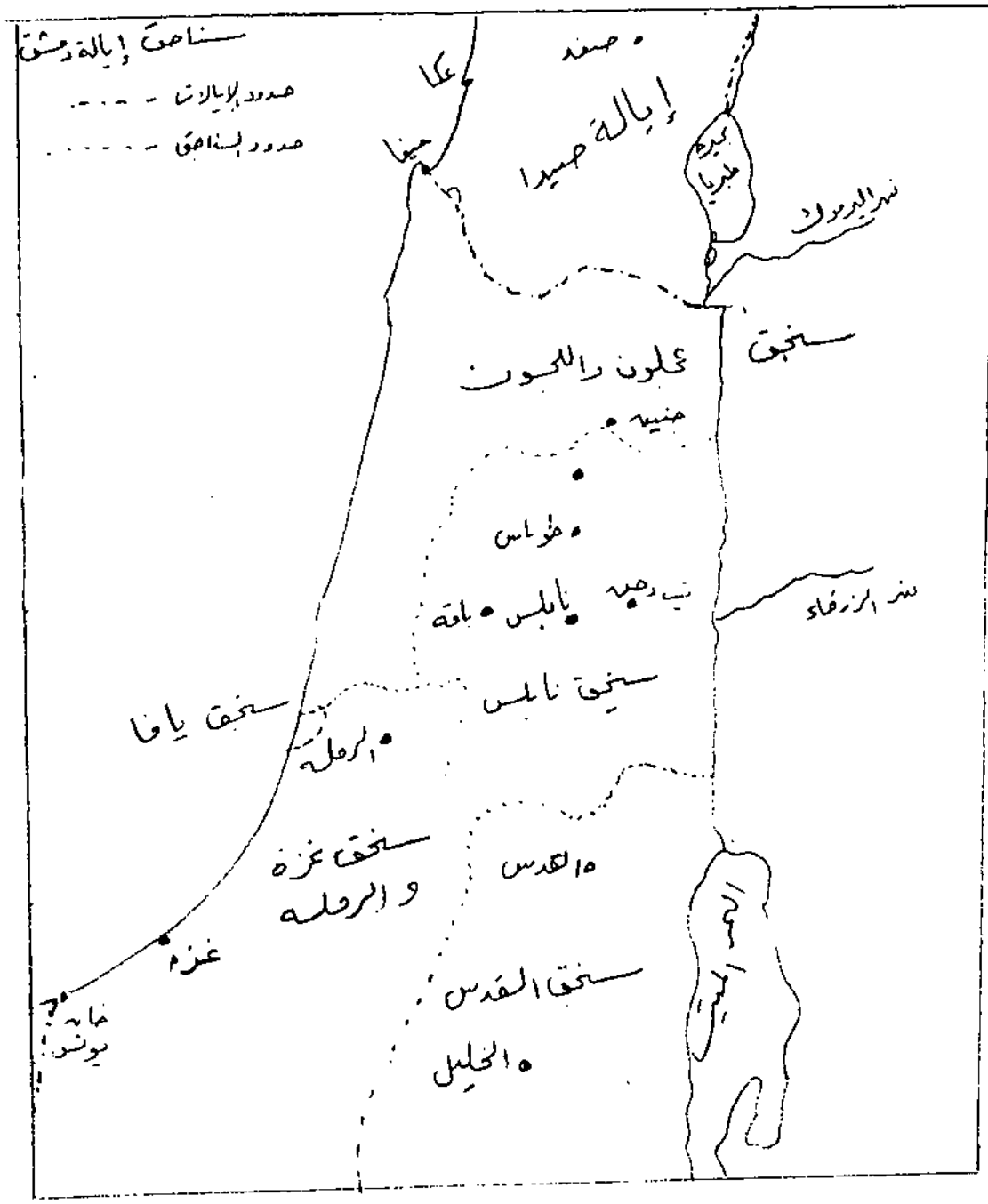

خارطة توضح السناجق الجنوبية لولاية بلاد الشام (دمشق) في القرن الثامن عشر

Cohen - Palestine, p. 346.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٦)

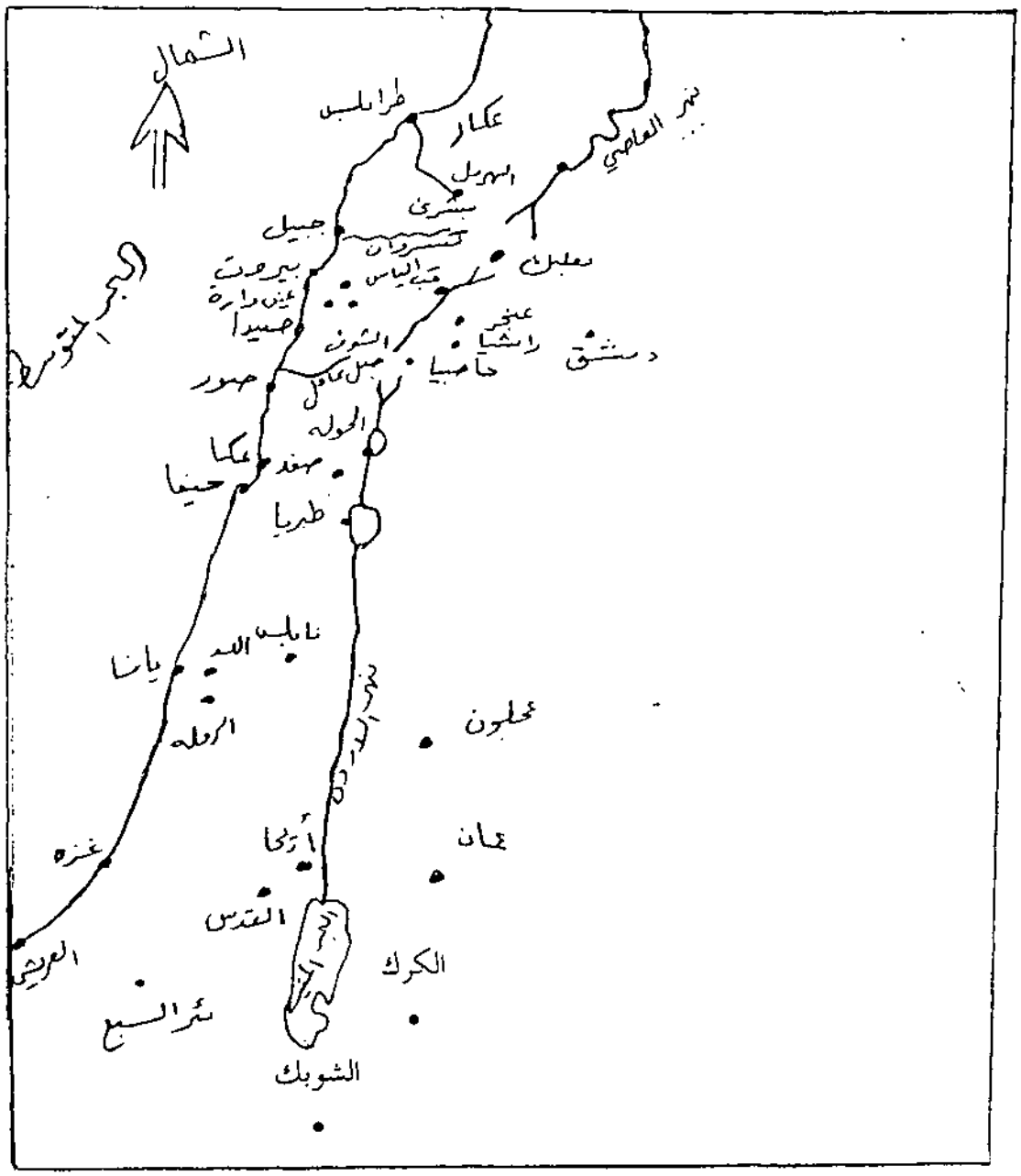

خارطة توضح جنوب غرب بلاد الشام في القرن الثامن عشر

عبد-الكريم رافق – العرب والعثمانيون ١٥١٦ – ١٩١٦م، ص٦٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٧)

نموذج من السجلات الشرعية بدمشق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نموذج من السجلات الشرعية بدمشق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٨)

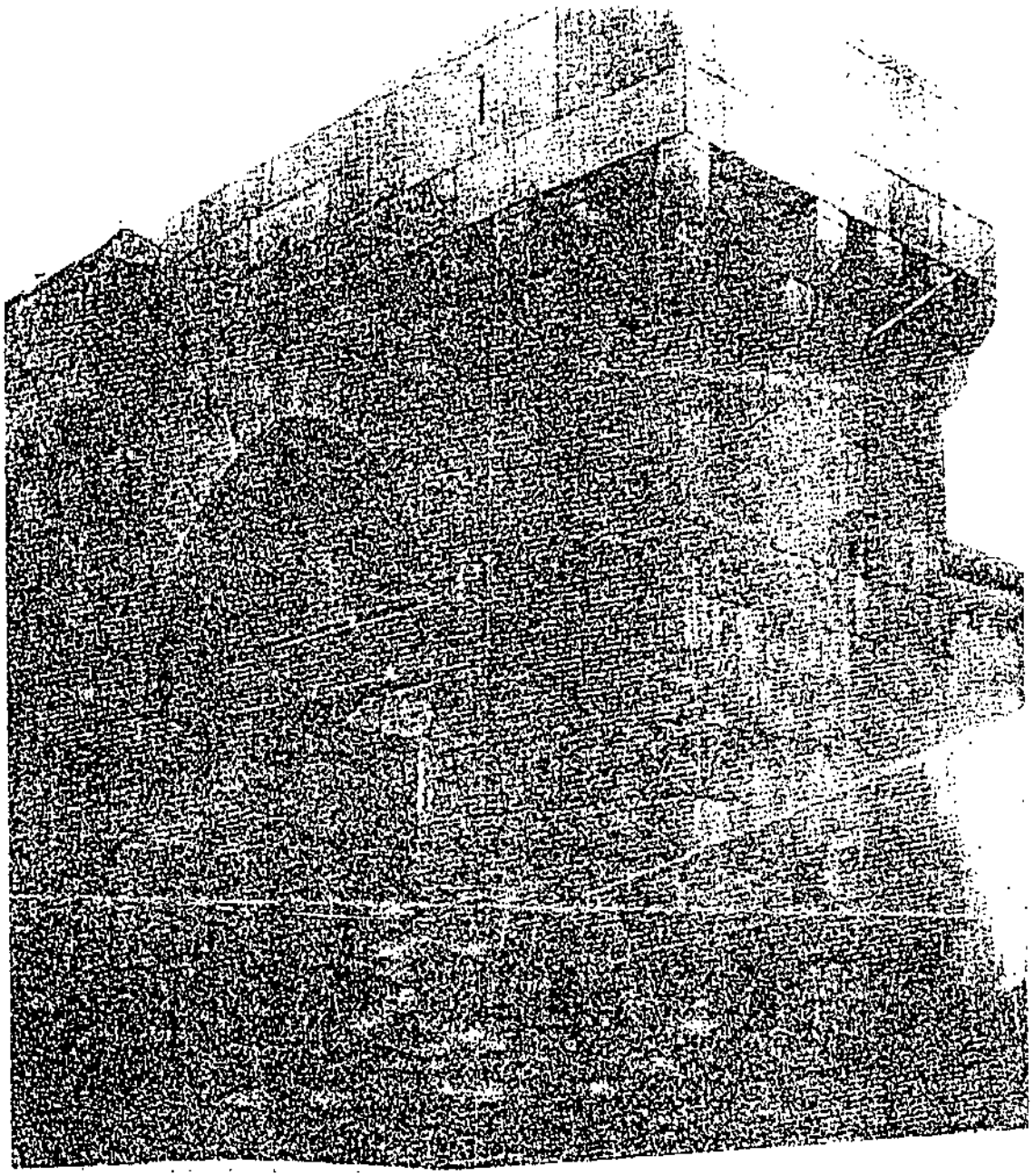

باب السلام أحد أبواب المدينة في السور الشمالي

عبد القادر الريحاوي - مدينة دمشق، ص١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

The Military in Damascus in the Eighteenth century.

Prepared By: Om Kalthoom Gomha Rasheed Msalam
The supervisor: Dr. Mustafa Al Hamarneh

This study about the military in Demascus in The Eighteenth Century came as a result of the essential role of the ottomanian military in Demascus in the 18th. c. in the administrative, economical and social fields. The Military was brilliant in all these fields and This is obvios in The way how the Inkishari: broke into the local societs and how it transfared to a spedial category.

This study has been devided into an introduction on. five units and a conclusion.

The first unit covered the administration in Demascus in the 18th. c and this was an introduction to talk about the administrative system and its elements in the city such as. Al wali, The Defter Dar, Al- Kakhia and Al- Muteselem.

The second unit disscussed the issue of the local forces in the city, and on the top comes the Military forces which formed the military system which consisted of the Inkishariah and its types, Al Kabi kol and Al- yarliah and its distribution, steps, numbers and arming. Then comes Al- sabahiah and then the mercenary forces, In addition to the second local forces, The senatores and then Al- A arab in Demascus.

The Third unit studied the general conditions of ottomanian country both on the Internal and external level. Also it disscussed the appearance of Al- Aathem family and their relation with Thaher Al- Omer, In addition to the relation between

The Administrative rulers in Demascus with Thaher Al- Omer. This unit also studied the attack of Ali- Bek Al- kebeer against Demascus and it studied its results.

The fourth unit followed the rebelios military forces and its unrest in Demascus through their relation with Al- wali and the effect of these events on Demascuss people. In addition to that it make an analysis to the conflect factors among the military nervousness .

The fifth unit was written specially to talk about the economical activities of the military.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit